دراسة

الشقاء بين تشيكوف.. ونجيب محفوظ

محمد محمود عبد الرازق

فى الستينات ، عاد نجيب محفوظ إلى القصة القصيرة . كان قد توقف عن كتابتها منذ ظهور مجموعته الأولى : «همس الجنون» (١٩٣٨) ثم خرجت «دنيا الله» (١٩٦٣) وتبعتها «بيت سيّىء السمعة» (١٩٦٥) . ولابد أنه قد أعاد فى فترة «الصمت» التى بدأت بعد الثلاثية وانتهت بظهور : «اللص والكلاب» ، الاطلاع من جديد على أعمال جهابذة هذا الفن . إذ نجد فى «بيت سيّىء السمعة» ـ وهذا ما يهمنا الآن ـ قصة بعنوان : «الصمت» تشى بمعايشة قصة «الشقاء» لتشيكوف معايشة حقيقية . إنها قصة ممثل كوميدى ـ وفى المقام الأول : إنسان . . أى إنسان ، فليس لمهنته تأثير يذكر على مسار القصة ـ ترقد زوجته بالمستشفى تعانى آلام ولادة عسرة .

تبدو الغرفة وكأنها «ميدان قتال» . فرسانه ثلاثة أطباء : الطبيب المولد ، وطبيب القلب ، وطبيب التخدير ، وممرضة بدينة «لكنها فى خفة النحلة ولا تمسك عن الحركة» . وليس لهذه الممرضة أو لبدانتها دور يذكر إلا فى تشكيل الصورة من خلال عينى ممثل كوميدى لاقِطَةٍ فيما نعتقد . وكذلك الطبيبان الأخيران . فثلاثتهم ـ الممرضة والطبيبان ـ لا يشاركون فى القصة بغير الابتسام . وجودهم كوجود الأسلحة وغيرها من المعدات والأدوات المحددة لهوية المكان المنذر بالخطر : «ما يشبه السكاكين والخناجر والدبابيس من كافة الأشكال والأحجام . وثمة أوعية ملوثة بالدم تحت الموائد المعدنية ، وقطن وشاش ، ورائحة أثيرية نافذة كنذيرٍ من عالم مجهول» . . تماماً كما افتتح تشيكوف قصته بتحديد هوية المكان ليوحى بالعزلة والوحشة : الشفق المؤذن باقتراب الليل ، وندف الثلج التى تغطى الكائنات والأشياء وتتطاير فى بطء : كبيرة ومتناثرة حول المصابيح المضاءة لتوها .

ورغم أعصاب الزوج المشدودة ، وتركز همومه فى الوجه المعذب ، فإن الطبيب الذى لا يبدو منه إلا نصفه وأعلى ذراعه يشى بحركة يده المختفية ، يثرثر حول الفرق بين صورة الممثل الشخصية وصورته على الشاشة . ويحدثه عن دور الباشكاتب الذى « تفوق فيه على نفسه » . ثم يسأله عن معنى « السيناريو » وعن أحب الأدوار إليه . وفى عينى الطبيبين الآخرين تلوح ابتسامة . وتسترق الممرضة إليه نظرة باسمة . وينتزع من شفتيه الجافتين ابتسامة مجاملة . ويمضى الطبيب إلى حجرة داخلية ، فيتبعه ليبهت بالخبر : الجولة قد ضاعت هباء . والطلق لن يعاودها قبل أربع ساعات على الأقل . وإذا لم تتيسر الولادة بحالة طبيعية فلابد من جراحة . والزوجة تغط فى نوم عميق . والزوج يضيق بالجلوس مع أعضاء الأسرة . ويشعر بحاجة ملحة إلى الحركة فيستقل سيارته « الدودج » إلى المقهى . الفعل عند تشيكوف واقعة موت فى مستشفى ، وعند نجيب محفوظ لحظة ميلاد محفوفة بالمخاطر فى مستشفى . ووسيلة الاتصال عربة الحوذى التى تجرها مهرته فى الأولى ، وسيارة « دودج » فى الثانية .

ويصرح المؤلف بأن الزوج « كان فى حاجة حقيقية إلى المشاركة » . وفى المقهى يجد ضالته ـ صديق قديم يعيد على مسمعه ماقاله الطبيب . لكن الصديق لم يبد عليه أنه اهتز أقل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اهتزاز لكلمة « الجراحة » بل أخذ المسألة ببساطة : « سليمة بإذن الله ، النساء ، يلدن من عهد حواء فلا تخف » . تماما كما قال الشاب العابث للحوذى : « كلنا سنموت » . فيستقل سيارته إلى المجلة التى يعمل بها صديق آخر ، وعندما يجده يجلس « مرحبا بالفرصة التى واتته لإعلان أحزانه » . بيد أنه لا يجد صدى لكلماته فيعود إلى « القهوة » . وإذا بمجلس الأصدقاء ، قد انعقد ، فيصمم على ألا يعلن همومه لأحد ويجاريهم فى أحاديثهم بقلب غائب حتى يطمأن إلى زميل قديم ، لكن هذا الزميل ينغلق على مشكلة ذاتية . الصمت يطبق عند تشيكوف ، وحديث يدور خير منه الصمت المطبق عند نجيب محفوظ . وهكذا تأتى النهاية : « أغمض عينيه فشعر بشىء من الراحة ، ولكن ضوضاء الطريق ضايقته كما لم تضايقه من قبل ، فود لو يغرق كل شىء فى الصمت » .

الجديد عند محفوظ أن محدثى الزوج كانوا جميعا من طبقة واحدة ، وتربطهم صداقة قديمة ، وتقرب بينهم اهتمامات خاصة.الأول « زميل قديم » من عهد المدرسة الابتدائية ، أما اليوم فهو من الأعيان و « عشاق المسرح » . الثانى صديق وناقد فنى . الثالث « زميل قديم » عمل فى مسرحه ملقنا ويشتغل اليوم مدير إنتاج فى شركة سينمائية . تلك هى الشخصيات المعادلة لعملاء الحوذى . وحتى طبيب الولادة تربطه به علاقة سابقة يفصح عنها قوله : « ألم أنصحك آخر مرة تجنب الحمل ؟ » . أما عملاء الحوذى فكانوا من طبقة عليا . ويعبر الشبان الثلاثة عن نظرة هذه الطبقة إلى الحوذى ، عندما يطلب منه أحدهم الاسراع ، فيقترح آخر صفعه على قفاه ، فيقول الأول : « أتسمع أيها الأجرب العجوز ، سأجعلك نشيطا . لو احترم الانسان أمثالك فخير له أن يمشى على قدميه » .

وقد أراد تشيكوف أن يمثل طبقة الحوذى بنموذجين ، أولهما : البواب . لكن الحوذى لم يحدث البواب عن شقائه . لقد بادره بالسؤال عن الساعة تمهيدا لمواصلة الحديث ، بيد أن البواب أبعده عن المكان : « ويبتعد أيونا عن المكان خطوات ، ويحنى جسمه ويستسلم للشقاء ، ويشعر أن لا فائدة من الاتجاه إلى الناس » . والنموذج الثانى هو « سائق سابق » ينام مع غيره فى نفس المكان الثقيل الهواء الملىء بالروائح العفنة الذى ينام به السائق العجوز . أخذ السائق يسلك حلقه والنوم يغلب عليه وهو يتجه إلى مكان الماء . فأخبره العجوز بوفاة ابنه ، لكن الشاب كان قد غطى رأسه واستغرق فى النوم . وعبارة « سائق سابق » تلخص بالصفة وحدها مأساة أخرى ، لم يشأ تشيكوف أن يتوغل فيها ، مكتفيا باللمحة البرقية حتى لا يشغل هموم هذه القصة بهموم قصة آخرى ، تاركا للقارىء بناءها بخياله المشارك داخل محيط هذه الجو . وذلك ظرف - لا شك - يثقل قلب السائق . أضف إلى ذلك مغالبة النوم له . بيد أننا مهما تلمّسنا الأعذار لهذين الشخصين ، فإن ما يهمنا هو أن هذه الأعذار لم تصل إلى قلب العجوز الشقى . الشىء الوحيد الذى وصل إليه هو عدم التواصل .

كذلك فإن الإعراض عن « السائق » ، مواز للإعراض عن « الزوج » . الاختلاف يكمن فى أن تجاهل الحوذى تم عن قصد من عملاء العربة ، وحالت بينه أعذار بالنسبة للحارس والسائق السابق . إلا أن زوال هذه الأعذار لا يعنى - بالضرورة - اقبالهما عليه ، لو أفصح للبواب عما يثقل صدره ، ولم يكن الحوذى السابق مهموما ، أو يغالبه النوم . فالسياق يؤكد التباعد الإنسانى . أما التجاهل الذى شعر به الزوج فلم يتم عن قصد . فثمة علاقات ودٍّ وصداقة . وكل صديق حرص - ولو من باب المجاملة - على مواساته بمثل ما تعارف الناس عليه فى الظروف المشابهة : بالكلمة الطيبة التى تتضمن الحكمة المستخلصة من التجربة ، والموعظة الحسنة . لكن هذه الكلمات لم تصل إلى مسمعه . والنتيجة واحدة : أن يتجاهلك الناس ، وألا يصل إليك خطابهم .

هون عليه الصديق الأول الأمر ، وأمطره بالأمثلة اللصيقة به ، فما تلك الأخطار إلا إشاعات يروجها الأطباء لتبرير مطالبهم : « عند مولد ابني إسماعيل أتعلم ماذا حدث ؟ . . . » « ولدته أمه فى ثمانى عشرة ساعة ، جاءها الطلق الساعة السادسة صباحا وأدركهاالفرج عند منتصف الليل ! أى عذاب تتخيله ؟ ومع ذلك كله فقد ولدت فى البيت وبوساطة حكيمة لا دكتور ولا دياولو ! . . » جـ. « وقد قالوا لنا عند مولد ابنتى عزيزة إنه لابد من جراحة ! لماذا ؟ الحكاية أن الولادة طالت أكثر من المتوقع فاستعانت الحكيمة بدكتور فنصح بنقلها إلى المستشفى لإجراء جراحة عاجلة ، وقبل أن تبتعد مترا عن بيتنا جاء الفرج » . . « الولادة العسيرة حقا كانت ولادة سوسن ابنة اختى » . . « كانت ضعيفة القلب ، وأجمعوا على إجراء جراحة واستكبوا زوجها إقرارا بالموافقة ، وشقوا بطن البنت » . . « هى الآن بفضل الله كمفتشات الرياضة البدنية » .

ولكن للحقيقة عدة أوجه . وتصرفات الآخرين تقابل غالباً بالشك والريبة . والزوج البائس لم ير إلا أن صديقه كان يطحن الفول السودانى بتلذذ ، ويدعوه لمشاركته ، ويسترسل فى سرد ذكريات خاصة . وكذلك كان الشأن مع الصديق الثانى الذى أخذ يطيب خاطره بمثل هذه العبارات : «ربنا يكتب لها السلامة ، الطب تقدم وانقضى عهد الجراحات الخطيرة . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«أنا نفسى جئت إلى هذه الدنيا بجراحة ، وفى زمان كان الطب فيه كالطب عند قدماء المصريين ، يا سلام على الفنانين وأعصابهم المرهفة» . لكنه ظل طوال الوقت منكباً على الأوراق لا يكف لحظة عن البحث . حتى إذا ما وجد ضالته رتبها بعناية وتحدث بنبرة جديدة ــ وكأنه نسى الحديث الأول كلية ــ عن برنامج أسبوعى جديد . وعن اختياره الزوج للبدء به . فإذا ما أعاده الزوج للجراحة ، افتتح بها حديثه افتتاحاً سريعاً متعجلاً لينتقل إلى ما يشغل ذهنه فى سياق متلاحم ، وكأن الجراحة هى المفتاح الطبيعى للبرنامج : «كل خير ، لا تصدق الأطباء ، الصعوبة الحقيقية فى تسجيل المسرحيات القديمة . . .» . . «إن شاء الله ، لا تكن خوافاً هكذا ، ألا ترى أنك تذكرنى بدور الباشكاتب الذى تفوقت فيه على نفسك . . .» . ونتذكر أن الطبيب قد ذكر نفس العبارة ، ويبدوأن الأخير قد تلقاها من الصفحات الفنية .

الزوج نفسه يعلم أن للعملة وجهين . فالميكانيكية التى يؤدى بها الأطباء وظائفهم وتجعلنا نتهمهم بالتبلد ، قد تفصح ــ فى نفس الوقت ــ عن معنى آخر مطمئن : «ينبغى أن يكون الخطر بعيداً وإلا ما استرسل الدكتور الذى لا يرحم فى استجوابه» . هذا ما قاله الزوج لنفسه ، بيد أن المحصلة النهائية هى عدم إدراكه لغير الاستخفاف بمأساته ، والاستهانة بمشاعره .

ونجيب محفوظ لا يدين هؤلاء الأصدقاء ، إلا بالقدر الذى يدين به الزوج نفسه . فالزوج يقع فى نفس المحظورات التى تجعله يشعر بالعزلة بين أقرانه . والمؤلف يجسد هذا الموقف بالحوار الذى أداره بينه وبين صديقه الثالث . إن هذا الصديق قد شكا إليه منذ عشرين يوماً مرضاً ألم به فى أحد الاستديوهات . لكنه لم يسأله عن صحته سواء أثناء وجود الأصدقاء بصخبهم الذى لم يشاركهم فيه ، أو بعد انفراده به ، حتى اضطر الصديق أن يخبره دون سؤال عن آخر تطورات مرضه : «ظهرت نتيجة تحليل الدم وهى ليست على ما يرام !» . وإذا قلنا إنه يقع تحت وطأة هم طارىء ، فإذا مازال الهم عاد إلى الاهتمام ، بعدنا بعداً تاماً عما تريد أن تكشفه هذه القصة التى يكمن تحتها «شقاء» تشيكوف .

كل إنسان يتصور أنه يقع تحت وطأة هم طارىء ، أيا كان نوع هذا الهم : فكرة أو واقعة ، أو قضية . والظروف الطارئة والقوى القاهرة لا تنتهى . وإذا كنا لم نسترح لاستغراق الناقد الفنى فى البحث عن الأوراق التى تعنيه ، ثم لانشغاله بالتفكير فى البرنامج الذى يعده ، وهو فى مواجهة ظروف صديقه المحزنة . فها هو المؤلف يجابهنا بموقف متواز يحمل هماً موازياً .

وهكذا يتدرج بنا نجيب محفوظ عبر الأصدقاء الثلاثة ــ أو النماذج الثلاثة ــ ليتقدم خطوات نحو توازى المشكلة أو الهم ، فيتمكن من إعلانها صراحة : كلنا هذا الرجل . فالصديق الأول يبدو بدون مشاكل حقيقية . بل يبدو أنه يعيش عيشة راضية : «تربع جميل الزيادى فى مجلسه تحوطه هالة من الفخامة مصدرها بدانته المتناسقة ، وهو زميل قديم لصقر من عهد المدرسة الابتدائية ، أما اليوم فهو من الأعيان وعشاق المسرح» . اسمه «جميل» ولقبه «الزيادى» . والأسماء عند نجيب محفوظ ، سواء أكانت للأماكن أو للشخوص ، تلعب دوراً ليس هيناً رمزاً أو إفصاحاً . وسوف نلحظ ذلك أيضاً مع «زاهية» عندما نتعرض لقصة : «القهوة الخالية» . وهو من «الأعيان» ولهذا تحوطه هالة من الفخامة ، وبدانته المتناسقة إن كانت هى مصدر هذه الفخامة ، فلأنها ــ فى المقام الأول ــ تدل على الشبع وروقان البال . وهذا البال الرائق ذو مزاج فنى . فهو يعشق «المسرح» ويبعد عن مشاكل الخلق وانفعالاته . تماماً كما كان يفعل أصحاب الإقطاعيات فى فرنسا وروسيا قبل الثورتين ، كما يصورهم لنا أدبها العظيم وتاريخه . والصديق الثانى يشغله فنه ، أو قل أكل عيشه . أما الثالث فيقف بهمة على قدم المساواة مع الزوج صاحب المأساة ، إن لم يكن أفدح .

ويتدرج الفن الحوارى أيضاً مع «الحالات» المتحاورة . فالأول يكتفى بتطييب الخاطر وهو يطحن الفول السودانى بتلذذ . والثانى بتطييب الخاطر والبحث عن الأوراق فى مرحلته الأولى ، وبالانهماك فى الحديث عن البرنامج فى المرحلة الثانية . وفى هذه المرحلة يتسم التحاور بالعبث .

والحوار العبثى يسيطر منذ البداية على التحاور مع الصديق الثالث . كل منهما يجد فى عبارات الآخر مفتاحاً للحديث عن همومه الخاصة . كل منهما يتقوقع على همومه ، ويتحدث بصوت مسموع حديثاً لا يصل إلى الآخر ، وكأنه اجترار لا حوار :

ــ أسأل الله لها السلامة ، ولعل الولادة تتم دون جراحة ، ولكن خبرنى ماذا تعلم عن زيادة كريّات الدم البيضاء ؟

- لا أدرى ، وعلى أى حال فالطب تقدم جداً ، فوق ما تتصور ، ولكن . . ولكن أنا المسئول !

ــ أنت ؟!

- نعم ، كان يجب أن أحتاط فلا أسمح بالحمل مهما تكن الظروف .

ويستمر الحوار على هذا المنوال . ويشعر كل منهما بالامتعاض ، وهو يتكلف الاهتمام بكلام الآخر . فإذا ما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أجهدهما التواصل غير المتواصل لاذا بالصمت : «وتجنب صاحبه كما تجنبه صاحبه فقام بينهما سد» .

وهذا «السد» كان قائماً قبل أن يتجنب كل منهما الآخر . قوقعة صلبة كانت تحيط بكل منهما مع التخاطب غير المخاطب . لا توجد مشاركة وجدانية ، ولا أدنى تواصل إنسانى . العلاقة بين الأنا والآخر علاقة أخذ وعطاء . قال الممثل وكأنما يحدث نفسه بعد أن انقطع الحديث العبثى بينهما : «إنى أعجب كيف أنى أكرس حياتى لإضحاك الآخرين !» فتساءل مدير الانتاج بنبرة باردة : «ألا يدفعون ثمن ذلك بسخاء» . لم يناقشه رغم ما بدا له من إمكان ذلك «وأغمض عينيه فشعر بشىء من الراحة ولكن ضوضاء الطريق ضايقته كما لم تضايقه من قبل فود لو يغرق كل شىء فى الصمت . . » .

وإذا تناولنا هذه القصة كقصة ، فسوف نأخذ عليها الإغراق فى التخطيط المسبق والميكنة الفنية الدقيقة . الأطباء يعملون بلا روح وكأنهم آلات . . . لم ينس حتى أن تأتى سيرة «الفلوس» : «ألا يدفعون ثمن ذلك بسخاء» على لسان «مدير الانتاج» . وأن «الممثل الكوميدى» يواجه «المأساة» . ولأننا على دراية بطريقة تشكيلها الذى أبدعه نجيب محفوظ . فإننا نزعم أن هذه المعرفة دخلا فى رتابتها ، لقد كنا نتتبع ما يحدث خطوة بخطوة ، ولكن فى ملل وضيق . والشىء المؤكد أن الريشة اهتزت فى يد الكاتب هذه المرة ، وهو يرسم الشخصية المحورية الموظفة لخدمة غرض محدد . إنها شخصية تثير السخط ، وقد أريد لها أن تثير الرثاء ، ليس على نفسها فقط ، وإنما على الوجود البشرى بأسره . إنى لا أتصور أن يترك زوج المستشفى التى ترقد فيها زوجه بين اليأس والرجاء ، بين الموت والحياة ، ليتحسس مواطن أصدقائه طلباً للمشاركة الوجدانية ! صاحب الهم العظيم دائماً عظيم مثل «أيونا بوتا بوف» قائد عربة «الشقاء» العجوز . أفهم أن يتركها لطلب عاجل يتعلق بالحالة . أفهم أن يأتى إليه أصدقاؤه للمواساة ثم يحدث ما يريد القاص أن يحدث . أما أن نحرك دمية على الورق لنكتب قصة عن فقدان التواصل الانسانى ، فلا .

* * *

ويبدو أن نجيب محفوظ قد أحس أنه لم يكتب كل ما يريده عما تغلغل فى وجدانه من «شقاء» تشيكوف فى قصة : «الصمت» . إذ نراه يتبعها بقصة : «القهوة الخالية» متناولاً القضية من زاويتها الشهيرة : نشدان المشاركة عند الحيوان .

فى هذه القصة يعود محفوظ إلى شهر اسلحته القديمة ، فيخاطب الوجدان أكثر من مخاطبة العقل ، ناشراً غلالة الحزن الشفيفة ، ولابد من الدعابة والملاحظات الساخرة فى أشد الظروف قتامة . كل هذا فى إطار الجو التاريخى القريب المحبب إلى قلبه ، بركنيه العتيدين : المكان والانسان . وعن المكان والانسان تنال ذكريات الشخصية المحورية التى صارت هى أيضاً تاريخاً . شيخ فى التسعين من عمره ، مرت عليه أجيال وأجيال . وها هو يجلس وحيداً غريباً فى حياة غريبة . الاصدقاء رحلوا جميعاً . ودعهم واحداً إثر واحد «وكأنما يراهم فرداً فرداً كيوم احتشدت بهم جنازة مصطفى كامل» . والعتبة الخضراء لم تعد العتبة الخضراء . إنها تدور كعادتها أمام عينيه الكليلتين ولكنها ليست هى . هى هى لكنها ميدان جديد تماماً . وقهوة ماتانيا لم يبق من أصلها غير الموقع : «أين صاحبها الرومى الودود ، واين الغول ذو الشوارب البلقانية ؟ والكراسى المتينة البنيان والترابيزات الرخامية الناصعة والمرايا المصقولة والبوفيه العامر بالمشروبات والنراجيل . .» . تبدو رغم ازدحامها وكأنها خالية ، لخلوها من الأصحاب والمعارف . «ومن عادته أن يرنو إلى الكراسى التى حملت قديماً الأعزاء الراحلين فيتخيل وجوههم وحركاتهم . والمناقشات حول أخبار المقطم ، ومباريات النرد الحامية ، والسياسية . . . جاء زمن لم يجد فيه من رفيق سوى واحد هو على باشا مهران . وهذا الكرسى كان مجلسه . يجلس عليه قصيراً نحيلاً مكوماً فوق عصاه وحافة طربوشه تماس حاجبيه الأشيبين النافرين ، ويرمقه بنظرة هشة شبه دامعة من نظارة كحلية ثم يتساءل : «من منا يا ترى سيسبق صاحبه ؟» ثم «يغرق فى الضحك . . » .

وها هو يودع زوجته أيضاً ، فتخلوا لدنيا كما خلت المقهى . تزوجها منذ أربعين عاماً ، وكانت فى العشرين ، وها هى تتركه وحده : «أربعون عاماً لم تخل يوماً من زاهية ، منذ زفت إليه فى الحلمية ورقصت أمامها القصرافية» . كيف ينساها ! عندما يتعبه حفيده بمداعباته الحادة يتذكرها : «الطفل العزيز لن يعفيه من المتاعب وأنه سيحتاج إلى حماية ولكن أين زاهية ؟» . وعندما يجد قطة تحت الكرسى يتذكرها : «وزاهية طالما عطفت على القطط» .

وإذا كانت الدنيا قد سلبته أصدقاءه وزوجته ، فها هى تنتزعه انتزاعاً من بيئته لتلقى به فى بيئة جديدة . بطرف واجم شهد تصفية مسكنه : «رأى أركانه وهى تتقوض كما رأى احتضار زوجته من قبل فلم يبقوا ! إلا على ملابسه وفراشه وصوان كتبه التى لم يعد يمد لها يداً وبعض التحف وصور لأعضاء الأسرة ولبعض الرجال كمصطفى كامل ومحمد فريد والمويلحى وحافظ إبراهيم وعبد الحى حلمى» .

متى يعتاد بيت ابنه ؟ . . ومتى يعتاد الحياة بلا زاهية ؟ نظر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من نافذة البيت الجديد فلم يجد الجامع الكبير الذى كان يطالعه من نافذة حجرته بالمنيرة . وإنما رأى بستاناً كبيراً يتوسط مربعاً من العمارات . وبلا أدنى تبرير نراه يتذكر واقعة قديمة : «لفحته نسمة هواء جافة دافئة . وعجب للصمت المريح ولكنه أكد له وحدته . ويوم احتل الانجليز القاهرة ظفر بجواد ضال ولكن والده خشى العاقبة فضربه ومضى بالجواد ليلاً إلى الخليج ثم أطلقه وكانت المدينة ترتجف من الخوف والحزن» .

ما الذى استدعى هذه الواقعة إلى ذهنه يا ترى ؟! ضربة خاطفة من استاذ قدير لا ينبغى أن تفوتنا ، وعلينا أن نجهد أنفسنا فى إيجاد التبرير . هل استدعاها منظر البستان الذى دهمه مربع العمارات ؟ . . أطمأن إلى أن المستدعى هو ارتجافة الخوف والحزن . لقد أصبح خوفه وحزنه ، بحجم خوف وحزن مدينة بأكملها نظمتها جحافل الغزاة . : «رجع إلى مجلسه فرأى عند أسفل المقعد قطة صغيرة . بيضاء ناصعة البياض غزيرة الشعر وفى جبينها خصلة سوداء فآنس فى نظرة عينيها الرماديتين استعداداً للتفاهم . وزاهية طالما عطفت على القطط» .

شىء حى ينبض أمامه لطيفاً وديعاً . شىء كانت تعطف عليه زاهية . ارتاح إلى نظرتها ثم تابعها وهى تدور حول رجل المقعد ، وبدأ الود والتفاهم : «ربت على ظهرها فتمسحت بقدمه وعند ذاك ابتسم . ومسح على ظهرها فاستجابت لراحته وخفق ظهرها صعوداً وهبوطاً فبشر ذلك بمودة . وابتسم مرة أخرى عن أنياب بانت أصولها الطحلبية وشملت القطة حركة متموجة من المرح . وتزحزح قليلاً إلى اليسار ليوسع لها مكاناً» .

ها هو الشيخ يريد أن يؤنس وحدته بقطة أليفة ، تماماً كما لجأ السائق العجوز إلى حصانه عند تشيكوف . وكما فعل «سالها مانو» العجوز عند البير كامى بعد وفاة زوجته . لكن العلاقة بين محمد الرشيدى وزوجه لم تكن علاقة شقاق ونفار . لقد كانت «زاهية» هى «الحياة الزاهية» حقاً . كما أن علاقته بالقطة تدل على تفاهم افتقدته العلاقة بين «سالها مانو» وكلبه . بيد أن الحفيد العنيد لم يشأ لعرى هذه العلاقة أن تتوثق . فعندما لاحظ قطة مع جده ، ارتفع صوته المتهدج بالجرى ، وقبض بشدة على قفاها ثم جرى بها ، رغم تودد جده إليه وسؤاله عن اسمها .

لم يجد العجوز مفراً من البحث عن سلوى أخرى . لكنه عاد من قهوة «ماتانيا» خائباً . وكان البيت راقداً فى السكون . وعشاؤه من الزبادى على الخوان . تذكر القطة : لو تشاركه القطة الصغيرة عشاءه ؟! ما ألطف أن يوثق علاقته بها فهى ستكون أنيسه الحقيقى فى هذا البيت المشغول بنفسه . لعلها فى موضع ما بالصالة . ومال نحو الباب قليلاً وهتف : «بس . . بس» . وقام فمضى إلى الخارج وصاح : «نرجس . . بس . . بس . .» فجاءه النواء من وراء الباب التالى لحجرته حيث ينام توتو وخادمته . وتفكر قليلاً ثم اقترب من الباب ففتحه برفق فمرقت منه نرجس رافعة ذيلها الدسم كالعلم» .

لكن قوة شبيهة بتلك القوة التى سلبته أصدقاءه وزوجته . . . شبيهة بتلك القوة التى سلبته حصانه فى صغره ، تتجسد اليوم ليس فى الأب وإنما فى الحفيد . الأب فى الحفيد . فما أن عاد إلى حجرته مرتاحاً وهى تتبعه ، حتى دوت صرخة غاضبة . وجاء الحفيد جرياً فانقض على القطة ، ثم قبض على قفاها بشدة . ومع رجاءات الجد ووعده بأنه سيحملها إلى فراشه بعد اطعامها ، اندفع الحفيد غاضباً ، ودفع جده فى ركبته فترنح الشيخ ثم تهاوى فكاد يسقط على الأرض لولا أن تلقاه الجدار . ويبدو أن القطة كانت تبادله حناناً بحنان . فرغم وضعه المائل ظلت على ساعده . ثم زحفت حتى استقرت على كتفه المرتفع . وعندما أنقذوه من وضع يتهدد عظامه بالكسر «وثبت نرجس إلى الأرض وفرت إلى حجرته» .

وما كاد يعود إلى مقعده الكبير حتى أسند رأسه إلى ظهر الكرسى ، ومد ساقيه متنهداً ، وأغمض عينيه للاستجمام : «وفى الحال تذكر حفلة تأبين راسخة فى الروح . رجع من المنصة بعد أن ألقى كلمة طيبة ، ثم جلس إلى جانب صديقه . ومال الصديق نحوه وسكب فى أذنه ثناء جميلاً . لكن من كان ذلك الصديق ؟ . . آه . . إنه واثق من أنه سيتذكره ، وكم أنه مذهل أنه نسيه . قال كلمة لا يمكن أن تنسى كذلك . سوف يتذكرها حتماً . ودوى التصفيق والهتاف وارتفع نواء القطط ، وبكت كل عين حتى الأطفال ترامى صراخها . ومال الصديق نحوه مرة أخرى وقال . وتأكد من أنه سيظفر بالذكريات جميعاً . وسرعان ما استغرق فى النوم . . .» .

وينهى نجيب محفوظ القصه التالية لها مباشرة نفس النهاية : «الظاهر أنى ضعيف جداً . . ولكنى لا أدرى . .» . . «ماذا ؟! ، نعم ماذا ؟ ولكن لم ؟ هذه هى النقطة . .» . . «لذلك لا أستطيع أن أقطع برأى ، شقى أم سعيد» . . «عرفت كل شىء ، كل شىء ، حتى الهدف الحقيقى . .» . . «ورغم التصميم على عدم النسيان نسيت ، حقائق مذهلة ولكن ما هى ؟! . .» . . «حقائق هائلة مذهلة ، ولكنها ضاعت جميعاً . .» . . «كم أود أن أتذكر ولو قليلاً كى أموت مطمئناً !» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكأنما أراد نجيب محفوظ بهذا الترتيب أن يقابل بين الشخصيتين . فهذا الذى يود أن يتذكر فى قصة : «كلمة فى السر» حتى يموت مطمئناً أتى أمراً مشيناً أرعن ، لم ترض عنه أسرته ، وانتهى به إلى عدم الرضا عن نفسه ، ولهذا فإنه يُرى وكأنما يستدعى الموت . أما شيخنا فبه شوق إلى الحياة عارم رغم العزلة المضروبة حوله . فى مشيته مصداق ذلك : «وهو يسير إذا سار وئيداً ولكن بقامة مرتفعة ، ويستعمل العصا ولكنه لا يتوكأ عليها» . بل إنه يصرح بهذا : «وأخيراً ماتت بالقلب ، وتركته متعلقاً بالحياة» . ولهذا فإنه لا يستدعى الموت . بل يطمئن الاطمئنان كله إلى الذاكرة المتآكلة ويستغرق فى النوم وهو متأكد من أنه سيظفر بالذكريات جميعاً» .

احساس نجيب محفوظ بغربة الإنسان لا يقتصر على هاتين القصتين . إنه يصاحبه منذ عودته إلى أوراقه بعد الثلاثية . وهذا المشوار الطويل بحاجة إلى دراسة مطولة .

القاهرة : محمد محمود عبد الرازق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د. محمد برادة

دراسة

سؤال الديموقراطية وسؤال الإبداع

للوهلة الأولى ، وحسب المعنى الشائع المتداول لكلمتى ديموقراطية وابداع ، يبدو أن ليس هناك علاقة عميقة تجمع بين هذين المفهومين ، مادامت الديمقراطية تقترن بسيادة الشعب أو الأغلبية ، والابداع يحيل على ذاتية فرد متميز مطلق القدرة يخلق على هواه وبوحى من شيطانه أو عروسه . . لكننا إذا نفضنا غبار الاستعمالات السريعة أو المحملة بمعان أيدولوجية جامدة ، قد تتراءى لنا ملامح سؤال مشترك أو متداخل بين الديمقراطية والابداع بوصفهما ممارسة جوهرية يعتمدها الانسان لبناء المجتمع وفهم التاريخ وتجديد الثقافة واسئلتها .

ونبدأ بكلمة «ابداع» لأن التباسها يحجب منظور الرؤية . لقد عرفت هذه الكلمة ازدهاراً واشعاعاً متزايدين ضمن نسق الأيديولوجيا الانسانية التى قامت فى أوربا لمناهضة لاهوتية القرون الوسطى وتخليص الانسان من استلابه تجاه الدين ، فاستبدلت بفكرة «الله ــ انسان» «الانسان سيد نفسه» يستطيع أن يبدع ما يشاء وأن يعود إلى ملاقاة ذاته ليتحرر من الاستلاب . ومن ثم سرى مفهوم المبدع ــ الخالق فى وجدان الشعراء والكتاب ولا وعيهم ، معززاً بتأليه الرومانسيين للأنا ، ليوهم بأن العمل الفنى نتاج خالص يبدعه الانسان ، بينما حقيقة الأمر أكثر تعقيداً ، فالعمل الفنى حصيلة مجموعة عناصر وشروط ليس المنتج (المبدع) سوى عنصر واحد داخل النسق الذى اتاح للانتاج (العمل الفنى) أن يتحقق .

إن منتج العمل الفنى لا يخلق من عدم ، كما أنه لا يصل إلى اكتمال عمله الفنى داخل غموض مطلق . بل إنه مهما كان حراً وسيّداً لفنه ، يجابه بقوة مقتضيات موضوعية هى مقتضيات تنظيم عمله الفنى . لكن إلى جانب المقتضيات الفنية الموضوعية التى تحد من حرية المبدع ونزواته ، هناك شروط أخرى متصلة بعلائقه مع الآخرين ومع الذات والكون . إن الفنان ينتج ضد شىء أو تعميقاً لأصداء ترسبت فى نفسه خلال محاور الآخرين : مشافهة أو قراءة أو استماعاً أو تذكراً . ينتج المبدع داخل نسق ثقافى ليؤيده أو ليناهضه ، ويصوغ عمله ليقدم أجوبة أو ليطرح أسئلة . . وهو فى جميع الحالات يوجد داخل بنية تشرط سيرورة فعله وتجعل انتاجه (ابداعه) قابلاً لأن يحلل ويفهم من خلال خصوصيته ومن خلال التاريخ الذى يمده بالكثير من مقومات عمله . ولم يعد هناك شك ، الآن ، فى أن العمل الأدبى ــ مثلاً ــ هو فى معظمه نتاج حوار مع نصوص أخرى سابقة أو معاصرة له .

هذا الإلحاح على ان العمل الفنى هو إنتاج وحصيلة عمل ، يبعدنا عن حكم القيمة المسبق والمتضمن فى كلمة ابداع وهالتها السرمدية . . وبذلك نقترب من جوهر الموضوع ، أى من الانتاج الفنى المقترن بشروطه المادية والبشرية والخاضع للتغير والتبدل ، والقابل لتحليل طرائق الصنع والتكوين . فالجهد الإرادى ، وشروط الإنتاج الأخرى المتصلة بتحقق كل عمل فنى هى التى تتيح استجلاء سؤال الانتاج الفنى الذى ، على اختلاف أشكاله وادواته التعبيرية ، يقوم على اظهار الأشياء والكائنات والأصوات مغايرة لما تبدو عليه فى الواقع القائم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليس تاريخ الفن مجرد انتقال بين الأشكال واستكشاف للمجهول منها ، وإنما هو بالأساس تاريخ أسئلة ثقافية أفرزتها المجتمعات البشرية فى رحلتها من المجهول إلى المعلوم ومن المعلوم إلى المجهول ، وفى تشييدها للمتخيل الذى يضفى دلالة على صراعات الإنسان . سؤال الفن لا يفصل بين الاستتيقا والأخلاق ، لا يمايز الشكل عن المضمون ، ولا يتقيد بمثال فى الابداع . فى الغنى اللا محدود ، والتنوع المفرط للانتاج الفنى لدى مختلف الشعوب والجماعات ، نتأكد من أن هوية الفن لا تقبل الاختزال فى شكل واحد أو معنى أحادى . التعدد والتغير سمتان يقرهما تاريخ الإنتاجات الفنية على اختلاف الأزمنة والأمكنة . . ألا يكون سؤال الابداع (الانتاج الفنى) هو : كيف نعيش التغير من خلال تغيير وعينا وعلائقنا بالأشياء ؟

أن نتغير معناه أن نتخلى عن الهوية الثابتة والنظرة الاونطولوجية المؤسسة لأصل متوهم . أن نتغير معناه أن نعيش فى قلب الصيرورة وبتفاعل مع معطيات الواقع ، تفاعلاً تحويرياً يغنى الثقافة والانسان فى صراعهما مع الطبيعة والمجهول . لا يكون الابداع ، بوصفه انتاجاً مشروطاً ، خلقاً مكروراً لصورة انسان مثالى يحمى نفسه من الاستلاب عن طريق معانقة انسانيته الخالدة . . وإنما هو رحلة لتجسيد التغير وسط عالم ملموس متغير باستمرار . وفعل الانتاج الإبداعى وسيلة ضمن وسائل أخرى لتجسيد حوار الانسان مع شروطه وأسئلته وأفعاله . . ومن ثم فإن انسانيته ليست جواباً مُعطًى ، ثابتاً ، بل هى فعل يبتدع الأجوبة داخل شروط التاريخ وعبر الصراع مع حتمياته .

وما هوجوهر سؤال الديمقراطية من نفس المنظور : منظور التغير وتعامل الانسان معهُ

الديمقراطية كمفهوم تجريدى ، تحيلنا على تنظيم السلطة والعلائق الاجتماعية وفى فلسفة سياسية تعتمد الحوار والشورى ومراعاة مصالح الجماعات والأفراد المتساكنيس . . إنها ترسم منذ البداية أفقاً «طوبويا» يكون فيه الشعب حاكماً لنفسه ومن أجل مصلحة مجموع افراده ، وهذا يعنى ، على المستوى النظرى ، المساواة فى كل شىء . ومنذ حلم المدينة اليونانية والواقع يعاكس الديمقراطية الواثقة من صحة جوابها التجريدى ، ويذكرها بالتفاصيل وبحتمية التغير وضرورة تبيّن الانشطار والتناقض حيث تبدو الكتلة متراصّة أحادية الاتجاه . كأن التعريف الأولى للديموقراطية أحلّ البشر محلّ الآلهة . (روسو : «الديموقراطى يطلب شعباً من الآلهة») .

وقد لا تكون مختلف الوجوه ـ الأقنعة التى خطرت بها الديمقراطية عبر التاريخ سوى عناصر ملموسة للاقناع بضرورة اعادة صوغ سؤال الديمقراطية انطلاقاً من مجتمع البشر الذى يتشيد عبر الصراع والاختلاف والتناقض . أزياء مختلفة : من الديمقراطية المباشرة إلى البرلمانية التمثيلية ، ومن الحكم المفوض من الأمة والحزب الوحيد الممثل لارادة السعب إلى الشمولية والتقنوقراطية حيث الدولة تعوض الفرد وتعفيه من حريته ومن مساهمته فى القرار وتخطط له ما يضمن استمراره المادى حسب الشكل الذى تقتضيه المصلحة العليا وقوانين العقل والترشيد ! ومن ثم احساس الشعوب بالغربة داخل الديمقراطيات لأن ما ينجز لخدمة الانسان لا يفعل أكثر من مضاعفة استلابه وشعوره بالعجز وضياعه وسط دواليب السلطة المتحكمة فى انتاج الحقيقة وتعميمها وفى منطق يخدم استمرارية السلطة وتأبيدها .

وعلى ذلك فإن سؤال الديمقراطية تتحدد عناصره على ضوء التجربة والممارسة لتزحزح اشكالية البداية اليونانية . بدلاً من سؤال كيف يتحقق المثل الأعلى فى الحكم ؟ ننتقل إلى مستوى آخر يمكن أن نصوغه على النحو التالى : كيف تكون الديمقراطية صيغة لتنظيم الحوار والصراع من أجل مواجهة الاستلاب وتغيير أحادية الرأى والسلطة والثقافة ؟

ما يتهدد الديمقراطية باستمرار وعلى اختلاف الأزمنة والأنظمة هو هيمنة الأحادى . . على الجمعى المتعدد ، وتعويض الإقناع بالارغام ، والتحول بالثبات . . . وبذلك لا توجد الديموقراطية إلا عندما تضمن التغيير عبر الحوار والاقناع والإنصات لجدلية المجتمع . وفى هذا المستوى يلتقى الانتاج الابداعى بالديموقراطية : المراهنة على التغيير ومجابهة القوى «اللاهوتية» التى ترفض الصيرورة وتعوق التحول . ان نقطة الالتقاء بين سؤال الابداع وسؤال الديمقراطية هى تلك المتصلة بشرط وجودهما الحقيقى كممارستين . . ملازمتين للتغير وهادفتين إلى تحقيقه عبر الفعل الواعى لضرورة تبادل التأثير بين الذات والتاريخ . الوجود عبر التغير ، عبر التجدد ، عبر التعدد ومناهضة سلطوية البنية اللاهوتية ولغتها الأحادية الآمرة . والبنية اللاهوتية لم توجد فى القرون الوسطى وحسب ، بل هى لا تكف عن التناسل فى العصر الحديث وباشكال قد تختلف فى المظهر إلا أنها تلتقى فى الوظيفة والدور . بل هناك من يستشعر ملامح البنية اللاهوتية فى المجتمعات الاكثر تصنيعاً وتقدماً فى مجال التكنولوجيا والتدبير المعتمد على «الحاسوب» ، ذلك أن فترة ما بعد الحداثة المطبوعة بشمولية الدولة وسيطرة الرأسمال العالمى وتنجير الثقافة الاستهلاكية ، تؤول فى نهاية التحليل إلى بنية لاهوتية تبذل قصارى الجهد لاماتة النقد وتسخير كل شىء من اجل استدامة الربح . وهذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو التحدى المشترك المطروح على الديمقراطية والانتاج الابداعى : أى مقاومة ثقافة التسطيح وسياسات القمع والارغام ، والتشبث بحق الانتقاد والصراع لرفض الواقع القائم وجعل التغيير أفقاً للأمل .

كلا الديمقراطية والانتاج الفنى مشروط برهان مفتوح يلخص مظهراً أساسياً للمغامرة الانسانية : ايجاد علاقة بين الذات والموضوع بعيداً عن الاختزال أو التضخيم ، فبعد النزعة «الإنسيّة» التى ضخمت الذات نعيش فترة التقنية وامتداداتها ، ما بعد الحداثية التى تختزل الذات تحت وطأة «العقلنة» والضبط التكنوقراطى والمنطق القمعى لتحليلها إلى ذات تابعة لموضوع . وأمام هذا الوضع الشائك تكون الديموقراطية والابداع الفنى محاصرين بنفس السؤال : أية ديموقراطية تستطيع أن تعيد للذات مسئوليتها وسط تطور «لا رجعة ممكنة عنه ؟ واى ابداع يستطيع من قلب هذه المعطيات اللاهوتية أن يواصل رحلة مناهضة القمع والتدجين لكى يصوّر طاقات الحياة الكامنة ؟

ليس هذا التساؤل نفياً لـ «مضمون» تجارب ديموقراطية وابداعية تجاوزت الحصار ، وإنما هو محاولة لطرح المسألة على مستوى نظرى أعم يستشرف بعض اسئلة المستقبل . فإذا كان التاريخ يؤكد أن الانتاج الفنى لم يتوقف ولم ينتظر توافر شروط ديموقراطية ليوجد ، فإن سيادة ثقافة الاستهلاك وتنجير الفن واغراق السوق العالمية بانتاجات تفرغ الفنون من نبضها النقدى وابعادها الرؤيوية ، تطرح بقوة دور الديموقراطية ـ كصيغة لتنظيم العلائق الاجتماعية وحماية مكتسبات الثقافات الانسانية ـ فى إعادة صوغ أسئلة الثقافة والابداع .

هل نبالغ إذا قلنا بان أفق تجديد الديموقراطية مرتبط بالبحث عن أفق حضارى ـ ثقافى مغاير للأفق الذى حاولنا رسم بعض ملامحه الكالحة ؟

ان الانتاجات الفنية العميقة لعصرنا تتميز بكونها ذات رؤية انتقادية ، مخلخلة للأحادية والاجترار ، كاشفة لبؤس ديموقراطيات الخطابات ومعلنة عن حب الانسان للحياة . . إنها من هذا المنظور ترفض أن ترسم صورة مماثلة للواقع القائم ، وتمارس النقد خارج اعتبارات التداول . فهل يمكن للديمقراطية أيضاً أن تمارس نقد البنية اللاهوتية فى جميع أشكالها حتى يتجدد التحفيز والصراع وينفتح الأفق امام الاسئلة المكبوتة ؟

بعبارة أخرى ، فإن حالة الارتخاء التى توجد عليها الديموقراطية اليوم تعود فى الغالب إلى تلاشى البعد الثقافى الابداعى الذى تجسد فى رموز ودلالات ومؤسسات حفزت المجتمعات والأفراد إلى الكفاح من أجلها والموت فى سبيلها . . . ولكننا اليوم نجد أن دلالات الرفاهية والاستهلاك والحضور الكلى للتقنية هى التى توجه الثقافةمن أجل ترسيخ نموذج العيش عالة على نظام الترشيد التقنوقراطى . ومن ثم فإن أزمة الديموقراطية ليست شكلية أو تنظيمية وإنما هى أساساً ثقافية بهذا المعنى الذى أشرنا إليه ، أى تحفيز قدرات المجتمعات على الاصلاح الذاتى عبر تجديد الثقافة وقيمها وانطلاقاً من رفض التنميط الاستهلاكى وإعطاء الأسبقية لنقد البنية اللاهوتية فى جميع أشكالها .

الرباط : د. محمد برادة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إبجرامات - ٣

عز الدين إسماعيل

(اللون الصريح)

استعرضتُ الألوان لكى أنسج لى ثوباً يسترنى
فتنازَعَنى الأحمر والأخضر والأبيض والأسود
كلٌ يستعرض أبَّهته
لكنى آثرتُ أخيراً لون جنونى :
أن أستر عُرْيى فى عربى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(خِلاف)

ـ لا . .
ـ نعم
ـ لا . .
ـ نعم
(واحد منهما قاتل أو قتيل)

(انتظار)

ـ أما تزال جالساً منتظراً حدوث شىء ؟
ـ وما الذى نصنع غير الانتظار ؟
نعيش فى انتظار
نموت فى انتظار

(حوار الصمت)

ـ هل قلتَ شيئاً ؟
ـ لا . .
ـ فقد قلتَ إذن ؟
ـ ماذا ؟ . . نعم . . لابد أنى قلت شيئاً
ـ مثل ماذا ؟
ـ أننى ما قلتُ شيئا .

(أميّة)

كان أمامى جالساً يقلّب المجلة
وعندما أغلقها سألته عن انتفاضة الحجر
فهز رأسه متمتماً
وعندها أدركتُ توا أنه لا يعرف القراءة .

(دَوَران)

الذى قلناه فى اليوم هنا قلناه فى الأمس هناك
اختلفنا واتفقنا ، ثم عدنا فاختلفنا واتفقنا
وغدًا نقرأ ما قلناه فى صدر الصحيفة
لنُعيد القول فيه بعد غد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(خارطة للوطن)

بصيص من الضوء يكفى ليهزم جيش الظلام
وقطّرات ماء تبلّ الشفاهَ تعيد الحياة
وكِسْرَةُ خبز تردّ عن الجائع المَسْغَبَة
وبعض الحجارة يرسم خارطة للوطن

(تسبيحة)

لطمةٌ ها هنا
عطفة من هناك
وخْزَةٌ فى الحَشَا
مَرْفَأ من هلاك
أنت هذا ترانى . .
ولست أراك

(القريب البعيد)

تنقضى ساعة ، ينقضى اليوم ، والعام يمضى . .
وأنت كما أنت ، كل الخيوط مقطعةٌ . .
والفواصل مطموسةٌ . .
ونجوم الظهيرة مصلوبةٌ . .
والجنون قريب بعيد .

(أين الآه ؟)

عينى تنكر عينى فى المرآةِ . .
فتنكرها عين المرآة
وجهى يتراءى مختلفاً عن أمس فأنكرهُ . .
ينكرنى . . وجهى لا أنساه
وجهى مكتوب بالخط الكوفىّ على جبهته كلمة « آه ! »

القاهرة : عز الدين إسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معلقة جَديدة ..
لامرئ قيسٍ جَديد

محمد أحمد العزب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١)

قِفَا نَبْكِ . .
حتىّ نَبُلَّ الثَّرىَ . .
ونرْحَلَ فى ذكريات المكانِ إلى اللاَّمكانْ
بِسقْط الضَّياع . .
(على الأَرْزِ) . .
فى الحَدِّ بين (خيام الخليل)(وغرناطةِ الأمس) (والقدس) . .
لم يَعْفُ رسْمُ الخيانات فى الزمنِ المستباح الرديءِ المُدَانْ
تَرىَ بَعَرَ الجهلِ . .
فوق الشفاه . . وتحت الطَّيالِس . .
حَدّاً لِعِزِّ الخيال . . وحَداً لذُلّ البَيَانْ
وُقُوفاً عَلىّ صحابى بها
يقولون :
(لاتبْك فوق الطُّلول) . .
وقد عرفوا أن دمعى يصير على جسد الأرضِ . .
جرْحاً كبيراً . .
ويُقْلِقُ فى كل جرحٍ مُحَاذِ أمانَ الأمَانْ

(٢)

كَدَأْبِكَ . .
من (أُمِّ صابرَ) . .
يغْفُو على رئتيْها العَذَابُ . .
ويصْحو على مقلتيها حَنَانُ الحَنَانْ
وجارتِها . . (أُمِّ ياسينَ) . .
تأبَى الأمومةَ للعار . . أو للهوانْ
إذا قامتا . . فى الزّمانِ الوراءِ . .
تَضَوَّعَ ثاراً نبيلاً . . نبيلاً . . صهيلُ العِنان
ففاضتْ دموعُ القصائد بحراً . .
يقفيه بالغَضَبِ الشّاطئانْ . .

(٣)

ألارُبَّ يومٍ (بِدَارَةِ يونُسْ) . .
ولاسيّما يوم موت اليمامِ . . وعضّ البنانْ
لَبِسْتُ التّخلّىَ قَميصاً . .
وعاينْتُ كيف يصيرُ الرجالُ والنساءُ . .
وكيف تصيرُ الحُدُودُ الإماءَ . .
وكيف تصيرُ الرؤوسُ الدِّنانْ
ويوم عقرْتُ التّرابَ النَّبِىَّ . .
وراوغْتُ فيه اقتحام الطِّعانْ
فظلّ العذارى يدافعْن . .
رغم انكسار الخصورِ . .
ورغم انكفاء السماء على الأرضِ . .
حتى استوى السهمُ والنّاهدانْ !

(٤)

ويوم دخلْتُ على الوطن (الخِدْرَ) .
خِدْرَ النقائض . . والغزلِ المْحو فى الضِّدِّ . .
صِرْتُ رِطَانَ الرُّطَانْ
ومال الغبيطُ بنا فى الشروخِ البغَايَا . .

وتهْنأ معاً فى حواشى مُتُونِ الدخانْ !
وقلْتُ . . لكلّ المآسى :
(ومثْلُكِ بَلْوَى طرقْتُ . . فألهيْتُها عن حضَانَةِ غيْرِى) . .
وناحتْ على طلَلٍ نَجْمتانْ !

(٥)

ويوماً . .
تجاوزْتُ أَحْراسها . . إليها . .
بفاحش حبٍّ عَوَانْ
وراقصْتُ . . واجْتحْتُ . .
واستسلمتْ خرائطُها لانفعال التّنازُلِ . .
وارْتَحْتُ فى الرقْص والعنفوانْ
ونامتْ غدائرُ مسْتشْزِراتٍ (إلى الأرضِ) . .
فوق ذراعى . . وتحت سنابك خيلى . .
إلى اللاّ أَوَانْ !
وقامرتُ . . حتى برُمْحى . .
فمات المُقاتلُ فىَّ . . ومات المَدَى . . واستراح الحصانْ
وأيقظنى العبدْ
وكان المغولُ يعودون مِلْءَ الشوارعِ . .
مِلْءَ نزيفِ التقاسيمِ . .
مِلْءَ اليَبَابِ . .
وكنتُ أنا . . قد خسرت الرِّهانْ !

(٦)

ولَيْلٍ . . كموْج الهزائم . .
أَرْخَى علىَّ سُدُولاً . . سُدُولاً . .
وَرَاوَغَتْ الضّفتانْ !
فقلْتُ : ألا أيها الليلُ أَنْبِئْ بصبح . .
وما الصبحُ (عَفْواً) بِأَمْثَلَ منكَ . .
فَأَرْدَفَ قِنا . . ونَاءَ مُهانَاً مهانْ !
فيالكَ من ليلِ فَقْدٍ طويلٍ . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كأنّ النجوم . . بأمْراسِ حُزْنٍ . . إلى صُمِّ يأسٍ . .
تُشيرِ إلى (القُدْسِ) . .
والقُدْسُ تنحلُّ فى (أُورشَلِيمَ) . .
ويَبْكِى الأَذَانْ !

(٧)

وقد أَغْتدى . .
والمغُول يجُوسون فى رئتىَّ . .
بِقيْدِ الأوابدِ . . وَغْدِ الجَنَانْ !
مِكَرٌّ . . مِفَرٌّ . .
يكرُّ . . أَفِرُّ . .
ويُقْبلُ . . أُدْبرُ . .
يلتحم النَّسْرُ . . والبطُّ . .
وَقْتاً . . ركيكاً . . ركيكاً . . ويسترخيان !
ويَقْرَأُ :
(تَوْرَاةَ فَتْحٍ جديدٍ) . .
ونقْرَأُ نحنُ :
(قَرَائنَ مَحْوِ كِيَانِ الكِيَانْ !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنصورة : محمد أحمد العزب

هل ذهبت إلى البحر
هل قال لك

جمال القصاص

ما الذى قد تبقّى إذنْ ؟!
كانت الأرضُ تُكْمِلُ دَوْرَتَهَا
كلّما رفَّ طائرُهَا القزحىُّ ببابهْ
كان يَنْقُشُ وَهْمَ صبابتها فى يديهِ بوَهْمِ غيابهْ
- أنتِ تبتعدينَ . .
* وأنتَ . .
- لماذا التقينا ؟
* لأُغْلِقَ أبوابَ قلبى علىَّ
- وكيف سأفتحها . ؟!

* الفراشاتُ تخشى اشتعالَ الضِّياءِ
أنا امرأةٌ كَسَرَ العشبُ جرَّتَهَا
ليس لى غيرُ خمسِ حواسٍ ، ومملكتى
كَوْمَةُ الذكرياتِ . . ، أُعلّقها فوق

ظهرى ، لأُشْبِهَ جسمى . . !
تَدَارَكَهَا سَهْوُهَا المُطْمَئِنُّ
فلمَّتْ ملامحها من نقوشِ الجدارِ
ونَبْضَاتُهَا تتقاطرُ فى لجّةِ الكأسِ
تَرْشَحُ فى جسمهِ كالعُواءِ
تخطُّ ، وتمحو
فتصحو الحرائقُ تحت ثيابهْ .

الفراغُ يدَغْدِغُ قنّينةَ الرمزِ
يَكْشِفُ أوراقَهُ دفعةً واحدهْ :
- أشتهى أن تنامى على صدرىَ الآنَ
أطهو لكِ اللحمِ فى كعكةِ الأرزِ
نأكلُ . . لا نشبعُ ، البئرُ تُزْبِدُ
نَحْتَطِبُ النّارَ والعشَّ . . نمشى
وأَفْرِدُ خيمةَ جسمى عليك
ألوِّنها بالندى والمحارِ . .
أصيحُ :
أنا عاشقٌ أيها البحرُ ، ها . . ورَدْتى !

انظرى . .
الذكرياتُ على حافّةِ الماءِ
تَنْحَلُّ فى رئةِ الغيمِ أحصنةً ، ومواعيدَ لا تنتهى
ثَمَّ أزمنةٌ تتسلّقُ أسوارَهَا
ونساءٌ على سَعَفِ النّخلِ تَهْمِسُ أعضاؤهنَّ
ويرقصنَ فى خَدَرٍ مائسٍ
نفَضَتْ ذيلَ فستانها
وانْحَنَتْ فوق مَسْنَدِ كرسيِّها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- أنتِ متعبةٌ ؟!
* كان يومى ثقيلاً
وموضوعُ حربِ الخليجِ أضاع علىَّ مشاهدةَ المعرضِ الموسمىِّ
وبالأمسِ نِمْتُ مؤرَّقةً ، ونسِيت الدَّواءَ
أنا غُرْبةٌ ليس لى من دليلٍ سوى هذه الكلماتِ
التى تَتَعَثَّرُ خلفَ دمائى ، . .
فلا تنتظرنى وراءَ القصائدِ
لا تُخْفِنى فى صفاتى
- وكيف سأمنحكِ الخاتمَ الصَّدَفِىَّ
أُرَوِّدُ هذا الدُّوارَ . .
أعلِّمُهُ حكمةَ الرَّملِ والأَحْجِيَهْ ؟
* حين يبتكرُ الأبيضُ الأغنيهْ
يَتَبَدَّدُ صفو المكانِ
مشاجرةُ اثنين فى طَرَفِ البارِ
رائحةُ العطرِ فى المقعدِ الجانبىِّ
وخَفْقُ يدين على غَبَشِ الصَّوتِ تلتصقانِ ببطءٍ طرىٍّ
- سأمضى
فهل تذهبين معى ؟
* لا . . سأمكث بضعَ دقائقَ وحدى
يُعَدِّلُ ربطةَ ياقتِهِ
ويزيِّنُ شوكَ تمنُّعِهَا بجمالِ خَرابهْ !
- ما الذى قد فَعَلْتُ إذنْ ؟!
يَسْنِدُ القدمين على بُقَعِ الضَّوءِ
والنيلُ يستدرجُ الفتياتِ
يُشَبِّكُ أقمارهنَّ أساورَ فى وردةِ الماءِ
يضحكُ متشحاً بالأسى والبراءةِ . .
- هل تُخْلِفُ الموعدَ المشتهى ؟!
يتأمَّلُ صورتَهَا فى شرائحِ أمسيةِ الاحتفالِ
يدوِّرها فى يديهِ ، ويَشْطُبُ حرفاً . .
يغيِّرُ وضعَ المجازِ ، فيستبدلُ الفاعلُ
الصِّفةَ ، الحالُ لا يستقرُّ على غصنهِ
انبسطى الآنَ أيتها الصورةُ المتراكبةُ
انضبطى فى الإناءِ ، ولا تفضحى السِّرَّ
لا تعبرينى سريعاً . . ، قفى لحظةً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كى أشدِّدَ حائى ببائى ، أنوِّعَ قافيتى
وأجوِّدَ اسمى ، أحاذى خطاىَ
الكليلةَ ، أَخْطَفَ تفاحتى ويدىَّ . .

ويكتبُ :
قال فتىً لحبيبتهِ ــ ذاتَ يومٍ ــ أحبُّكِ
أنتِ سفينةُ روحى ونافذتى .
فانْحَنَتْ فوق مِزْولةِ الوقتِ
تُخْفِى عرائسَها فى رمادِ المرايا
تُفَتِّشُ فى دفترِ الماءِ عن ظلِّها
عن يَدٍ لا تباعدُ ما بين صرختها والحفيفِ
وعن مطرٍ ليس ينكسرُ القلبُ فيهِ
وعن حجرٍ لا يؤوِّلُ نبضَ العصافيرِ
يصرخُ : كيفَ تكونُ النهايةُ بينهما

الذكرياتُ تئنُّ على حافةِ الماءِ
والأراغيلُ تُغْمِضُ أجفانَها
ثمَّ تَنْعَسُ فوق كتابهْ .

- هل هو الحبُّ . . ؟
سِتُّ قصائدَ يا امرأةُ . .
والدَّمُ الوثنىُّ يراوغُ هذا الرَّمادَ
بأىِّ حروفٍ سَتُحْرَثُ مملكتى
كيف تصرعنى كلُّ هذه القصائدِ ؟
يا امرأةً وَسَّدَتْ ماءَهَا فى ضلوعى
ونامَتْ وريقاتُها فى أزقَّةِ حلمى . .

- اذهبى .
لن أعيدَ كتابةَ روحى
ولن أقتفى غيرَ طيرى
اذهبى
آنَ لى أنْ أودِّعَنى
أتأبَّطَ نفسى قليلاً
ألاعبَ هذا النَّجيلَ
ألفَّ عباءَتَهُ الرَّعويَّةَ فى خُصْلاتِ النَّهارِ
وأَحْشُوَهَا بالهوى والطحالبِ
أضحكُ منها ومنى . .

ويجرى . .
يطوِّحُ قنديلَهُ الطُّوطمىُّ رُقَىً فى عيونِ الصِّحابِ
يسائلهمْ رؤيةً لا تبينُ ، ولا تستبينُ
يعلِّقها فى القميصِ . .

«دعونى وشأنى»

ويلهثُ . .
يَصْطَادُ ضحكتَهَا بمرايا عذابهْ !

«أنقذنى من نفسى»
قلتُ : صوِّبْ نداءكَ . .
إن الحديقةَ نائمةٌ ــ ما تزالُ ــ
وصَفْصَافُهَا يتأوَّهُ فى سُرَّةِ النهرِ
والشمسُ ماءٌ تَجَمَّدَ فى إصبعِ العنكبوت
ولكنَّهُ . . لَمَّ أشعارَهُ غاضباً
ومضى .

ربَّما قال شيئاً ، ولم أنتبهْ
لستُ أعرفُ بالضبطِ
هل قال لى : ينبغى أن نسافرَ للبحرِ
ننشرَ قمصاننا للرذاذِ
ونكتبَ شعراً جديداً

وأذكرُ . .
يومَ ذهبنا إلى أحد الحكماءِ
شكونا له سِرَّ هذا التواطؤِ
بين ملامسةِ الوردِ والذُّوبانِ
وبين أناملها وشهيقِ الكمانِ

لصوتِ البواخرِ ــ فى آخرِ الليلِ ــ
طعمُ العناقِ ، ومَسُّ السَّتانِ
لِلَوْبِ الفراشةِ تحت القميصِ يدانِ

وحدّثنى . .
عن سماءٍ ستنهضُ من بين أنقاضِهَا
عن بلادٍ ستولدُ من بين إجهاضِهَا
كان دَفْقُ المخدِّرِ ينسابُ بين الوريدِ بطيئاً
وعنقودُهَا يتلوَّى ، ولونُ الملاءةِ . .
يَحْمَرُّ

يَسْوَدُّ
يَصْفَرُّ
«فيروزُ» تصرخُ «شادى» ، . .
فينهضُ من صمتهِ
يستعيذُ بخِرْقَةِ أجدادهِ :
«حاملُ الهوى تَعِبٌ .·. يَسْتَخِفُّهُ الطَّربُ»

الشوارعُ لا تختفى
- هل هوَ الحبُّ . . ؟!
عيناهُ تنكفئانِ على لَسْعَةِ اللونِ ، تنسكبانِ
الرَّصيفُ يضيقُ
يضيقُ
يضيقُ
نداءاتُ بائعةِ الفُلِّ غامضةٌ
والمدى يتثاءبُ . .

تَمُوزُ يَخْلَعُ أثوابَهُ .
شرفةٌ تُخْفِتُ الضَّوءَ . .
والبابُ يمشى رويداً . . رويداً
جنودُ الحراساتِ يستبدلونَ أماكنهمْ
والمحلاتُ تُزْلِجُ أقفالَهَا
لا يزالُ البنفسجُ فى سَمْتِهِ . .
مولعاً باصطيادِ الفراشِ
فتىً وفتاةً يغيبانِ خلف السِّياجِ
صدى صرخةٍ يتكسَّرُ فوق الشفاهِ
آهٍ . . ينبغى أن أعودَ . .

تأمَّل صورَتَهُ فى ظلالِ الفتارينِ مرتبكاً
ومضى .
كان وردُ الشُّرودِ على وجههِ ذابلاً
والمدينةُ تنزفُ تحت ثيابهْ !

القاهرة ــ جمال القصاص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

قصائد الأمل

عبد المنعم رمضان

إلى جورج حنين*

أستلقى فى آنيةِ الوقتِ
وآكلُ
أشربُ
أحلمُ أن أستلقى
فى الملكوتِ الأدنَى
فأنا ياسِى أعمقُ من هذيانكَ
أنتَ حملتَ عصاك
وخوّضتَ المتوسط . .
وأنا أشجارى تذبلُ
فى أنسجتى
وخلاياىَ
إذا أهويتُ عليها
سوف أموتُ
وإن أغفلتُ الورقَ السّاقطَ منها
والجذرَ العطشانَ
فسوف أموتُ

تعالَ إذن
لا تكملْ سَيْرَكَ فى باريسَ
تنفّضْ مِمّا علق بأطرافِ البالطو . .
واحملْ فى رجليكَ مكاناً لك
فأنا لا أملكُ فى الميدانِ
سوى ظلٍّ
يعصمُنى
لن أعطيه لأحدٍ
ـ حتى أنتَ ـ
هو المستقبلُ لى
هل تخشى أن أتخلّى
هل ستكون وحيداً ؟
أعرف أنك سوف تحاولُ
أن تستلقى
أن تتنفّسَ
تجلسَ
فالميدانُ هنا
ملآنُ بما لم تسمعْ عنه
من الحوذيّةِ . .
والميدانُ هنا

* جورج حنين : شاعر مصرى سيريالى كتب شعره بالفرنسية ، هاجر إلى باريس ومات بها .

لا يقبلُ غيرَ الوطنيينَ
وأنت وحيدٌ مثلى
خذْ أيّامك من باريسَ
وخذ عينيكَ من الكتبِ المرميّةِ
فى الطرقاتِ
تعالِ إذن
واحتجّ إذا حاولتَ على نفسِك
واصنعْ من يأسِك فأساً
واحملْ تحت ذراعيك المتهدّلتين
قصائدكَ الغامضةَ

وفى الميدانِ
ابحثْ عن ظلٍّ
حاولْ أن تتشبّثَ بى
واخبطْ فى الأرضِ
سنهدمُ هذا الظلَّ
ونحفرُهُ

حتى يتّسعَ لما يتبقّى من جسمى
ولما لا ينفدُ من غاياتِ اليأسِ
وحاولْ أن تتشبثَ بعدئذٍ
بالنورِ

ولكنّى
أرجوك
اردمنى بقصائدِكَ الغامضةِ
استبدلْ أحزانَك بى

لا تسألْ أحداً عن (بولا)*
واقطفْ ذاكرتك
وافرشْ فوق الأرضِ خيالكَ
وأجلس فوق الظلِّ
هنالك سوف تكون وحيداً مثلى
سوف أكون وحيداً مثلك

: هى إقبال العلايلى زوجة جورج حنين .

الصباح

ماذا تريدُ منّى أيها الصباح ؟
رفعتُ ظهرى عن حوائجى
ولم أزلْ أرفعُ عن أغطيةِ الفراشِ
أوّلَ الحلمِ
وآخرَ الكابوس
هل أنت جاهزٌ لنذهبَ الآنَ
ونفتحَ الجسمَ
نعانقَ الأرضَ التى تفرّقتْ
أم أن موعداً لديك ؟
أم أنك اتّشحتَ
بالسخريةِ
التى عرفتُ بعضَها فى أولَياتِ العمرِ ؟
أنت جاهزٌ لنذهبَ الآن
فلا تضَعْ كفّيك حول خاصريك
دعْ قوامك الممشوقَ
يخبط البناتَ فى مؤخراتهن
علّهن يندفعن للأمامِ
علّهن يرتبكن
أنت جاهزٌ
وما أزال ألبسُ الفانلّةَ القطنَ
أوسّع الأوردةَ
التى ترفُّ حول القلبِ
كى تصير بلدةً
تساعنى
أشرعُ فى اتخاذ صفةٍ
تلائمُ المرورَ جنبَ البحرِ لحظةً
تلائمُ التتويجَ
حينما نهمُّ باقتطافِ خطوةٍ
وزرعِ خطوة وراءها
لعلّنا لم ننسَ شيئاً بعدُ
غير أننى أودُّ لو أبادلُ ابنى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبلةً
تُنسيك أنني هنا
تنسيك أننا ندبُّ فوق الأرضِ عامِديْنِ

قيلي لي :
إن احتدامك الدائمَ
حال أن تكون تحتك امرأة
وإنك اشتركتَ في مظاهراتِ النوم باكراً
لكي تصافحَ الوجوهَ كلَّها

لعلّنا لم ننسَ شيئاً بعدُ
غير أنني أراك مثقلاً

رداؤك الفضفاضُ
يحملُ الأزمنةَ التي أضعتَها
وحصنُك القائمُ خلفَ النهرِ
لا تعشّشُ الطيورُ فيه
ليس يكفيه

سوى أن نلتقي معا
لو أننا نملكُ أن نشردَ

دونما وجهٍ
ودون خيمةٍ
ونحرقَ الماضي
لأصْبحَ التاريخُ فحمةً صغيرةً
تهمسُ لي

ولك
أخافُ أن أصدِّقَ الحلمَ
فوجْهُك الذي اتّخذتَه منذ قليلٍ
صار دون فمْ

إذن
لتَجْلس الآن على أريكتي
فنحن لم نعد نصلحُ للتجوالِ
لم نعد نصلحُ أن نصطادَ
من أصواتِ هذا العالمِ
الصدى
ولم نعد نحسُّ أننا
نسيرُ عاريين
فاخلع الرداءَ

والأزمنةَ التي تهيمُ فيه
قفْ عليهما
حتى إذا داهمت الطيورُ
حصنَك القائمَ عند النهرِ
لا تخفْ

سوف تكون في البعيد خيمةٌ
تهبطُ من مزارعِ الغروبِ وحدها
تكادُ أن تحملَ سقفَ البيتِ
تغلقَ النوافذَ
الحجراتِ

تحكمُ الرتاجَ عند البابِ
تملأ المكانْ
لأنك الآنَ

ورغم عنفوانك الظاهرِ عند الفجرِ
لم تعُدْ شاباً
ولم تعد يداك تحملان
من أسلحةِ الفوضى
سوى الضّحِكْ
ولم تعد تدسُّ أنفكَ الناعمَ
في أسرّةِ البناتِ
كي يدَعْن النومَ
ـ ليس كلَّه ـ
وإنما يتركن في العينين مسحةَ النعاسِ
لم تعد تخلعُ عن أذنيك
قُرْطَ الليلِ

أنتَ خائفٌ
تستعجلُ اكتمالَ دورةِ اختفائِك الآنَ
لكي تذوبَ السكّرَ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والأعشابَ
والعقاقيرَ
وتأكلَ الأطعمةَ الحارَّةَ
ربما تنامْ
إذن
سنلتقى غداً

القاهرة : عبد المنعم رمضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرأة.. والميتافيزيقا

عبد العظيم ناجى

الكورس : الشتاءُ هو الكرةُ اللولبيّه

هكذا أنتَ تخرج من مأزق الموت . . . تسقطُ فى مأزق الأبدّيه
ها هو الظلّ ينحسر الآن فى أطلس العشق . . عن ورق يابسٍ
فى صنوبرة الماء . . عن ورق طازجٍ فى صنوبرة العدميّه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انفتحت نافذة الشتاء .
وارتجلت حناجرُ الموز . الدخان . . الأبنوسِ فاصلاً
من الغناء الملحمىّ فى وداع الصيف والربيع والخريفْ . . .
انسلّ من بين شرانق الصمت الرخاميّة.طائرُ السُّنُونُو
مدّ جناحيه الخَجُولين على سبّابةِ الضوء . . . ودار دورةً
قصيرةً . . . تثاءبتْ عيناه . . . لفّ حول برعم السكونِ
صَوْته . . . وانكسرت حشاشةُ اللحن الدخانّى على منقاره . . .
تدحرجتْ من قلبه أُغنيةٌ صغيرةٌ ذاتُ مذاقٍ شاحبٍ حرِّيفْ . . .
هل الشتاءُ زهرةٌ من شجرِ الرَّحيل أَم من شَجَر اللِّقاءْ ؟
حمامةٌ جميلةٌ نرسمها فى كفّنا ، نسكبُ فيها عَطَش
الفرشاة للألوانْ . . .
نُطلقها فى مومياء الصمتِ كى تمارسَ الغناءْ
كان المكانُ ناصعاً كأنه قلادةٌ من العقيق . . دافئاً كأنه
غلالةٌ منسوجةٌ من ورق الدانتيل . . .

وكانت الأرائكُ الرُّوستيك ... رحلةُ العطور ... شجرُ الفُسَيْفساءِ ...
وجهٌ بوذا فَوْق أذرع الزجاج ... النَّوْرسُ المحنطُّ ... الأيقونةُ الفضيّةُ ...
المنمنماتُ الذهبيّةُ ... ابتسامةُ الجوكنده ...
تعزفُ لحناً لامعاً كالثلج ... فاتراً كنكهة النبيذ ...
ميتاً كجسد الرخامْ ...
وفوق بقعةٍ زرقاءْ ...
كانت هناك لوحةٌ زيتيّةٌ صغيرةٌ مشبوكةٌ على ذراع من عُقود
الصَّنْدلِ المفَّرغ المشغولِ بالبرونز .
المرأةُ الزنجيّة الضفائر ... القهويّةُ الرائحة ... النوبيّة العينين ...
لا تزال تستحمُّ خلف غابةٍ من الرذاذ والدُّخان ، تسقطُ الشمسُ
على معصمها ... تذوبُ فى توهّج الثديين والفخذيْن ، تستقر فى استدارة
الأحشاءِ .. تستطيل ... تنحنى ... تولد فى الصباح من إبهامها ...
ترقص حولها القنادسُ الملوّنة ...
وخلفها يجلس قاربٌ مُزوّق على سُلاَمَيَاتِ الماء ... مثلَ مالك الحزينْ ...
وانفتحت ستائرُ الصيف .. الربيع .. والخريف فوق رَدْهة الشتاءْ ...
فأقبلتْ كأنها فراشةٌ تحمل فى ريش توهّجاتها كلَّ طُفولة الحقول ... بقعةً
ضوئيةً ... قصيدةً تحمل فى أجفانها الخُرافةَ ... النشوة والجُنونَ ...
خُصْلةً من زهرة الصنوبر البريّة ...
تجرّدتْ فأصبحت لؤلؤةً .. تحوّل المكانُ موجةً كبيرةً ، محارةً سحريّة ..
تحوّل الزمان عُلْبةً من الحرير ...
تحركتْ فأصبحت مسافةً شعريّةً ... واحترقتْ كزهرة الفُوسْفُورْ ...

الكورس : ظِلُّكِ الآنَ أطولُ من قامتك ...
فانتظر دورة الشمس كى يُصبح الظل غمداً لجسمك ... وافتِلْ من الماء
عكّازتك ...

أصبحتَ أنتَ البحرَ ... والنُّوتىُّ ... والأُغنيّة
فاجعل غصون لحنك النحيل قارباً ، خيوط قلبك النحيل نورساً ...
قماش حلمك النحيل مزْوَله ...
ولتبحرْ الأصدافُ والأشجارُ والطيورُ فى عينيك ، دَغَلُ التساؤلاتِ
فى جبينك ، المدائنُ المسحورةُ .. الطواطمُ ... الكبريتُ فى وريد
معصمك ...
وَحْدَك أنتَ الشعرُ : سجدةُ المداد ... فَرَسُ الحروفِ ... برتقالةُ القصيدة
المنسيّه ...

فخلف هذه الجزيرة العارية السِّيقانْ . . .
تحوّلتْ فتاتُك الشقراءُ صخرةً . . تحوّلت عظامُها البيضاءُ مزهريّه . .
فلتسكب الإكسير فى عظامها لتستدير الشمسُ فى خمائل الأحشاءْ , , ,
ولتصبحا صوتين صارخينْ فى البريّهْ . . .

رأيتها سُنْبلةً على قميص الماءِ . . . كنتُ عائداً من رحلةٍ قصيرةٍ
أبحثُ عن شُجيرةٍ ترمّلتْ فصباتْ وهجرتْ طُيورَها . . .
قابلنى الخريفُ فانحنيتُ فى ابتسامة وديعةٍ . . . بحثتُ
ــ حين شقّنى سيفُ الهواءِ ــ فى ترى ذاكرتى عن جسدى . . .
كانتْ هناك تغزلُ انتظارها كوفيّةً نيئةَ الألوانِ ، صُفْرةَ
الحنين جورباً مزوّقاً ، تكلّم السُّنونو :
وكانت الدقائقُ . . . الساعاتُ قد ترهلتْ أثْداؤها
يأيها الصوتُ الخريفىُّ الذى أسكنتُهُ ضفائرى ، ألا تزالُ
صورتى على كتاب الماءِ ؟ . . . كنتُ قطّةً أليفةً مصنوعةً
من ورقٍ مزركشٍ ، وعندما جاء الصباحُ قالت الطيورُ :
قد كبرتِ ، صرتِ بَجْعةً ، فلملمى نجومَك الشقراءَ فى فستانك
الريشىّ . . .
وأقبل الصيفُ الربيعُ . . والخريفُ . . والشتاءُ فى طُقوس العُرْس . . .
جوقةُ الحُداة . . . المنشدين . . . العازفين . . كرنفالُ الشعراءِ فى
مراسم الغناءِ . . . كلُّهم يريدُ أنْ أمنحه وسادتى . . .
لكننى شبكتُ ريش العطر والنجوم فى ضفائرى . . . غنيّتُ للبحر
فجاء راكباً جواده ، أضجعنى على ذراعٍ صخريةٍ عاجيّةٍ ،
غنّته فضمّنى . . . أسمعته قصيدةً دافئةً من جسدى . . .
فلفّ حول إصبعى خاتَم أُغنياتهِ . . .
هَدْهدنى فانصهرتْ سبيكتى على ذراعيْه الجميلتين . . .
أَذَقْتُه عُسَيْلتى . . . أذاقنى عُسَيْلته
حادَيْتُها . . . تحاور الجسمانِ . . .
ثم قلتُ : ياسيدتى لكننى أنا الذى . . . فالتفتتْ ، فقلتُ :
ياسيدتى لكننى . . . فابتسمتْ ، فقلتُ ياسيدتى . . . فانكسرتْ
على يدى . . . ثم سقطنا ميتيْن . . .

هل يصمتُ الشّاعر أم يُغنّى ؟
وهل يصوغ من رماد صوته مدفأةً يُلقى لها بحطب الأسئلة الحزينة ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقبرةً يدفن فيها جُثّة اشتياقه الفطرىّ للغناءْ ؟
أم سلّةً مملوءةً سفرجلاً وقسطلاً . . . مائدةً يدعو لها
كلّ طيور الماءْ ؟
أم حجراً مدبباً يثقبُ حلْدَ الصمتِ . . . إبرةً تَثْقُب قشرة السَّكينه ؟

الكورس : بل يُغنّى فيجعلُ من صورته زمناً ثانياً . . . وطناً ثانياً للنخيل . . .
صلاةً بتوليّةً . . . مهرجاناً من الصّحو . . . قابلةً تُرضعُ
الشمسَ من ثَوْبها زَبَدَ الشِّعْرِ ، حتى إذا أَغْفتِ
الشمسُ رشّت عليها ضفائرها ، فإذا استيقظت
كحّلتها . . . أعادتْ إليها رصيعتها الذهبيّه . . .

توسّد الشّاعر ظلّ صخرة عاجيّةٍ ، تقوّستْ أحلامه ،
تحوّلت نوارساً ، تشكّلت من ريشها زلاّقةٌ صغيرةٌ ،
تحملها أجنحةُ القنادسِ الملوّنه . . .
ولوّحت سنبلةً بكفّها ، فعطّرت كل خلايا صمته ،
فهبَّ من نُعاسه ، لكنّها تحدّرتْ ثم اختفتْ وراءَ غابةٍ
من الرذاذِ والدُّخانْ . . .
كأنها فراشةٌ نائمةٌ على ذراع شَرْنقه
واشتعلت كالنجمة المحترقه . . .

الكورس : فَرَسٌ وَرَقىٌّ نشيدُك ، فارفع أنامل صوتك للآلهه . . .
قَدَرٌ أن تموتَ على خنجر الشعرِ ،
أن تتكفّن فى تُرْهَهْ . . .

الإسكندرية : عبد العظيم ناجى

صدى

محمد فهمى سند

الصَّدَى ،
يَتحوَّلُ عندالنّداءِ ،
هُدىً ، أَوْ رَدَى
الصَّدَى ،
يتردَّدُ فى خَفَقَاتِ الْقُلُوب ،
إذا انْسرَبَتْ وشوشات الحبيب ،
ومَالَتْ على أذن العمرِ ،
تحكى شَوَاغِلَهَا لِلْمَدَى
الصَّدَى ،
صَرْخةٌ تَتَكَسَّرُ خلف الفضاء ،
تُفَتِّشُ عنها الْعُيون ،
وتَلْمَسُها فى جبين التَّلَهُّف ،
صوتاً قريب المنال ،
وهمساً يضيع سدى
الصَّدَى ،
لعبةٌ لِلْفَرَاغ ،
إذا ركب الحبُّ ،
رأس عشيقين ،
مَالَتْ بِسِرِّهما الريح ،
ظلاً يَدُورَان حول الظِّلال ،
ويرتشفان نداءهما ،
قُبْلَةً تتحدَّرُ بين نشيدين ،
للحظة المصطفاة ،
وصوتاً شجيًّا ،
إذا انحلَّ صوتُ الحبيب شعاعاً ،
تَسرَّبَ بين الوجود يدا
الصدى ،
لحظةٌ تَتَسَرْبَلُ بالأمس ،
تعدو على كفَّةِ الزَّمَنِ المستدير ،
فَلاتَهْتَدِى لِلَّذى تبتغيه ،
ولا تستطيع التَّوقُّف ،
حتى يصير الزمانُ رَدَى . . . !
ما الَّذى كنتُ أَعْدُو وراءَ شذاهُ ؟ ،
أُفَتِّشُ كلّ السَّراديب عنه ؟ ،
أصارعُ خطوى بكلِّ طريقٍ ؟ ،
وأجرى لألقطه لحظة من جيوب الزمان ؟ ،

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وأنزف عمرى لألمس جبهته،
قبل طىّ السنين ؟ ،
وأصرخ :
« يا أنت . . . يا . . . » ،
فيجيب الفضاء ويصرخ : ،
« يا أنت . . . يا . . . »
أَرْتمى فى جيوب ارْتعاشى ،
وأسأل :
من ذا ينادى ويصرخ ؟ ،
ترتجُّ حولى الشقوق ،
وأعرف أنَّ الصراخ صدى . . !
. . . . . .
. . . . . .
ربَّما تَشرئبُّ انتباهةُ عقلٍ
لتوقن أنَّ الذى ،
يتفجَّرُ هذا المساء ،
هدًى . . . أَوْ . . . ردى . . . ! .

القاهرة : محمد فهمى سند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آخر الخيط

وليد منير

تَعِبَ بخيطٍ شفَّ من روحى أنا
وصلَ المكانَ ـ الوقتَ ، بالوقتِ ـ المكانِ
وحين دقَّ
ورقَّ
صار مهيأً للقطع
هذا الخيطُ لو قُطِعَ اختصرتُ مسافةَ الدنيا إلى موتى
وصارت وردةُ النسيانِ حالى

الكائناتُ تسيرُ فى صفٍّ طويلٍ فوق خيطٍ شفَّ من روحى
وأحرَصُ ما أكونُ أنا على أن يستمرَّ الخيطُ مشدوداً بأنملتىَّ

لكنى أُحِسُّ بخطوةٍ كفراشةٍ
وبخطوةٍ أخرى كجلمودٍ
وأخشى أن تمرَّ خُطىَّ تخونُ فراستى فيها

فتفجؤنى بما لا أستطيعُ ؛
خُطىً أشدُّ قساوةً
وأقلُّ إلماماً بطاقةِ كائنٍ مثلى
فتَبْرِى مثل نصلٍ لامعٍ ومُدَبَّبِ الأطراف خيطاً شفَّ من روحى

أنا تَعِبٌ
فهل لى أن أقول إذا استعرتُ من المجازِ حقيقة البرهانِ
أنى بالوجودِ مُكدَّسٌ خالٍ
وهل لى أن أقول : كأن طيفاً بعضه منّى وبعضى منه
يأخذ من وجودى كى يضيفَ إلى زوالى ؟

تَعِبٌ بكل فتىً أحَبَّ أنا
بكلّ عبيرِ سيدةٍ مشت فى شارعٍ فى الكونِ
بالطفلِ الذى لا يستردُّ على مدى الأيام مهجته من الأيامِ
بالعصفورِ مُلْقىً فى سوافى الريحِ مكسورَ الجَناحِ
بمركبِ ناءٍ وليس له شراعٌ يعرفُ المقصودَ
بالقمرِ الذى يبكى من السهرِ الطويل
ولا يرى تلويحة الأيدى
ولا يرتاحُ من نزقِ الأعالى

لمست أناملُ راحتى عمرى
فقلتُ : تأكدى من أنه عمرى
وآهٍ
من حريرِ العمرِ
يسرفُ فى نعومته
فتنزلق السنون عليه
ينزلق الحنين كأنه ماءٌ
فتكتملُ البصيرةُ
يصبحُ الفقدانُ شرطاً لاشتعالى

تَعَبٌ على تَعَبٍ
فأين أنا ؟
وأين سجيّتى الأولى ؟
وأين منازلى ؟

كل المتاعب تستوى كسفين نوحٍ فوق روحى ؛

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوق خيطٍ لم يزل متوتراً بحرارة الإيماءِ
مشدوداً من الرؤ يا إلى حال الصعودِ
وواهناً
كدم الغزالِ
وممعناً فى الطولِ كالأبديّةِ
التعبُ استوى
وأنا استويتُ عليه
والأحزانُ أجملُ فتنةً من أن تُرَى
والكائناتُ تسيرُ ثمّ تسيرُ
لا أدرى
أيكبرُ نِيرُ وطأتها معى أم لا
فهاتوا وِرْدَكم
وتأمّلوا ما يعترينى من شحوبٍ يربطُ العِلاَّتِ بالوردِ
ارفعوا يدَكُم إلىَّ
أنا المريضُ بكم
وخلوُّنى أبعثر صرختى فيكم
وأنجو من مفاجأة اغتيالى

القاهرة : ولد منه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

الأفعال الخمسة العربيّة

مصطفى رجب

إهداء إلى روح الشهيد « أبو جهاد »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ شَجَبَ

إنْ صحبتَ زوجُك رجلاً آخرَ فاشجُبْ !
فإذا أنت شجبتَ فثق أن الزوجةَ من غيرك لن تَنْجِبْ !

٢ ـ استنكَرَ

إن بَلَغَ السيلُ زُباه ، وأنكرك ابنُك علناً فاستنكِرْ
أعلن للناس استنكارَك ، واستبشرْ
فعسى أن ينحسر السيلُ ، ويعترفَ ابنُك بِكْ !

٣ ـ أدَانَ

لو أن الجارَ تمادَى فى قَذْفِكَ فاصْبِرْ ،
فإذا اتّهمك ، أو حاول أن يلتهمَكَ فاصبِرْ !
أما إن جرَّبَ مِطْواةً فى حلقك . . فأَدِنْه .
أعلِنْ للملأ إدانتَك ، وثق أنك متحضِّرْ !!

٤ ـ احتَجَّ

لو قالوا إن الناسَ سواسيةٌ فاحتجَّ
ولا تتحرَّجْ .
ليس الناسُ سواءً فى الرزقِ ،
وليس السالمُ كالأعرجْ
أمّا إن قالوا لك : قِفْ . فالزم حدَّكْ
سَلِّمْ
لا تحتجّ !!

٥ ـ رَفَضَ

إن جاءك رهط من قومك بالبيعة فارفُضْ
واعلم أن مبايعة الجائع قد تُنْقَض .

سوهاج : مصطفى محمد رجب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شئ من الصّمت

أحمد غراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شيءٌ من الصمتِ كى أرسو بأغنيتى ... وتستريح من الإبحار أوردتى
أسْمعتنى ألف شكوى حينما ارتطمت ... بجبهتى سقطت فى اليمِّ أشرعتى
يا ألف زوبعةٍ بالثلج قادمةٍ ... تدقُّ أبواب خُلجانى وأوديتى
الليلُ يبكى على صدرى وفى أذنى ... صدى انهمارِ دم الأقمار فى شفتى
إلى متى تجرحين الصمت ظالمةً ... وتطفئين وريد الشمس فى رئتى؟
دخلتِ كالغيمة السوداء فى أفقى ... هل ثمَّ نجمٌ رقيق القلب لم يمتِ ؟
كيف أجترأتِ على محراب صومعتى ... وسرتِ فوق تسابيحى وأبخرتى ؟
طارت عصافيرُ إلهامى كما اختلجتْ ... أصْفىَ مرايا الرؤى فى كفِّ أخيلتى
وذاب فى حزنه البلّور وانكسرتْ ... على ذراع الدجى السهران أجنحتى
هذه جدائل أفكارى ممزقة ... يلقى بها الليل أحطابا لموقدتى

* * *

دهرٌ أهدهد أوتارى فوا أسفًا ... أطعمتِ للنار أنغامى وأزمنتى
أناملُ الضوء لن ترسو على عنقى ... وأنتِ فوق جبينى ظل مقْصلتى

لكم تبدلت من رؤيا مجنحةٍ ... لواقعٍ جامد الإحساس سيدق
ظلّ كئيب وأبعادٌ مثلجة ... فمن تكونين ؟ قولى أين ملهمتى ؟
هذا الفم الشاحب الأصداء أكرهه ... ولا أرى فيه إلا طيف مقبرق
وكان ثغرك أوتاراً ممْوسقة ... تسْتنهض الطير فى دنيا مخيّلتى
والآن يمطر أحجاراً وأتربةً ... ويتْرك الحرْف مصلوباً بحنجرق
ما عدتُ دافئة الوجدان فابتعدى ... لن أجْدل الحلْمَ من أكفان ميّتةٍ
إن الجنون وقوفى تحت مقبرةٍ ... لا ترْشح الملحَ إلا فوق جمجمتى

أحمد غراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوس الصيفي

بهاء جاهين

تدخلني الأشباح قرب الفجرْ
تخرج منّي في ضجيج السوقْ
بضاعتي . . ثوب شفيف صدره ممزوق
مازال ذيله بليلاً وبه حبّاتُ رملْ
تهبُّ ريح البحر منه . . وهدير البحر
بعد سنين هجرتي
من ملكوت الوَدَع الكذّاب
تحت ثيابي ما يزال اللؤلؤ المسروق
وفي خيالي ما يزال العنق المخنوق
صاحبة الثوب القديم ما تزال
جثمانها يسكن قبو الرعب في صدري
تسكنني الأشباح حين أختلي بالورق النديان
حديقتي في ظلمة الفجرِ
تُنبِتُ وجهاً بعد وجهٍ . . وعيوناً تثقب النسيان
وَجْهاً فوَجْهاً تتجعّد
تنبُت أنيابٌ لها . . تفترس الأوراق والغصون
تلصق أنفها على زجاج شبّاكي
وتلعق الزجاج بالألسنة الزرقاء
ينهمر الزجاج كالحُلْم المهشّم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تزحف فوق أرض حجرتى الوجوه
وتصعد الجدران
تلتهم الستائرَ المرخاه
تصلبنى فى صفحة المرآه
أبصر وجهى مثلها . . تطمسه الغضون
وجهاً جنونىَّ العيون
تبتلع المرآةُ صرختى
ينسكب الظلام فى المرآه
أفيق فى السوقْ . . وفى يدى
ثوب قديم
هذا مصير الهَوَس الصيفىُّ
خُمار كأس الزبيب
والسمك المشوىُّ
فى مطعم جدرانه زجاج
ترشُّه بالماء
عرائس الأمواج
وغنوة مفعمة بالشجن البحرىِّ
يحملها نسيمُ ليلِ البحر
من مرقص قريب
تحمل للمجنون عطر البحر
يرقص فوق الرمل عرياناً
وقد أضاء جسمه الفوسفور
يكتب فوق ظلمة الماء بخط أخضرٍ مضىء :
«الويل لى . . »
للقدم الصغيرة التى تغوص فى الرمل الدفىء
لكل من يدفعها الجنون للمجىء
حافيةً . . فى ليلة كهذه . .
لكى تواجه المصير ! .

القاهرة : بهاء جاهين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العَربُ القدمَاءُ*

عادل عزت

« افتتاحية »

أقفُ بأعتابِ القرآنِ شفيفَ النفْسِ طَروباً وخائفاً من الأصفادْ .

مجتازاً طفولتى وصباىَ : مدينتينِ من الأشجارِ والأشواقِ والإنشادْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالتِ اتْبَعْنى فَتَبِعْتُها . صبىٌ يدارِى طفولةً فيهِ وصَبِيَّةٌ أنثى . أخذتْنِى إلى مكانٍ يأتيهِ الغروبُ قبيلَ الأماكنِ الأخرى . . . جَسَدَانِ وأشجارٌ وزقزقاتْ .

صارت الروحُ قادرةً فَتَلاشَتْ من حولها البيوتْ .

عادت الحياةُ إلى أيامها الأولى : آمادٌ تُفضى إلى آمادْ .

لكننى أرجعُ إلى بَيْتى فيأتى الليلُ إلىَّ وأنا فى غرفةٍ مظلمةٍ وحدى . أستأنسُ فيها بأنوارٍ خفيضةٍ تنامُ عند نافذتى . أكادُ أسمعُ الأشياءَ من حولى وثمة غيبٌ يسائلنى : من أنتَ ؟! من أنتَ ؟ ! لماذا ياصبىُّ هذه الأحزانْ ؟!

* قصيدة من افتتاحية وأربع حركات . ننشر منها فى هذا العدد الافتتاحية والحركتين الأولى والثانية ، وفى العدد القادم تنشر الحركتان الثالثة والرابعة . الافتتاحية والحركة الثانية نثريتان

تسابيحُ ونشيجٌ رائعٌ كأنه قادمٌ من مكةَ ، وآياتٌ من القرآن .

فى المسجدِ لَمَسَتْنِي عباراتُ الشيخ فحوصرتُ بالنورِ . وفى غمضةِ عينٍ كنتُ على فَرسٍ أبكى ذاهباً لأحاربَ الأحزابْ .

تجارةٌ رابحةٌ لو أموتُ لقاءَ نظرةٍ راضيةٍ منكَ أيها النبىُّ أو لقاءَ لَمْسَةٍ تباركُ رأسىَ الممتلىءَ بالعذابْ .

ما مرَّت ليلةٌ فى صباىَ إلا وتمنيتُ فيها عبورَ الصحْراءِ إليكَ ، واستمطرتُ اللهَ نادماً متناسياً غروباً : جسدينِ وأشجاراً وزقزقاتْ .

أعترفُ : كان ما بجسدى يفوقُ مَقْدِرَتى على العفافْ .

وكانت الصَّبِيَّةُ سَكَناً كُلَّمَا آويتُ إليهِ أنْسَى الكثيرَ من الآياتْ .

لكنها أيامٌ ولَّتْ وتباعدتْ ففى غَفْلَةٍ منىَ صرتُ شاباً . تولدُ فى روحى كلَّ يومٍ آلافٌ من الطيورْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طيورٌ ما أمكننى أن أحررَها وأتحررَ منها إلا بأشعارٍ كأصواتٍ هادرةٍ تذهبُ فى الأفقِ الأعلى . كأنَّ شموساً تنزفُ داميةً فى البحارْ .

أشعارٌ ما أنْ أفلتتْ ممن كَتَبَها حتى فاجأتْهُ فَحَطَّمَتْ جدراناً واستخرجتْ ملائكةً وأحجاراً من النفوسْ .

وها أنا الآنَ أبدأُ كهولتى فأرى روحَ القرآنِ أرواحَ الأسلافْ .

فَرَّقَ بينى وبين صباىَ كتبٌ قليلةٌ ، وأنغامٌ كأنَّ أصحَابَها خُلقوا من النورِ . كتبٌ وأنغامٌ قد أتتْ إلينا من أُناسٍ آخرينَ لم يعرفوا شيئاً عن الرسولْ .

صار الزمنُ النبوىُّ جزءاً من الزمن العربىِّ جزءاً من الأزمانِ وأنا ألاحقها جميعاً قبل أن أزولْ .

* * *

غِناءُ البلابلِ فى الليلِ نورٌ إذا ما تحوَّلتُ طيفاً تلاشَيْتُ فيهِ وقد كنتُ قبلاً سجينَ مكانى .

غِنـاءٌ غِناءٌ وبـين الغناءِ وهـذى الليالى صِـلاتٌ من العشقِ والجبـروتِ الإلهىِّ والحزنِ . . جاءَ الذى يشترينى بما لستُ أقدرُ أنْ أشتريهِ . . ببعض حروفٍ سَرَىٰ الغيبُ فيها بحُلْمٍ سَرَى اللهُ فيهِ كأنَّ الخبـاءَ بِهِ ، والنفوسَ بِهِ والثوانى .

لقد كنتُ فى مَرْكَبِ راحلٍ نحو أهلِ الجزيرةِ يملأنى قَدَرٌ دموىٌّ وقلتُ سأصرخُ عَبْرَ الصحارِى فتأتى خيولٌ إلىَّ وتُبْعَثُ روحٌ غَفَتْ فى الزمانِ .

تأخرتُ عنكم رفاقَ القصيدِ وها قد أتيتُ وهاكم أوانى

لقد عشتُ دَهْرَاً أخاف زيارتكم فاغفروا لى نكـوصى ، وغفلةَ روحى . أجىء إليكم جَزُوْعاً ومضطرباً . كلُّ شىءٍ بقلبى يميلُ لصوتِ الحُدَاءِ .

هجيرٌ تسللَ فى النَّفْسِ نوراً عتيّاً فأبعدنى عن سنينٍ من الغىِّ عبر الليالى فصرتُ حريّاً بإدراكِ معجزةِ العربِ مع الصَّحَراءِ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عَجُوْلاً إذا ما يُرَىٰ شاحباً وَجِلاً ثمّ يُنْشِدُ شِعراً ! رمالٌ يسافر فيها فيوصلُها برمالٍ كأنَّ الرحيلَ ذهابٌ إلى عَدَمٍ أبدىٍّ ولكنّه رَاحَ ينشدُ شعراً !! تأوَّهَ مِن وحْشَـةِ النفْسِ فى القيظِ بِس جَسَدٍ خَشِنٍ حَنَّ للْماءِ بل للإماءِ . يعاندُهُ قَدَرٌ ضنَّ بالزادِ . باللرحيلِ مهالِكُهُ فى ازديادِ .

كأنَ الصَّحارِىَ حاشِيةٌ للجحيمِ ولكنه راح يُنْشِدُ شعراً ! سأمكثُ دَهْرَاً لديكمْ لعلَّ الليالى التى قـد أتتْ لامرىء القيسِ تـأتى إلىَّ . لعلَّ النسـاءَ يُغَرِّرْنَ بى ويخلصننى من فؤ ادى .

سأهجرُ عمراً من الحَذَرِ المستريبِ . . . تَقَدَّمْ من البرقِ واخلعْ ثيابَكَ عنْكَ ، وخُضْ فى الجبالِ ، ونَمْ فى القفارِ وغنَّ . تقدَّمْ بغيرِ نكوصٍ وقلْ لرفيقِ القصيدِ أعنّى . . . أعنّى لأهجرَ نفسى وأصبحَ ناراً خلال العراءِ .

سرابٌ سرابٌ وبِيدٌ تسافر فى الشمسِ ضائعةً ولذا بعدَ يومِ رحيلٍ وليلةِ خوفٍ

ستملِكُ عينُكَ حَدْقَةَ صَقْرٍ ، ويأتى لسمْعكَ خَطْوُ القوافلِ قادمةً من بعيدٍ . . . ستستشعرُ الخطرَ المختفى فى الجبالِ وعبر الرمالِ . تَعَلَّمْ متى تتعجلُ أمرَكَ دونَ مهادنةٍ ، وتعلَّمْ أوانَ التوانى .

أتتكَ مهرولةً ــ أم أتت لخيالكَ ــ أنثى . يحيطُ بها الطِيْبُ والخوفُ . عينانِ من ظُلُمَاتِ السماءِ ، ونَفْسٌ من القيظِ والإشتهاءِ .

تَخَفَّيْتُمَا فى مغارٍ فكاد المغارُ يضىءُ فَخَفِّفْ من النارِ خفِّفْ من الإنتشاءِ

حُدَاءُ حُدَاءُ فهيّا اندمجْ بغناءِ الرحيلِ وحاذرْ فإنّ رحيلكَ ــ ملتصِقاً بهوادجهنَّ ــ سيوقظُ ريبةَ بَعْلٍ غيورٍ وليسَ هنالكَ أسهلُ من قتلِ مثلكَ . . لا حيلةً لا نصيرٌ لديكَ . فخذْ جانباً واندمجْ بالغناءِ .

تمرُّ رياحٌ توزِّعُ من حولنا حُلُماً وغَمَاماً . كأنّا غفونا خلال الرحيلِ كأنّا أُسرنا . فتأخذنا فتُسَلِّمُنَا للجبالِ .

وهامَكَةٌ : كعبةٌ وحجيجٌ وعُرْبٌ مُشَتَّتَةٌ جَمَّعَتْ نفسَها فيكِ يامكةُ . ميمُكِ المُنْتَهَى كافُكِ المِسْكُ . آخرُ حرفٍ تحوّل حرفين هاءً وتاءً : هديراً وتَمْتَمَةً فكأنَّ النهارَ يسارعُ مختفياً ، ويُرَى الليلُ مِنْ خلفِهِ دافعاً قادماً نحونا مُخْفِياً كلَّ شىءٍ بداخِلِهِ . لا يؤرقُهُ غيرُ نورِ المشاعلِ ، والدَّمَعَاتِ ، وأفئدةِ الشعراءِ .

أتتنى روائحُ عِطرٍ عميقٍ خيوطَ حريرٍ بغيرِ مَدَى . لستُ أدرى متى قد تأجَّجَت السوقُ حولى . كأنّ بدايتَها أفُقٌ ، ونهايتَها أفُقٌ . . . بَشَرٌ بَشَرٌ . . . لو وقفتَ على جَبَلٍ ونظرتَ لهم من عَلٍ لرأيتَ أناساً يعذبُهُمْ ما بأعماقِهم . تلك أفئدةٌ خَلَقَتْ زمناً خالداً . لم يكن مُظلماً فالذى يسبقُ النورَ ليس الظلامَ . كأنّ الليالى تصاعدنَ حتى اندمجنَ بنورِ النجومِ اندماجاً فلم نستطع أن نسميَهنَّ الليالى .

بكيتُ بسوق الجوارى بغيرِ دموعٍ . يسائلنى أحدُ المشترينَ « أخى أيهنَّ تفضلُ ؟ » قلت له « آهِ أحْبَبْتُهُنَّ جميعاً . أراهُنَّ أمى وأختى وزوجى » وفارقْتُهُ . جذبتنى مشاعلُ تُوْقَدُ فوق الجبالِ .

وفى الخَانِ جالسنى بدوىٌّ إذا ماتكلَّم ينشرُ من حولِهِ قلقاً مستفيضاً . توغَّلْتُ فى نفسه دون وَعْىٍ رأيتُ نسوراً تعيش بها وقبوراً مُجَلَّلَةً بالدماءِ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معانٍ من الغيبِ تجْمَعُ ما بيننا . كان يَرْقُبُنى وَقِحاً مُسْتَفِزاً فلا أتأذَّى . ولمَّا تسلَّلَ فى جسمه الخمرُ أحسستُهُ راحلاً عن مخاوفِهِ تاركاً وجْهَهُ يستريحُ لمرأى نجومِ السماءِ .

يحارُ قليلاً فيُعرضُ عنها ويصغى إلى الصحَراءِ .

وقال « من الجهلِ ألاّ تكونَ ظلوماً غشوماً ببيدٍ بها الماءُ قَدْرَ الدماءِ .

أنامِ ليالىَّ والنفسُ يَقْظَى تشمُّ الرياحَ . أقادمةٌ بهاءٍ وغمغمةٍ أم بها مَنْ يريدونَ قَتْلى . ثلاثُ سنينٍ بها الليلُ : نفسى تُنَبِّهُ عَيْنى ، وعَيْنى تغالبُ نفسى فمَنْ ذا الذى نام مستيقظاً لا يفارقُهُ الشجوُ غيرى ؟! كأنّ إلَهَ الظلامِ أراد جليساً له فاصطفانى .

بباديتى قد رأتنى النساءُ دمياً . لَعَلَّ كذلكَ لكنَّ أجملَهُنَّ أتتنى مُدَلَّهَةً تتعثرُ فى الليلِ . قلتُ لها سافحينى . كلانا بلا نَسَبٍ فكأنّ أبانا الصَّدَى غاب فى جبلٍ وانْتَهَى سافحينى فما امتنعَتْ . صرتُ جناً طروباً ينامِ الضحى ، ويضىءُ جوانِحَهُ فى الظلامِ .

أجنِّيَةٌ قد أتتنى أم امرأةٌ أم أنا سادرٌ فى منامى ؟ !

أكادُ أرَى ألفَ عينٍ حقودٍ تراقبُ خيمتَنَا تتمنى الدخولَ علينا وتَخْشَى حُسامى .

نُهيرٌ بقفرٍ مرورٌ يديها على جَسَدِى . إننى الفارسُ الفَرَسُ الفذُّ بين يديها بكيتُ كأنى لديها اختبأتُ فما عادَ يَتْبَعُنى قَدَرِى . آهٍ ياشظفاً مستفيضاً بتيك البوادى دفعتَ بنا نحو قَتْلٍ وسَلْبٍ وأبقيتَنَا فى ارتقابٍ لِمَنْ يُضمرُ الثأرَ منا ومَنْ يتحرَّقُ للإنتقامِ . » .

فقلتُ له وأنا أتسللُ فى نفسه فأرى دَوْحَةً من زهورٍ تموتُ : لماذا التجأتَ لمكةَ ؟ قال « هروباً . تعالَ معى نستعيدُ مكاناً قصيّاً . . . رمالٌ وصمتٌ تسللَ حولَ الخيامِ .

وها غادرٌ ما استطاع مغالبةً للشياطينِ فى نفسِهِ فتسللِ فى غَيْبَتى لفراشِى إليها إليها . . . وحينَ رَجَعْتُ إذا ما ترانا فنحنُ ثلاثةُ أشياءَ ليست تَمِى : خيمةٌ وأنا وحُبَيْبَتِى بين كفىَّ مذبوحةً . ليتنى قبل ذاكَ رأيتُ مماتى .

تعالَ معى . . . سيِّدُ القومِ صِهْرٌ لقاتِلِها فَحَمَاهُ وأرسلَ مَنْ يتوعدُنى فاختفيتُ . وما أنْ أتى الغَيْثُ عدتُ . ظلامٌ بغيرِ نجومٍ يُخَبِّئُنى ، واضطرابُ المياهِ يكتمِ صوتَ قدومى ، ولانارَ مُشْعَلَةً . عَشْرَةً قد قتلتُ . تركتُ القبيلةَ خلفىَ داميةً وابتدأتُ هُيامى .

مكانٌ به عَتَمَاتٌ يسلِّمنى لمكانٍ به الشمسُ تنهشنى . أتمنَّى لها أن تزولَ وأخْشى قدومَ الظلامِ .

وحين أرَى البِيْدَ جاثمةً من أمامى أعاندُهَا إذ أروحُ إليها وأتركها خلفَ ظَهْرى وألعنُهَا فإذا بى محاطٌ ببيدٍ أشدَّ معاندةً . أينما أتَلَفَّتُ فهىَ أمامى .

كأنكِ نفسى نفوسٌ تنازعنَ أين المسيرُ ولكنهنَّ اتفقْنَ علىَّ . عَلَىَ العاشقِ المُسْتَهَامِ .

بِتَمْرٍ قليلٍ ، بجرعةِ ماءٍ أُؤَانسُ نفسى وبالشعرِ أستأنسُ البيدَ حولى وليس سوى ناقتى مَوْطِنى ولثامى » .

توغَّلْتُ فى نفسه ــ وكلانا يدارى بكاءً ــ رأيتُ أمامىَ طفلاً حبيساً . . . وها جاء فَجْرٌ حَيِىٌّ يفرِّق ما بيننا ويُبِينُ الحياةَ فقلتُ وداعاً . رحيلُكَ مثلُ رحيلى بغيرِ مُقَامِ .

« الحركة الثانية »

أكاد أجزمُ أنَّ الليلَ كان مِلْكاً للجنِّ فى الزمانِ القديمِ . يتقافزونَ ويتصارعونَ ثم يختفونَ فى نورِ النجومِ أو فى الريحِ وكانت الصحراءُ نَسْيَا .

كانت الصحراء أحلاماً تحت آلافِ النجوم . هى الصحراء رمالٌ مُسْتَفَزَّةٌ من عواصفِ الهجيرِ . . أقدارٌ وظلمةٌ كثيفةٌ وأنا فى التيهِ جسدٌ وحيدٌ بغيرِ أنثى . أنامُ فى السعيرِ وأبكى شَغَفَا .

أتَذَكَّرُ . . . قالتْ « فى كلِّ ليلةٍ وأنتَ جانبى أشعرُ أنها أولُ لَيْلَةٍ خَلَقَها اللهُ . أبدأها وأنا عذراءُ ثم نرحلُ معاً حتى تُسَلِّمَنى للفَجْرِ امرأةً كاملةً تغسلها الأنداءُ . كأنى آتيك شجيرةً ، وأذهبُ عنك خميلةً . فى كلِّ ليلةٍ أنا عذراءُ . فلماذا ستنأى ؟ » .

قلتُ « أصواتٌ غامضةٌ نادتْنى كأنها خيوطٌ تجذبُنى سأرحلُ إليها . لا أملكُ منها هربا » .

وهاجتْ إلى بيدٍ أحاطها اللهُ ببحرٍ وخليجٍ ومحيطٍ فَمَا خَفَّفُوا من بَطْشِ حرِّها بل جعلوها أكثرَ بُعْدَا .

لستُ أدرى مَنْ أولُ تعيسٍ جاء إليها ليعيش فيها . أتخيلُهُ وهو عابرٌ من رحيلٍ ممتلىءٍ بالمهالكِ إلى رحيلٍ ممتلىءٍ بالمهالكِ مصطحبٌ زوجةً وناقةً وبعيراً ومصطحبٌ مصيراً شقيًا .

لم يمتْ ظمأً أو سغباً ! كيف لم يمتْ شوقاً إلى معيشةٍ أخرى ؟ .

أكاد أجزم أن عهودَ الجنِّ اضمحلَّتْ حين أتى عليها مَنْ هم أعتى .

الذين يركضون تحت شمسِ الهجيرِ ثمّ يختفونَ كأنما ابتلعتهم الرمالُ . كلما زادت أجسامهم ندوباً ازدادوا جسارةً ونَزَقا .

ما الذى أبقاهم تحت سماءٍ تبخلُ بالغيثِ ، وشمسٍ تزدادُ عَسْفَا ؟!

كأنّ نفوسَهم نيرانٌ متقاتِلةٌ . كلٌ يزعم أنه أعلىٰ مِنْ نِدِّهِ لهباً

ياله من جحيمٍ فكيف بَزَغَتْ فيه لغةٌ لا تستعصى على الإيقاعِ ؟! لغةٌ عربيةٌ كأنها امرأةٌ جَمُوحٌ . مَنْ يقدرْ عليها يأخذْ منها عَجَبَا .

كأننى أراهم ــ والليلُ تسبح فيه النجومُ جميعاً ــ إذ جاءتهم مشيئةٌ من الغَيْبِ ومن أنفسهم : كونوا أُمَّةً أخرى .

فأتاهم مَنْ سيجعلُ الآفاقَ مِلْكاً لهم وقد كانوا من قبله أسرَى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أكادُ أجزم أننى رأيتُه وهو صبىٌّ يتساءلُ : ماذا تقولُ النجوم للنجـومِ ؟ وماذا يختفى وراء الجبالِ ؟ ولماذا القوافلُ نحو مكةَ تَسْعَىٰ ؟!

لكنه يغادرُ صباهُ حثيثاً فإذا به فتىً يشعرُ أنَّ بين قلبِهِ وبين السماءِ صِلَةً كبرى .

يامختلياً فى غارِ حراءٍ إنّ أيامَ عمرِكَ أعوامٌ مِنْ أحزانٍ كثيرةٍ ، ورؤى تحتويكَ فى ثوانٍ مباركةٍ ثمّ تنأى .

ظلمةٌ فوقها نورٌ وتحتها نورٌ كصباحينِ يحيطانِ بليلٍ فإنْ جاءت الأنغامُ عليهم صار كلُّ شىءٍ بَدَدَا .

لقد ظنَّ أهلُ الجزيرةِ أنهم قد استحوذوا على المعانى جميعاً حتى أتاهم الفقيرُ بآياتٍ كانوا يفرون منها إلاّ قليلاً منهم قد جعل من الآيات مأوى .

كلُّ اللحظاتِ عسيرةٌ ، وكلُّ اللحظاتِ هنيئةٌ ، والأيـامُ القليلةُ متَّسَعٌ لأقـدارٍ شتىً .

أتذكّرُ . . . قالت « لن تصبرَ عنيَ بعدا . » .

والآن أجزمُ أنّ الجنَّ أقلُّ حيلةً من الحروفِ . أولئكَ الذينَ يتشابكونَ ويتفرقونَ ويصيرونَ قرآناً وشِعرا

القاهرة : عادل عزت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحجر العربى

شادى صلاح الدين

زمنٌ عربىّ
زمنٌ للحديث عن الكائن الحجرىّ
للبحارِ ثلاثون بوّابةً

وفتىً لا ينامْ
للبحار ثلاثون سيدةً

تشتهى أن تكون الحجارةُ إحدى مواعيدِها
تخرج امرأةٌ فى البرارى
وتكشف عن قدميها قليلاً

أنا بنتٌ من حمَلت بالجبالِ
أنا بنت من حملت بالنّدىٰ
وأنا بنت من زوَّجَ البحرَ هذا المدى

تخرج امرأةٌ فى البرارى
تحلُّ ضفائرها
وتنامُ
فيأخذها حجرٌ
ويزوِّجُها حجراً
يصبح الحجر العربىُّ مواعيدها
وجدائلَها
وروائح قمصانها
يصبح الحجر العربىُّ سريرَ غرامْ
للبحار ثلاثون بوابةً
تدخل امرأة فى الظلامْ
وفتىً يتحجر عند افتتاح الكلامْ

المنيا : شادى صلاح الدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد قصيرة

عيد صالح

١ ـ حين مالت
تُقبِّل وجه البراءةِ
تُعطيه ثدْيَ الحليبِ
تسافر خلف الغيوبِ
تراهُ فتاها الجميلا
كان صوت انفجار يدوّى
وكان الصغيرُ قتيلاً

.....
.....
.....

كنت أجمع ما قد تبقىّ
برأسى
وكان المساء ثقيلاً
كنت أنقل خطوى
وكان الطريق طويلاً
راودتنى
فكرة الإنتحار
ولكننى
كنت عبدَ الحياة الذليلاً

٢ ـ تسقط الطابية
والجنود استباحوا
رقعةً خالية
كان عبد الحليم يغنّى
والذباب تكاثَر
فى النقلة التاليه
كنتُ أُدخل رأسى
أفتشُ عن ضربة قاضية
والوزير يناور بالهجمة القاسية
والحصان المكبّلُ . .
يصهلُ قبل السقوط

.....

كان صوت المنادى قبيحاً ،
وكنت أقاوم زحف السُّعال .

٣ ـ كان يلهث
وسط الزحام
يشقّ الطريق

إلى موعدِ للغرام
فجأة
كان فوق الرصيف
حطام !

٤ ــ وأنت تفتش فى الرأس
عمّا دهاك
تُقلب عبر الإذاعات
مفتاحَ هذا الجهاز العتيق
وتشعل سيجارة الوقت
أغنية الاحتراق
هو الليل
تنمو العواسجُ
فى الرأس
يُزهرُ فى القلب
وَرْدُ الرمَّاد

٥ ــ يهاجمنى فى الفراش الأرق
أقاومه بالمنوِّم
أحلم
أنى أراقص جمْعَ الفراشات
أقِضمُ تفّاحة الضوء
والأغنيات
أرانىَ أعصر خمرا
فأصحو بصرخة جارى

٦ ــ يُقال بأنك شاعر
بحجم الكوارث . .
بالحُبِّ . . .
بالحُلم . .
بالقبحِ . . .
لكنك الآنَ . .
جُرْذٌ محاصر . .

دمياط : عيد صالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د. محمود ذهنى

متابعات

زوجات على الورق

حينما يقول القصاص إنه لم يتعمد كتابة قصة ، ولكنه انفعل فكتب ، فكان الناتج خاطرة ، أو لمحة ، أو ومضة ، أو مقالا بأسلوب قصصى ، أو ما شئت من أسماء ونعوت ، فإنه بذلك يكون صادقا مع نفسه صادقا مع قارئه ؛ ذلك أن الفنان لا يستطيع أن يخطط لعمله الفنى تخطيطا عقلانيا خاضعا لقواعد النقد الفنى قبل أن ينفعل ، وحتى بعد أن ينفعل ولكنه بموهبته ومؤهلاته الفنية ، وخواصه الذاتية ، ينفعل فينتج ، وعلى النقاد والدارسين - بعد ذلك - أن يقوّموا ما أنتج حسبما يرومون .

وهذا الأمر طبيعى ؛ لأن الإنتاج الأدبى يسبق النقد الأدبى ويعلو عليه . فالفنان - صاحب الموهبة التى مكن لها بإتقان أداة التعبير ، وعضدها بالثقافة والخبرة والدربة والمران ، وقواها بالتجارب العريضة الواسعة - حين ينفعل يفيض الإنتاج الفنى عنه دون قيود أو شروط . فالفنان - هنا - بمثابة البذرة المنتقاة ، وثقافته تمثل الأرض الطيبة ، والانفعال هو المطر الذى إذا نزل عليها - بالقدر المناسب أنبتت وأينعت وأزهرت وأخرجت ما فى جعبتها من جمال وثمار ، ثم يأتى علماء النبات بعد ذلك ليدرسوا ويحللوا ويفسروا ويقسموا ويقعدوا ويضعوا النعوت والأسماء والمصطلحات ، ويقيموا الأسس والقواعد والنظريات .

كذلك الأدب . . . الأديب الفنان إذا ما انفعل يبدع من خلال موهبته وثقافته وتجاربه ، وحسبه أن فعل ، أما النقاد فيأتى دورهم بعد الإبداع ليحللوا ويفسروا ويقارنوا ويفعلوا ما يشاءون بالنسبة للنص الذى بين أيديهم . أما المتفننين فليس لهم أن يفرضوا عليه شكلا بعينه ، أو نمطا بذاته . ولو حدث هذا لركد الفن وبار ، ولما قامت أى حركة من حركات التجديد والابتكار . فالفنان - دائما - هو الذى يعطى إنتاجه خلقا جديدا ، ينبثق عنه التطور والارتقاء ، والنقاد هم الذين عليهم أن يشرحوا لنا هذا الإبداع ، ويستخرجوا ملامح التجديد ومواطن الابتكار ، ويطلقوا عليها الأسماء والمصطلحات ، ويقيموا بينها الموازنات والمقارنات ، ويضموا المتماثل والمتشابه فى مدارس أو مذاهب ، ثم ينظروا عبقرية جديدة مجددة ، تأتى بما لم تُسبق إليه ، فتخلق طورا جديدا من أطوار التجديد والارتقاء .

والأستاذ عبد الوهاب داود - صاحب المجموعة القصصية « زوجات على الورق » - فنان مطبوع ، تشهد بذلك أعماله الكثيرة السابقة ، كما تشهد به هذه المجموعة الجديدة من أول كلمة فيها - وهى « التقديم » الذى اعترف فيه بأن عملين ضمن هذه المجموعة لم ينسجا على منوال القصة أو يصبا فى قالبها ، ولكنهما شىء جديد . . إحساس وجدانى أحسه نحو اثنين من الشخصيات العزيزة عليه ، وافاهما الأجل ، فسكب عليهما دمعة وفاء مصاغة فى كلمات ، وترك لك أن تطلق عليهما من الاسماء ما تشاء .

ومن أول كلمة فى المجموعة نرى أن الأستاذ عبد الوهاب داود - أو الضابط عبد الوهاب داود - لم ينس نشأته العسكرية ، ولم يبتعد عن المعارك التى خاضها ، والحروب التى عركها ، ومثلما واجه المقاتلين بشجاعة وبسالة ، فإنه يعد نفسه

لمواجهة النقاد بنفس الشجاعة والبسالة ، فتكون أول كلمات هذه المجموعة القصصية : « قبل أن يفتح السادة النقاد النار . . . » أما فى داخل قصص المجموعة فتتوالى هذه الظاهرة ، صريحة مرة ، وموهة مرات . ففى أول قصة يقف المعلم جابرى وسط الكازينو الذى يديره فى تجهم وصرامة . . . « وكأنه قائد حازم فى معركة حربية » . ومعالى - الغادة السمراء فى قصة « شرف الولد » كانت مرغوبة مرهوبة فى نفس الوقت لأن أباها ضابط كبير فى الجيش . وتقول فى فقرة من حوارها . . . « كيف يدافع عن شرف الوطن من فرط فى شرفه الشخصى » .

أما قصته « الجوهرة » فهى قصة حربية بأشخاصها وبيئتها ، فبطلاها جندى وضابط ، ومسرحها ثكنات الجيش بمنقباد ، فى حين أن موضوعها لا يستدعى كل هذا الحشد العسكرى . فالحدث فيها عادى عام يمكن أن يحدث لأى شخص فى أى مكان ، فالفتاة الريفية التى تعمل خادمة فى منزل يطمع فيها صاحبه موضوع مطروق بكثرة على كافة المستويات ، وفى كل الادآب ، ولو أحصينا عدد من طرقوه بعد « دعاء الكروان » للدكتور طه حسين « لوجدناهم بالعشرات ، مع العلم بأن طه حسين لم يكن له مبتكرا ، وإنما كان متبعا ، ومع ذلك فإن اختيار عبد الوهاب داود الوسط العسكرى لقصته أضاف إليها بعدا جديدا أعطى موضوعها القديم رونقا حديثا .

وفى قصة « سحابة حقد » يختار القصاص لبوابة النادى حارسا يؤدى التحية العسكرية لرواده المدنيين ، ذلك أنه كان جنديا قديما انتهت خدمته بالجيش فالتحق بهذا العمل . . .

إن دل هذا على شىء فإنما يدل على أن عبد الوهاب داود - الضابط - قد خلع الزى العسكرى عن جسده ، ولكنه احتفظ به فى أعماق ذاته ، وأن عبد الوهاب داود - القصاص - لا زال يحمل تلك الفترة من حياته فوق كاهله وفى حنايا وجدانه . وأنه مهما حاول التغافل عنها لا حقته وفرضت نفسها عليه ، وأعلنت عن نفسها كلما وجدت فرصة لذلك .

ففى آخر اعمال المجموعة - وهو الحوار الأدبى الذى أجراه القصاص مع المرحوم - محمود البدوى - يجيب محمود البدوى على أحد أسئلته بأن أول رحلة بحرية قام بها إلى موانىء البحر الأبيض هى التى فجرت فيه الرغبة فى كتابة القصة ، فيكون رد الفعل التلقائى ، تعليق مفاجىء من عبد الوهاب داود - وهو السائل وليس المسئول - فيتمتم قائلا : « نفس بدايتى ولكن « الحرب » بدلا من السفر » .

وهذه الظاهرة أمر طبيعى لاغرابة فيه . فالإنسان بصفة عامة ، والفنان على وجه الخصوص ، بناء متكامل مكون من تراكم مراحل حياته وظروف معيشته . وكلما تنوعت تلك المراحل وتباينت تلك الظروف ، كان إنتاج الفنان أكثر ثراء وأوسع أفقا ، وكلما تعمقت تلك الظروف وتغلغلت فى نفسية الفنان ، كان أدبه اشد وقعا وأكثر إقناعا . ولابد للناقد أن يلفت الانتباه إلى مثل هذه الأمور حتى يتسع استيعاب القارىء للعمل الذى يتلقاه ، ويتقارب وجدانيا مع صاحبه ، فيتم بينهما تآلف وتعاطف ، وتنشأ بينهما صداقة اعتبارية وصلة وجدانية ، يعتبرها الكثيرون أساسا من أسس التذوق الفنى والمتعة الأدبية .

○ ○ ○

والمجموعة القصصية « زوجات على الورق » تضم عددا من القصص القصيرة الرقيقة الرشيقة ، التى تحس وأنت تقرأها وكأنك فى حفل « عرض أزياء » ، تمر عليك الحسان رائعات الجمال ، فى ثياب رائعات الابتكار . . فهذه شقراء فى ثوب فوق الركبة ، وتلك سمراء فى ثوب من الشيفون الشفاف ، وثالثة ثوبها مكسم مجسم ، ورابعة ثوبها فضفاض مهفهف . . . وخامسة وسادسه إلى آخر الحفل ، أو إلى آخر المجموعة .

وتشبيه هذه المجموعة بعض الأزياء ليس مجرد تعبير بلاغى صادر عن إعجاب ورضى ، ولكنه محاولة لتصوير واقع تتطابق فيه أطراف التشبيه ، فعرض الأزياء تتضافر فى إخراجه ثلاثة عناصر : مصمم الأزياء يبتكر الثياب ، ومساعدته التى تنتقى له العارضات الحسناوات ، وتختار لكل منهن الثوب الذى يوافق قوامها ورشاقتها ، ثم مخرج الحفل الذى يتكفل بالديكور والإضاءة والموسيقى وترتيب العرض .

كذلك القصة القصيرة لها ثلاثة أركان : الحدث ، والشخصيات ، والبيئة أو الوسط . ويبقى بعد ذلك عامل خفى ولكنه هام للغاية ، هو مدى تواؤم هذه الثلاثة وتوافقها وتساندها فى إنجاح العمل . فليس المهم أن ينجح كل منها على حدة ، ولكن المطلوب أن تندمج صفاتها الفردية وتمتزج معا لتكون ناتجا واحدا مشتركا هو الذى نتذوقه ونستمتع به .

والأستاذ عبد الوهاب داود مصمم أزياء بارع ، خبر الحياة فى شتى مواقعها ، وتغلغل فى أعماقها ، ينتقى منها الرائع والمبتكر ، فتأتى أحداث قصصه منوعة متعددة ، ولكنها منظومة فى سلك واحد يحقق بينها الانسجام والتناغم .

ويأتى دور الشخصيات ، فيختار عبد الوهاب داود لكل ثوب الحسناء التى تليق به ويليق بها ، فيظهر الثوب جمالها ، وتظهر هى محاسنه . ومثلما تتعدد الأثواب ، تتنوع كذلك الشخصيات . فمرة يكون البطل رجلا مطحونا ، ومرة يكون

طفلا عابثا ، وأخرى يكون عصفوراً غزلا ، وقد يكون فتاة عذراء ساذجه ، أو امرأة ناضجة مجربة ، ومرة يكون صاحب قيم ومثل ، وأخرى يكون مخادعا غادرا . . . إلى آخر تلك الشخصيات التى أقام عليها القصاص أحداث قصصه المتنوعة ، فكان التناغم كاملا بين الحدث والشخصية ، أو بين الثوب والعارضة .

وليس من شك فى أن هذا العمل هو أصعب الأمور بالنسبة للبناء القصصى . فهو يتطلب من القصاص أن يخفى شخصيته الحقيقية إخفاء تاما ، وأن يتقمص شخصية البطل تقمصا كاملا ، بحيث لا يسمح لشخصيته هو أن تبرز أو تبين . وكم قرأنا لقصاص لم يستطيعوا فعل ذلك فكانت شخصيتهم هى التى تسيطر دائما ، فيتشابه حوار المثقف والأمى ، والرجل والمرأة ، والكهل والطفل ، والعامل والفلاح ، وكأنهم جميعا محام يترافع أمام منصة القضاء .

وعلى الرغم من أن عبد الوهاب داود كتب قصصه كلها بالفصحى ، ولم يجنح إلى العامية حتى بلفظ أو مصطلح ، فإنه استطاع فى بساطة شديدة أن يعطى كل شخصية من شخصيات قصصه شكلها وحجمها وأسلوبها ومعجمها اللفظى ، فكان التباين واضحا بينها ، حتى حوار العصافير كان يشعر بأنه مغاير لحوار البشر .

وحين ينجح القصاص فى اختيار الحدث ورسم الشخصيات ، فإن نجاحه فى استكمال بقية العناصر القصصية يكون شبه مؤكد ، لهذا نجح عبد الوهاب داود فى اختيار بيئات قصصه ، ونوعها لتوائم الحدث والشخصية ، فانتقل بنا من الزمالك إلى درب الجماميز ، ومن نادى الفروسية إلى بحيرة المنزلة ، ومن القاهرة إلى منقباد ، وهو فى كل ذلك يختار المكان المناسب للحدث الذى يناسبه .

فالقصة الأولى فى المجموعة تعالج ظاهرة شعور الإنسان بالنقص أو «عقدة النقص» كما يسميها علم النفس ، حيث يشعر الإنسان انه أقل من الآخرين فلا يقوى على مواجهتهم ، وهذه العقدة يعانى منها الآلاف ـ وربما الملايين ـ فى كل مجتمع من المجتمعات ، على اختلاف فى درجة الإصابة بها . ولكن أكثرهم لا يذهب إلى عيادات الطب النفسى ، وإنما يترك نفسه لأحداث الحياة تقوده إما إلى شفاء أو إلى شقاء .

ويختار المؤلف لقصته أشخاصا أبعد ما يكونون عن الطب النفسى وتشخيصاته ومصطلحاته ، ولكنه من خلال الأحداث التى أدارها بينهم يكون هو المحلل النفسى الذى يعرض علينا ـ فى بساطة ووضوح ـ هذا المرض النفسى ، ويلخص أسبابه ومظاهره ، وعوامل تنشيطه أو تثبيطه ، ثم النزوع الناجم عنه عندما يبلغ أوجه ، وأخيرا نتائجه ومعطياته . كل هذا يتم ونحن بعيدون كل البعد عن علم النفس ومصطلحاته ، بل إننا لا نكاد نشعر على طول القصة أنها تعالج موضوعا نفسيا ، فقد يأخذها البعض على أنها مجرد حكاية مسلية ، أو أنها صراع درامى سطحى ، ذلك أن مهارة القصاص فى اختيار الموضوع وانتقاء الشخصيات التى تؤديه ، جعلته ـ كما يقول ابن المقفع عن كتابه « كليله ودمنة » يسلى العامة ، وينبه الخاصة ، ولايصل إلى ما بين سطوره من رموز الا خاصة الخاصة .

« فزعروره » الذى يعانى من وقع هذا اللقب الذى أطلقوه عليه لضآلة جسمه وضعف حميته ، يواجه المعلم « جابرى » العملاق المتعجرف الذى يسخر منه كلما لقيه ، ويأبى أن يؤدى له ثمن ما يبتاعه منه ، ويتقلب زعرورة بين الخوف من المعلم وتحمل سخريته وإهاناته ، وبين محاولة استجماع شجاعته وإثبات ذاته ، حتى تأتى اللحظة التى يحزم فيها أمره ، فيخفى مدية فى ثيابه ، ويفاجىء المعلم جابرى بطعنه قاتلة ، ثم يصرخ فى القوم من حوله « من اليوم أنا لست زعرورة ، أنا سعد الحمصانى . . سعد الحمصانى . . » .

وهكذا نجد أننا أمام قصة تغوص فى أعماق البشرية ، تنتزع منها ظاهرة سيكلوجية ، ولكنها تعرضها فى بساطة شديدة ، وبأسلوب مسترسل سلس لا يكاد يشعرنا بعمقها إلا إذا استطعنا أن نصل إلى ما بين السطور من رموز .

هذه السمة تكاد تتواتر فى جميع قصص عبد الوهاب داود ، وهو لم يأخذ عن ابن المقفع غاياته القصصية فحسب ، بل أخذ عنه ايضا أسلوبه وطريقته فى إجراء الأحداث على ألسنة الحيوانات والطيور . فالقصة الثالثة فى المجموعة وهى قصة « دنيا الحب » تجرى على لسان عصفور صغير ، يرويها لنا بضمير المتكلم ، ويقدمها من منظور يظهرها على أنها رؤية عصفور غرير ، ولكنها فى الحقيقة درس نفسى فلسفى اجتماعى عميق .

ويخطىء من يظن أن هذه القصة على مثال قصص الأطفال ، أو الحكايات المسلية . حقا إن فيها من قصص الأطفال سهولة الألفاظ ورقتها وبساطتها ، وفيها سلاسة العرض وجاذبيته ، وتتابع الأحداث وسرعة وقعها . ولكن مضمونها ليس موجها إلى الأطفال ، وإنما إلى الكبار ، وإلى من هم أكبر من الكبار ، أى إلى الدول والأمم والشعوب .

فالإنسان ـ فى أول نشأته ـ بعد أن كان يصطاد الحيوانات والطيور أصبح يدجن الكثير منها ، أو بمعنى آخر استطاع أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يسيطر على أولئك الذين تنازلوا عن حريتهم مقابل إطعامهم ، فارتضوا العبودية وأسلموا قيادهم للإنسان يطعمهم ويسقيهم وهم قاعدون دون سعى وتعب ، ودون أن يدروا أنهم بذلك أسلموا أنفسهم لسيدهم ، يمتطى ظهورهم ، ويقطع رقابهم ، ويأكل لحومهم .

كذلك الدول الكبرى ، بعد أن كانت تستعمر الدول الصغرى بالجنود والسلاح ، أصبحت الآن تدجنها بالمساعدات والمنح والقروض ، والصغير الساذج يعتقد أنه خدع الدول الكبرى أو فتنها بجمال مقلتيه ولا يفطن إلى أنه صار مطية تمتطى ، وقربانا يضحى به على مذبح الأطماع .

أما ما احتوته القصة من مضامين أخرى تتمثل فى حكمة العصفور عند تعامله مع الكبار ، وفى علاقة الجد بالأحفاد ، ثم فى العلاقة الأبدية بين الذكر والأنثى ، فكلها دروس مستفادة ولكنها تأتى فى المرتبة الثانية بعد الهدف الأسمى وهو الحرية وخداع المدجنين والمستعمرين .

وقصة « شرف الولد » الحدث فيها بسيط كل البساطة ، ولكنه معبر كل التعبير . . . إنه ترجمة لوصمة العصر التى قلبت الموازين ووقفت إلى جانب الانتهازيين والأفاقين ومعدومى الضمير ، وجافت القيم والمثل ومكارم الأخلاق . فالمستهتر اللامبالى الذى لم يتمسك بالشرف والشهامة فاز بفتاته ووصل معها إلى آخر المدى ، والذى تمسك بالفضيلة باء بالفشل والحسرة والندامة .

والقصاص فى هذه القصة صور الحدث تصويرا شبه فوتوغرافى ، فقدمه لنا دون رتوش ، أى دون تعليقات أو تعقيبات أو حتى إيماءات يمكن أن تستشف من خلال الحوار أو عبر الوصف ، أو من المقارنة بين الصديقين اللذين يمثل كل منهما طرفا من أطراف القضية . لهذا أتت القصة بعيدة عن تلك الدعوة التقليدية التى تناشد الفنان أن يظهر دائما غلبة الخير على الشر ، فبدت القصة وكأنها تشجع ضعاف النفوس على أخذ الجانب الفائز بصرف النظر عن الوسيلة المؤدية إلى ذلك . ولما كان هذا الصنف من الناس هم أصحاب الأغلبية فى عصرنا هذا البائس العليل ، فإننى أخشى ألا يفطن الكثيرون إلى الهدف السامى الذى هدف إليه القصاص ، والذى كان عليه أن يضيف بعض الرموز والإيحاءات التى توضح هدفه وتدفع القارىء إليه .

فالهوة الآن واسعة بين مفاهيم القيم والمثل والأخلاقيات القديمة والنظرة المعاصرة لها . . . . كنا قديما نعتبر الرشوة فسادا وجريمة فأصبحوا يعتبرونها فهلوة وذكاء ، وكنا نعتبر الاختلاس سرقة وخيانة فأصبحوا يسمونه حسن استغلال الفرص ، وكنا نعتبر التزلف والرياء والنفاق رذيلة وسوء خلق ، فأصبح عندهم أقصر الطرق للوصول والحصول على المآرب ، وكنا نعتبر الغش فى البيع والشراء خروجا على الدين والأخلاق ، فأصبح شعارهم التجارة شطارة ، وكنا نعتبر استغلال السلطة خروجا على القانون ، فإذا به هو القاعدة لكل هذا كنت أرجو أن يكون القصاص أكثر إفصاحا عن هدفه ، وألا يترك الأمر للفهم الفردى فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وأغلب الظن أنهم أكثرية بالنسبة للأصحاء المعافين .

وكأنما سمع القصاص همستى ، فجاءت قصصه الثانية كلها على العكس من قصته . السابقة فقصة « زوجات على الورق » - التى جعلها عنوانا للمجموعة - فيها درس واضح وصريح لكل فتاة تحيد عن جادة الصواب ، وتقبل أن ترتبط بزواج مغاير لأعرافنا وتقاليدنا . فالمصير الذى آلت إليه بطلة القصة يعتبر نذيرا لكل فتاة تتنازل عن كرامتها ، أو تفرط فى نفسها وترضى أن تتزوج زواجا عرفيا ، وبذلك تكون « زوجة على الورق » .

ويمكن القول بأن القصاص - عبد الوهاب داود - استخدم فى بناء قصصه طريقة « القطع » السينمائية فهو لا يعطينا الحدث كاملا مسلسلا ، ولكنه ينميه حتى يصل إلى قمة أو بؤرة ، ثم يقطع الإرسال تاركا للقارىء حرية استنتاج الخواتيم . ففى « شرف الولد » يبدأ بعرض منظر معالى ورأفت وقد توطدت بينهما العلاقة إلى درجة أنها دعته دعوة صريحة إلى نفسها ، ولا يستغرق هذا المنظر أكثر من ثمانية أسطر ، ينتقل القصاص بعدها ليرتد بنا إلى الماضى شارحا كيف بدأت العلاقة بينهما ، وكيف نمت بانضمام مارى ومنصور إليهما ، حتى يصل إلى قمة الحدث حين يعترضهم رهط الصعايدة فتكون المعركة التى يخسر الصديقان فيها الكرامة والشرف ، فيحزن منصور ويأسف ويتراجع ، فى حين يبتلع رأفت الإهانة ويسرع عائدا إلى الفتاتين ، وتنتهى القصة عند ذلك .

أما قصة « الجوهر » فقد استخدم القصاص فيها طريقة « القطع » ولكن بشكل آخر . فهو يسرد القصة فى تسلسلها الطبيعى من البداية إلى النهاية ، وفى وسط السرد يركز على منظر يبدو ألا علاقة له بأحداث القصة ، ولكن عندما نصل إلى النهاية فإن هذا المنظر المقحم يدلنا على أن القصة لم تنته بعد ، فلا زالت هناك أحداث سوف تقع وعلى القارىء ان يستنتجها أو يتخيلها .

« فراضى » . . الجندى الذى وعد ضابطه بإحضار خادمة ريفية له - يضطر إلى الإسراع بالزواج من حبيبته « نور »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليقدمها لخدمة الضابط وفاء بوعده . ولكن عندما يرى نظرات الضابط الجائعة إليها يتوجس خيفة وينقبض صدره ويتحسس قطعة السلاح التى يخفيها فى ثنايا ملابسه » وتنتهى القصة . . .

وكان القصاص ـ عند حديثه عن تأهب راضى للزواج من نور ، قد ذكر عرضا أنه ابتاع أثناء تجهيزه للزواج قطعة سلاح أخفاها بين ثنايا ملابسه . وكانت تلك الفقرة تبدو مقحمة على السياق حيث لا علاقة للسلاح بجهاز العرس ، ولكن عندما أشار إليها فى نهاية القصة ، كانت إشارته بمثابة الدعوة لنا لنستكمل الأحداث بخيالنا ، ونتصور ما سوف يجرى بين الضابط ونور ، وبين راضى وضابطه .

وتستمر قصص عبد الوهاب داود تسير فى هذا الخط الملتزم أو الداعى إلى الفضيلة ، ولكن بطريقة هادئة ناعمة لينة . فتأتى قصة « سحابة حقد » حيث يتقمص فيها القصاص مشاعر أنثى تكافح بين تحقيق رغباتها وتمسكها بأهداب الفضيلة . وسواء اندفعت الفتاة فى طريق الخطيئة منقادة بالحقد والرغبة فى الانتقام من خطيبها الذى هجرها دون سبب ـ كما يوحى عنوان القصة ـ أو كانت مدفوعة بانوثتها ورغباتها المكبوته ـ كما يوحى سياق القصة ـ فالنتيجة أنها انزلقت إلى الخطيئة ، ولم نفطن إلى ذلك إلا متأخرة حين تهتف قائلة : « كم كنت ضعيفة . . . تافهة . . وغبية » .

وامتدادا لهذا الخيط الذى أمسك به القصاص عبد الوهاب داود تأتى قصة « انوثتى . . عبوديتى » فهو لازال يتقمص شخصية الأنثى ـ بطلة القصة ـ يروى على لسانها تجربتها العاطفية التى فيها عبرة وعظة لكل فتاة .

ويبدو أن هذا الخيط من الخيوط الناجحة التى أجاد القصاص توظيفها . . فهذه هى ثالث قصة فى المجموعة ترويها بطلتها لتقدم لبنات جنسها ـ عن طريق غير مباشر ـ نصيحة ودرسا تتسلح بهما فى الغابة الوحشية التى نعيش فيها الآن . وليس من شك فى أن المرأة أكثر إصغاء لصديقتها ، وأكثر اقتناعا بتجربة زميلتها ، وأكثر اتعاظا بما آل إليه حال مثيلاتها ممن وقفن موقفا مشابها ، أو وقعن فى مأزق مماثل . لهذا كانت هذه القصص الثلاث أكثر نجاحا من قصص اشتركت معها فى الموضوع والمضمون مثل قصة « الجوهرة » وقصة « شرف الولد » .

وتأتى إلى نهاية المجموعة حيث القصتان اللتان اعتذر عنهما المؤلف فى تقديمه ، معترفا بأنه لا يعتبرهما « قصة » بالمعنى المتعارف عليه ، ولكنه كتبهما إحياء لذكرى راحلين عزيزين عليه . . صديق وأستاذ .

والواقع أن عبد الوهاب داود لم يكن فى حاجة إلى تقديم هذا الاعتذار . فمن حقه ان يكتب ما يشاء ثم يترك النقاد يقولون ما يشاءون . فبالنسبة لى شخصيا ، فاننى اعتبر « اللقاء الأخير » الذى كتبه عن صديقه المرحوم فاروق منيب قصة جيدة حائزة على جميع المقومات الفنية . ولو أننا رفعنا منها أسماء الشخصيات الحقيقية المعروفة لنا ، واستبدلناها بأسماء قصصية وهمية لما استطاع أحد أن ينكر أنها قصة من أجمل قصص المجموعة . فإذا أضاف القصاص إلى ذلك أنها واقعية حقيقية ، وأنها دمعة وفاء من صديق لصديق ، فإن ذلك يرفع من قدرها ، ويزيد من قيمتها وتأثيرها ، ويجعلنا أشد التصاقا بكاتبها وبطلها .

أما العمل الأخير رهو « لقاء . . . وجها لوجه » فهو من واقع عنوانه ليس بقصة أو شبه قصة ، ولكنه نص لحوار أدبى أجراه القصاص الناشىء ـ عبد الوهاب داود ـ مع علم من أعلام القصة القصيرة هو الأستاذ محمود البدوى ، وربما كان ذلك بتكليف من جهة ما ، وأغلب الظن أنه نشر فى حينه . . ولكن القصاص الناشىء الذى تتلمذ على القصاص الكبير ، وجد من واجبه ـ بعد وفاة أستاذه ـ أن أبسط مظاهر الوفاء إعادة نشر هذا الحوار . وهو ولاشك حوار أدبى ممتع ومفيد لقارىء القصة القصيرة ومتذوقها .

ولو أن الأستاذ عبد الوهاب داود أفرد لهذا الحديث حيزا فى آخر مجموعته ، وقدمه بمقدمة قصيرة توضح حقيقته ومناسبته ، لما احتاج إلى الاعتذار ، ولكان فى غنى عن اصطناع معركة مع النقاد يتبادلون فيها فتح النار ورشق السهام .

بقيت كلمة أخيرة ، أقولها ـ ربما من واقع مهنتى الأكاديمية ـ وهى أنه أزعجنى كثيرا تفشى الأخطاء النحوية فى بعض قصص المجموعة . وكم أتمنى أن يكون معظمها أخطاء مطبعية ، ارتكبتها الآلة ولم يصنعها الإنسان .

القاهرة : د . محمود ذهنى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القطار يغير اتجاهه *

عبد الله خيرت

يضم هذا الكتاب الصغير ثلاث عشرة قصة ، نشرتها الكاتبة مفرقة ، ثم تحملت عبء طبعها فى كتاب ، كما يفعل اليوم كثير من الكتاب ، خوفاً من أن يطول بهم الانتظار أمام أبواب دور النشر .

إنها مغامرة يخوضها الكتاب ، خاصة الشباب منهم ، بعد أن تسيطر عليهم الرغبة فى أن يسمع الناس صوتهم ، وأن يعرفوا كم هم متميزون . ولا يعرف الكاتب عادة تلك الدوامة التى يقع فيها من يتعاملون مع المطبعة والخطاط والرسام ، كما لا يعرف كذلك أن الكتاب فى النهاية سلعة تحتاج إلى كثير من الخبرة حتى تسوق ، فتصل كلماتنا إلى من نريد أن تصل إليهم .

ولكنها مغامرة تستحق ما يبذل فى سبيلها من جهد ، حتى لو اكتشف الكاتب أنه لم يحقق كل أحلامه ، ولم يجد لكلماته ذلك الصدى القوى الذى توقعه ، وحتى لو تملكه السخط ، فظن أن الحياة الأدبية توصد أمامه وحده تلك الأبواب المفتوحة لمن هم أقل منه موهبة ؟ لأن هذه المغامرة تعنى أن الفن قضية جادة يجب العمل من أجلها وتحمل المشاق فى سبيلها .

ولا يُجدى بعد ذلك أن نقول لكثير من هؤلاء المتحمسين والساخطين : كان عليكم أن تتريثوا قليلا ، ليتكم تركتم للجان القراءة أمر توقيت نشر الكتاب ، وتركتم لدور النشر تحمل نفقات طبعه وتوزيعه . فمن يسمع ؟ ومتى تستريح نفس الفنان إذا لم يعرف الناس كلهم أسرار هذه المعاناه العذبة التى عاش يكابدها ، وكيف كانت الكلمات والأفكار تراوغه وتهرب منه وهى قريبة . . حتى أمكنه فى النهاية أن يسيطر عليها ؟ وهذه القصص كالتى معنا - ألم تنشر من قبل فى الجرائد والمجلات ؟ فما المانع أن يضمها كتاب .

ويبدو واضحاً فى هذه المجموعة ذلك الجهد الكبير الذى بذلته الكاتبة ، حيث تعتمد تلك القصص على مواقف صغيرة أكثر من اعتمادها على الأحداث الخارجية التى يسهل رصدها او تصويرها ، فهى ليست حكايات ، وإنما أحاسيس يبعثها أو يذكر بها موقف أو لقاء أو حديث عابر ، وتحاول الكاتبة بعد ذلك أن تضيىء أعماق شخصياتها وتبرز ما يضطرب داخل نفوسها .

فى القصة الأولى « القطار يغير اتجاهه » نلتقى بزوجين قررا الانفصال بعد زواج دام عشر سنوات ، وهما يركبان قطاراً سيصل بهما إلى المدينة حيث يتم هذا الانفصال ، ولكن أما وأولادها السبعة كانوا معهما فى هذا القطار يغيرون أفكارهما ويعيدون إليهما الهدوء ، فيجدان تلك السعادة الطبيعية فى عالم الأطفال المرح .

وفى القصة الثانية « لاتغلقوا الأبواب » يفاجأ ركاب الطائرة وهى على وشك الإقلاع بهذا الراكب الذى يريد مغادرة الطائرة ، ويعرفون بعد ذلك إن مشكلته هى إحساسه بالغربة وخوفه من فراق أسرته ، ولكن قائد الطائرة يقنع الراكب الثائر فتهدأ نفسه وتقلع الطائرة .

وفى قصة « انتهت الزيارة » نرى تلك المريضة الراقدة على سرير بالمستشفى ، إنها لاتهتم بالزائرين ولاتحس بهم ، فهى تنتظر زوجها الذى تركها وسافر . . وحين تفاجأ به أمامها ويحاول الجلوس يسمع صوتا يقول انتهت الزيارة .

وهكذا فى بقية القصص . . فالكاتبة تختار مواقف نفسية ، تكون حزينة عادة ، حيث يمكن أن تكون القصة متميزة ، فهى تمسك الشخصية فى لحظة حيرة أوقلق أو ندم أو خوف من المستقبل أو وهم تبين زيفه . .

* القطار يغير اتجاهه - صباح محمد حسين ١٩٨٧ مطابع الفرزدق التجارية - الرياض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا مجال واسع أبدع فيه كبار كتاب القصة أعمالهم ولايزالون يبدعون .

ولكن المشكلة فى مثل هذا النوع من القصص ، أن الكاتب ، خاصة حين يكون فى البداية ، لايجد عادة تلك اللغة الخاصة التى تكشف أعماق الشخصية وتجسّد ما يضطرب فى داخلها ، واللغة العامة بما فيها من تشبيهات واستعارات لا تسعف هنا . . وقد يظن الكاتب أن جمال التعبير هدف فى ذاته ، فتأتى التراكيب اللغوية جميلة ولكنها لاتصور هذا العالم الذى أراد الكاتب تصويره ، وفى هذه المجموعة نجد نماذج كثيرة من خداع اللغة . . ففى قصة « لا تغلقوا الأبواب » يقول قائد الطائرة وهو يحاول إقناع ذلك الراكب الذى يرفض السفر « . . الغربة يا أخى معنا فى كل مكان . . نحن غرباء حتى مع أنفسنا . . على الأرض فوق السحاب . . نحن غرباء فى الكون . . وما نحن إلا ذرات متناهية فى الصغر وسط كون لا متناه وغير محدود . . »

ويعلق راوى القصة على هذا الكلام فيقول :

« بهذا التناسق اللغوى والتشكيل الموسيقى لمعانى الكلمات الرشيقة أخذت الرءوس تهتز وتتمايل لصدق عبارات قائد الطائرة . . » .

وهذا الوهم بأن كلام قائد الطائرة فيه تناسق لغوى وتشكيل موسيقى ، يجعل الكاتبة تجهد نفسها للبحث عن كلام من هذا النوع ، حتى لو كانت الجمل تأتى على هذا النحو :

« شعرنا أننا نسبح فى شلال لحظات مجنونة ، ونغوص فى مستنقع الذهول السرمدى . . » !

« . . تاركا إياها كجزيرة محاطة بمياه من جهات أربع »

« صرير المجسّات والمشارط بين يديها استحال إلى كونشرتو لبرامز » !

« أتوه فى نظرياتها وأركض فى أرقامها حافية الذاكرة » ؟!

وهكذا . . تراكيب لغوية يفسد بعضها بعضا ؛ لأنها لاتشير إلى شىء يمكن التحقق منه فى العالم الخارجى . . فالجزيرة محاطة بالمياه من جهات أربع . . وصرير المجسات يستحيل إلى كونشرتو لبرامز . . والذاكرة حافية !!

وقد يبلغ الشغف بالكلام الذى من هذا النوع حدا يجعل الأسلوب قريبا من أسلوب المقامات :

« كان الرباط الذى يجمعهما جميلاً ورديا ، يقف فى وجه قاطرات الحزن والقلق ، لكنه حين دخل (أى الرباط !) غابة الشكوك عُلق فى قاطرة الفراق ومرت الأيام ، واستحال الحب إلى غبار متراكم على مرايا الأيام ، وصار الشوق متسولاً فى دروب الركام »!!

ولولا هذا الاهتمام الزائد عن الحد باللغة لذاتها ، لأصبح من الممكن أن نجد الشخصيات أكثر تحديداً ، وأن نميز بعضها عن بعض ، لأن الناس لا يتكلمون لغة واحدة ولا يفكرون بطريقة واحدة . . ولكننا فى القصة الأولى مثلا ، وفكرتها الأساسية هى تفكير الزوجين فى الانفصال ثم عدولهما عن ذلك كما قلنا ، نجد الزوج يفكر على هذا النحو :

« لا أذكر متى سافرت فى هذا القطار . . ربما منذ عدة سنوات وجيزة ، كانت هناك مساحات شاسعة من الخلاء غفلت عنها يد التقليم وخنقتها الأعشاب الشوكية . . تبدلت الدروب وامتد بساط النجاح والإرادة ليشمل أغلب الطرق تاركا التعايش مع زحف السلحفاة » .

بل إن هذا الرجل يفكر لزوجته التى تجلس أمامه فى القطار فيقول إن نظراتها كانت تهرب منه :

« . . عبر أشرعة أهدابها وهى تولى الأدبار نحو سنابل القمح وعلى سباط التمر »

وهذا الكلام كله لا علاقة له بما كان يجب أن يشغل الزوجين فى هذه القصة ، فكيف ، وسط هذا الهم الكبير ، يرى الزوج بساط الإرادة والنجاح . . وتجرى نظرات السيدة على سنابل القمح وسباط التمر ؟ ولماذا يركبان القطار ؟ إن هذا الكلام يمكن أن يوضع فوقه عنوان إعلامى هو مثلا « الصحراء بين الأمس واليوم » ولكن لايخدم أهداف القصة التى ترصد هموم زوجين على وشك الانفصال .

والسبب فى عدم التحديد هو كما قلت هذه اللغة العامة التى تخدعنا فنظن أنها هى الهدف ، فى حين أنها يجب أن تكون أداة توصيل تعين القارىء على فهم الموضوع أو الإحساس به ، وحينئذ لن نقول عن رجل يحاول أن يلفت نظر فتاة « بدت الحيرة فى محياه ، والسأم يتخلل نفسه » فليس فى هذا الموقف سأم . . أو نقول « نتلقفه الرياح بشراهة » أو « أمواج الصمت تنسكب من أهدابه التى لاتنام » وغيرها وغيرها .

وإنما أطلت فى الإشارة إلى لغة الكاتبة ، لأننى وجدت أنها تملك موهبة اقتناص اللحظة المناسبة ، وتعرف من أين تبدأ قصتها ، وكان من الممكن أن تقدم لنا قصصاً جعيدة لو أنها انتبهت إلى لغة القصة لا تكون جميلة ومؤثرة إلا إذا قربتنا من الشخصية أو الحدث . . وسبب آخر جعلنى أشير إلى اللغة وهو أننى قرأت سطورا سريعة فى صفحة الأدب بإحدى المجلات الأسبوعية عن هذه المجموعة ووجدت الكاتب يشيدويبالغ بجمال اللغة وتناسقها و . . وأخشى أن تنخدع الكاتبة بكلام من هذا النوع بعيد كل البعد عن الحقيقة .

ومع ذلك ، فقد أتيح لى أن أقرأ للكاتبة بعض القصص التى كتبتهابعد نشر هذه المجموعة ، ووجدت أنها تخلصت إلى حد كبير من تلك الأخطاء التى يتعرض لها كل الأدباء الشباب ، إلى أن تتضح أمامهم الرؤية .

القاهرة : عبد الله خيرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد كمال محمد .. وفن القصة

عبد الغنى داود

لم يُتح لى أن أقرأ أعماله الأولى وهى كثيرة :- [ثلاث روايات : «أيام من العمر» ١٩٥٤ ، «دماء فى الوادى الأخضر» ١٩٦٧ ، «الأجنحة السوداء» ١٩٦٩ . وخمس مجموعات قصصية : «الحياة امرأة» ١٩٥٦ ، «الأيام الضائعة» ١٩٥٧ ، «أرواح وأجساد» ١٩٥٨ ، «حب وحصاد» ١٩٦٠ ، «الأصبع والزناد» ١٩٦٥] .

وكانت بداية تعارفنا بمجموعته القصصية المتميزة «الأعمى والذئب» ١٩٨٠ تلتها روايته القصيرة «الحب فى أرض الشوك» ثم «خمس قصص قصيرة» ١٩٨٠ . ثم مجموعاته القصصية التى تبدأ بروايته القصيرة «العشق فى وجه الموت» ١٩٨٣ ومجموعة قصص أخرى ، و «البحيرة الوردية» ١٩٨٣ ، و «حصاة فى نهر» ١٩٨٣، «نزيف الشمس» ١٩٨٥ ، وأخيراً «سقوط لحظة من الزمان» ١٩٨٧ .

وفى كل هذه القصص يبدو الاهتمام بالحدث ، وخلق الجو والإحساس بالمكان الذى تدور فيه الأحداث ، والتقاط الشخصيات المنسحقة التى تقع دائماً فريسة القدر أو ظروف اجتماعية وأحياناً سياسية متعسفة . . والكاتب مهتم كثيراً باكتمال اللقطة ، وغالباً ما تنتهى القصص بفراق أو أسى يفطر القلب، وأحياناً تنتهى بدماء وقتل وعنف بعد قهر طويل مكبوت .

والكاتب مغرم بالبحث عن الأماكن المتميزة والأجواء الخاصة التى تدور فيها أحداث قصصه كحارات المدن الصغيرة ومحطات القطارات ومواقف الأتوبيسات والتاكسيات والكبارى وقرى شاطىء البحر . . والناس دائماً فى قصصه إما على سفر أو عائدون بعد غيبة طويلة . . أو يبحثون عن الخلاص بالخروج من واقعهم المرير والانتقال إلى مكان آخر لعل فيه النجاة أو الخلاص . . وأغلب القصص بها سفر [قطار ــ اتوبيس ــ سيارة] وفراق للأحباء أو هجران بين الآباء والأبناء أو من تربطهم الروابط والذين يسقطون ضحايا لانفصال الأبوين أو لموت أحدهما . . والقصص مليئة بأبناء حيارى وحزانى وآباء يعانون الوحدة ونساء يشقين لكسب العيش . . . وعلاقات متقطعة لا تكتمل ، وصمت ولا بوح . . ولا يبقى سوى الوحدة والفراغ . .

أما الأبطال فمهانون منسحقون يبحثون عن الانتقام من عدوان يقع عليهم وحتى ولو تم ذلك فى خيالهم . . . كذلك تمتلىء قصصه بالصبية اليتامى أو المشردين أو المقهورين بذل الحاجة إلى الحنان والعطف أو الحاجة إلى من يسندهم فى مواجهة الحياة . .

والكاتب حريص على تصوير لقطته بأمانة كاميرا السينما ذات الصور الحية المتحركة وليست كاميرا الفوتوغرافيا الثابتة الجامدة ، فهو مثلاً عندما يغوص فى عالم الساقطات يكشف الأغوار العميقة لهذا العالم وخباياه ، ويشير إلى أسباب السقوط مستخدماً «الفلاش باك» فى سلاسة ، واللقطات المكبرة والعامة فى براعة . . كما فى قصة (الفستان) فى مجموعة «نزيف الشمس» ، (العواء) ، و (فى المنعطف) فى مجموعة «سقوط لحظة من الزمان» ، وقصة «صفحة من كراسة الليل» من مجموعة «البحيرة الوردية» التى تكاد تكون معالجة سينمائية كاملة .

وعندما يقدم قصصه عن الصبية الحيارى والمشردين يرتد الكاتب صبياً يحكى ويصف من خلال عيون الصبى الذى تنقصه التجربة ، ويضفى ذلك على الأشياء سحراً خاصاً . . أما عندما يدخل عالم زحام الأتوبيسات الخانق فهو يجسد مشاعر القسوة والسلوكيات الفظة التى يقترفها البشر من أنانية وغلظة وعدوان .

ورغم أن قصصه لا تحمل أبعاداً أيدولوجية أو ميتافزيقية ، وتركز لقطاته على وجيعة الإنسان وانفطار قلبه ، وعلى عذابات البشر وما يعانونه من وحدة واغتراب نفسى وأحلام مجهضة ويقظة ممزقة فإن قصة «النصف الأخير من الليل» من مجموعة «البحيرة الوردية» تجسد صورة الإرهاب والديكتاتورية التى عاش الإنسان المصرى تحت وطأتها وفى كابوسها فترة طويلة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الزمان . . وهى بمثابة شهادة حية ومؤثرة ، تعدّ وثيقة هامة على ذلك العصر .

أما قصة «الموتى لا ينهضون» فى مجموعة «نزيف الشمس» فتحكى عودة المقاتل مهزوماً من الجبهة عام ١٩٦٧ وإسراع أخيه ملهوفاً لينضم إلى المظاهرات التى امتلأت بها الشوارع ــ مطالبة بعودة الزعيم الذى تنحى عن زعامته بعد الهزيمة ــ غير عابىء بجراح أخيه أو مكترث بالهزيمة التى كان أخوه أحد ضحاياها ، وفى قصة «حلقات الانهيار» فى مجموعة «البحيرة الوردية» يربط اتوبيساً مكتظاً بالبشر يغرق فى النهر بالعبور فى « ٧٣ » من خلال بطل قصته الذى فقد نظارته ومن ثم فقد الرؤية ، ويظل يبحث عنها فى زحام الأتوبيس وهو متأكد أن الأقدام قد دهستها . . ثم يسقط الأتوبيس فى النهر ، وتلقى مجموعة جرحى الأتوبيس فى المستشفى ، ويكتشف كل منهم ضياع شىء من أشيائه ، ويُفاجأ البطل أن نظارته مع أحدهم فيستعيدها بلهفة وتبدأ رؤيته من جديد للواقع .

وقصة «الحقيقة لا تدق الأجراس» من مجموعة «العشق فى وجه الموت» تروى خيانة أحد المناضلين لرفيق نضاله ، وإيقاعه بابنته إلى أن يخرج المناضل من المعتقل مجروحاً بالزوجة الخائنة والابنة التى غُرر بها . . ويتربص برفيق النضال السابق حتى يظفر به ، وعندما يطلق عليه رصاصته يكون رفيق النضال الخائن قد فارق الحياة من الذعر . . والقصة تضىء جانباً من جوانب حياتنا السياسية وتاريخ بعض الحركات النضالية فى مصر .

(محمد كمال محمد) الحاصل على جائزة الدولة التشجيعية فى القصة عام ١٩٨١ والذى يملك رصيداً كبيراً من الكتابة [خمس روايات وعشر مجموعات قصصية] ورغم هذا يحكم عليه الناقد (د. سيد النساج) مجلة فصول العدد (٢) ١٩٨١ بأنه واحد من كتاب الحلقة المفقودة فى القصة القصيرة المصرية . . هذا الحكم الذى لا يؤدى إلا إلى معنى واحد هو أن هذه الفترة أو هذا العصر الذى يعيش فيه هؤلاء الكتاب الذين يسميهم كتاب الحلقة المفقودة هو عصر مفقود وفترة ساقطة من التاريخ يتوقف الزمن خلالها عن الدوران وكأنه زمن اللعنة الذى جسده كاتبنا وأبرزه جلياً فى روايتيه «الحب فى أرض الشوك» ١٩٨٠ و «العشق فى وجه الموت» ١٩٨٣ . . فبطل الرواية الأولى (زايد) ــ وهى الرواية التى حذف منها (الناشر) ثلاثة فصول من القسم الأول وثلاثة فصول من القسم الثانى وهى فصول ستة عالج فيها الكاتب حرب اليمن وهزيمة ٦٧ ، وستنشر الرواية كاملة فى تونس بعنوان «المُعدَمون» . . (زايد) هذا شخص تلاحقه لعنة ما . . إذ يتسبب فى تعاسة من يحبها (ميادة) وموت ومقتل أحبابه وأصدقائه دون قصد ، فلعنته تمس كل من يقترب منه . . والرواية بانوراما عريضة لفترة الستينيات وهزيمة ٦٧ تدور أحداثها فى القرى والمدن الصغيرة القريبة من شاطىء البحر وتتعدد فيها الشخصيات ، وهى أقرب إلى الشكل الملحمى رغم تتبعها لبطل واحد . . .

أما بطل الرواية الثانية «العشق فى وجه الموت» فهو ذلك الرجل الذى زحفت عليه السنون فيتزوج الأرملة الشابة (نوال) التى احتارت بطفلتها عند الزواج فتركتها فى الشهور الأولى ، ثم أتت بها لتعيش معهما وتكون سبباً فى هدم ذلك العش الصغير الذى حاول أن يكون هانئاً وهو =جرة فقيرة فى شقة خالة (نوال) المريضة وزوجها . . ذلك لأنه بطل تدمّره الوساوس والشكوك ، ويضغط عليه زحف الشيخوخة القريب فيكون سبباً فى تعاسته وتعاسة الآخرين ، ويجلب الكوارث لهم،إنها نماذج منسحقة لا تملك إلا أن تدمر نفسها وتجلب التعاسة لمن حولها ــ فالرواية رحلة فى باطن شخصية البطل وسبر أغواره . . إلا أن الكاتب لم يهتم بأعماق (نوال) رغم أنها شخصية روائية ثرية كان من الممكن أن تكون أكثر ثراءً لو غاص فى أعماقها .

أليس فى الروايتين تجسيد لما آل إليه عصرنا المهزوم الذى يرضى بأنصاف الحلول . . ثم ينتقم من كل هذا بأن يدمر نفسه ويدمر من حوله ؟

إن مجموعات محمد كمال محمد السبع وروايتيه التى أُتيح لى قراءتها تضم نحو مائة قصة تمور بنماذج بشرية ضعيفة أو مستكينة ، وأغلب هذه القصص أشبه باللقطات السينمائية الحية . . كتلك الأم التى تضرب طفلها بقسوة فى الأتوبيس لتوهم الكمسارى أن الطفل أضاع تذكرة الركوب ، وعندما تنزل به إلى الأرض تدلله وتداعبه فرحة بأنها ستشترى له حلوى بالقرش الذى كانت ستدفعه للكمسارى فى قصة (أشياء شاحبة) فى مجموعة «البحيرة الوردية» ، وكثير من القصص يمتلىء بذلك الحب الفياض والعواطف الجياشة ، والقلوب والعيون التى تدميها الدموع والأهات ، وتلك النفوس التى تمتلىء بالشعور بالفقدان والفراق القاسى الذى لا مهرب منه ، وتفسخ واهتزاز علاقات التواصل التى كانت قوية . . وعدت عليها عوادى الزمن والظروف الاجتماعية غير العادلة التى تجعل أحد الطرفين يسقط .

وقصصه جميعاً تتميز بإيقاعها الحى ، فالقصة لديه تبدو كالقطعة الموسيقية يحكمها إيقاع مميز منذ بدايتها حتى نهايتها . . كذلك تنبع الموسيقية ــ ولا أقصد الشاعرية من اللوحة المتكاملة التى يضمها إطار القصة فى النهاية ، ومن الألفاظ والجمل القصيرة والطويلة إلى حد ما ، ومن الإيقاع الداخلى للألفاظ والأحداث والمشاعر .

لذا يمثل الفنان (محمد كمال محمد) فى أدبنا القصصى نوعاً نقياً وصادقاً من الكتاب جعل كتابة القصة والرواية رسالته فى الحياة آخذاً على عاتقه مخاطرة الاستمرار فى الكتابة دون انتظار لمقابل أدبى أو مادى . . وهذا هو الفرق بين من يجعل الأدب والفن رسالته فى الحياة ومن ينصرف عنها عند أول عقبة . . أو يضيق بمشاكلها فيبتعد عنها مؤثراً السلامة . . أو يدمن اليأس الذى هو إحدى الراحتين وهكذا يستمر الفنان (محمد كمال محمد) فى العطاء .

القاهرة : عبد الغنى داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الفتاح رزق

قصة | المرأة .. المرآة !

أبداً لم يكن جسده ينزف دماً ، ولكنه كان يحس آلاماً متزايدة لا يعرف ـ من كثرتها ـ أن يحدد لها مكاناً . . . لابد أن أربطة جروحه هى ملابسه . . . فكيف يقوى الآن على المسير ؟ وكيف يعود إلى الجدران التى يتأكد بينها حقيقة أنه لن يراهم ثانية . عندما انطلقت ضحكته رغماً عنه ضربوا كفاً بكف وامتلأت عيونهم بالحسرة والشفقة . . . فى الحقيقة كان جالساً بينهم ولكن عينيه كانتا متعلقتين بالمرأة المكتنزة التى ينحسر ثوبها على الفخذين . . تذكر ما حدث البارحة فى مثل هذه اللحظات عندما تعرّت من ثوبها كله ، واستشعر سخافة ما سيفعله قبل أن يبدأ معها تصور النهاية . . . سيتمدد فى استرخاء وعيناه يغالبهما النوم . . . ألقى ثوبها فوقها . . . رآها ثانية وانطلقت ضحكته ، فكيف يفهمونه ؟ ضائع هو بلا أهل ، وإذا زاره غريب أحس بالضيق . . . السجن هو حريته طالما يغلق الباب بيده . . تحية للبواب عند كل عودةٍ إلى الجدران وبعدها يفعل ما يريد . . صعد إلى الأتوبيس وابتسم عندما رأى كل من به فى نكماش انفرادى . . . كل واحد فى زنزانة تحتويه من رأسه حتى قدميه . . . لم يعجبه أن الباب المفتوح يتيح للهواء البارد أن يصفعه . . . نزل من الأتوبيس قبل أن يدرك المكان الذى نشده . الآلام تتزايد ولابد أن يقف عارياً أمام مرآة حتى تفحص كل جسده . . . عندما فتح باب سجنه رآها أمامه . . . الاكتناز فى الجسد وفى الوجه . . وابتسامة تعنى شوقها بالمفاجأة . انطلقت ضحكته التى ضربوا لها كفاً بكف . . . السجن هذه الليلة ليس انفرادياً ولابد من التحقيق .

- ايه اللى جابك ؟!
- المفتاح معايا .
- وعلشان كده جيتى ؟!
- زى كل مرّة .
- لأ . . . خلاص .
- هو إيه اللى خلاص ؟

كيف تفهمه ؟ . . ولكنها قد تغنيه عن المرآة . . استدار ناحيتها بوجه يتألم ويبتسم :

- أنا مجروح . . . بس موش عارف فين ؟
- يا خبر ؛ اقلع ورّينى .

خلع ملابسه كلها على صدى ضحكاتها المتماوجه :

- موش شايفه حاجه . .
- لا . . بصّى كويس .
- مافيش حاجه . . لازم البرد .

نفس الفكرة القديمة عاودته ثانية . . كلما رأى رجلاً عجوزاً متكالباً على جمع الأموال احتار لتكالبه ، يوم والثانى وسيموت فلماذا يجهد نفسه ؟ . . . لكن العجوز الذى يسكن فى الشقة المقابلة أجاب نيابة عنهم كلهم ، ليس من أجل الأولاد . . ليس الجشع . . وإنما من أجل أيام بلا جوع لأسد فقد أنيابه . استدار ناحيتها وقد انتهى من ارتداء ملابسه :

- أنا عايز أكون لوحدى الليلة دى .
- وحا روح فين دلوقتى . . احنا آخر الليل ؟
- أنتى حره .

مادام كده . . موش حامشى !

لم يكن نائماً ولكنه كان يحلم ، عليه هذه المرة أن يطبق هو وبقية فرسانه على الوكر الأخير لأعدائه . . حركة الالتفاف الأخيرة لم تقض عليهم تماماً . . صاح صيحة القتال وهو يندفع بجواده إلى المقدمة . . طعنة فى كتفه لا تؤلمه . . مر وقت طويل ولكن عندما توقف الجواد كان قد انتصر ! . . . قالت وهى منكمشة إلى جواره :

- تزعل لو سألتك سؤال ؟
- اسألى .
- أنت جرى لك حاجه ؟
- حاجه زى ايه ؟
- موش قصدى . . لكن موش شايفاك زى طبيعتك .
- ازاى
- بتعمل حاجات غريبة . . وبتقول حاجات أغرب .
- مجنون يعنى . . موش كده
- يا خبر ! . . موش قصدى . . يعنى حكاية الجرح دى قصدى . .
- أنا فعلاً انجرحت .
- فين بس . . ورينى !
- هناك .
- والله مافيش حاجة .
- قلت لك هناك .
- خلاص . . اللى يعجبك .

عندما فتح عينيه فى الصباح لم تكن بين الجدران . . ضاق صدره حين وجد المفتاح الذى كانت تحتفظ به موضوعاً فوق الوسادة بجوار رأسه . . قبل أن يضع فنجان القهوة فوق مكتبه أدرك أنه قد وصل إلى اليقين . . كل ما يدور حوله الآن ويشارك فيه لا يدور حقيقة الآن . . صورة أخرى مطابقة تعود مرة أخرى . . ما من شيء يفعله إلا وكما ينبغى أن يكون . حدّة آلامه قد خفّت قليلاً ولكن لابد ألا يتحرك كثيراً وإلا نزف الجرح من جديد . . هدأت الحركة وبدأ كل من فى الحجرة يستعد للانصراف . واعدهم فى حماس كاذب على اللقاء ، استرخى تماماً فى كرسيه وأغمض عينيه بالقدر الذى يسمح بإلغاء الأشياء الجامدة التى تحيط به . . الجواد لم يعد مناسباً والأفضل له الآن أن يقود طائرته فى مقدمة سرب كبير ولابد أن يدمر الهدف تماماً فى قلب الليل ، صعود وهبوط ، دوران وانقضاض . . هدير الأصوات يدوى فى الفضاء فلا يستطيع تمييز صوت عن صوت . . المحركات والطلقات وانفجارات خزانات الوقود ثم طلقة تصيبه فى كتفه الآخر . لابد ألا تسقط به الطائرة . كتفه ينزف دماً ولكن يديه تمسكان بمقبض القيادة فى قوة وثبات . . طائرات أعدائه تسقط محترقة الواحدة بعد الأخرى . . عليه الآن وهو فوق الأرض أن يعالج الجرح فى كتفه .

دخلت عليه الحجرة . . الاكتناز فى الجسد وفى الوجه ونفسر الابتسامة التى تعنى نشوتها بالمفاجأة .

- هى حصّلت تجيبى فى الشغل كمان ؟
- وايه يعنى ؟
- الناس تقول ايه ؟
- واحدة قريبتك . . واحدة صاحبتك .
- سيبتى المفتاح ليه ؟
- مالوش فايدة .
- ازاى ؟
- موش حاسيبك . . مطرح ماحتروح حاكون وياك !

بين الجدران خلع ملابسه كلها وعاد يسألها من جديد :

- المرة دى أكيد .
- هو ايه اللى اكيد ؟
- الجرح .
- موش شايفة حاجة .
- أنا مجروح . . مجروح . .
- خلاص . . اللى يعجبك !
- يعنى شفتى الجرح ؟

احتوت رأسه بين ذراعيها فوق صدرها ولم ترد عليه . أحس بسعادة بالغة لأنها لم ترد عليه . . لو أجابته لما استطاع أن يسألها ثانية . . قال كالمحموم :

- ايه رأيك نتجوز ؟
- ماانفعكش !
- يعنى ايه ؟
- احنا كده كويس .
- امال ليه موش عايزة تسيبينى ؟
- لانك محتاج لى !

كانت كأنها تحكى له حكاية ، لم يلتفت فى البداية ولكن بدأت تشد انتباهه . . تكلمت عن امرأة مات زوجها فى السجن وترك لها ابناً واحداً تتمنى ألا يدخل السجن أبداً . حاول أن يفتح عينيه وهو يسألها :

- انتى تعرفيها ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- زى مااعرفك .

تسقط عيناه عن وجهها . . هذه الملامح كأنه يراها لأول مرة . . أنف أفطس قليلاً ولكنه متناسق مع البروز الخفيف للوجنتين ومع امتلاء الشفتين . . العينان عسليتان . . امتدت يداه فى رفق لتحيطا بوجهها ، اندهش عندما رآها تتنفس فى ارتياح بصوت مسموع . . شىء ما فى ملامحها أحالها إلى إنسانة أخرى غير التى كان يتوجه إليها دائماً بالسؤال كلما أحس آلام الجرح . . قال وهو مختنق بالبكاء :

- أنا حقيقى مجروح .
- أنا عارفة !
- أمال كنتى بتخبّى عليه ليه ؟
- لأنى ما أحبش أشوفك كده .
- ازاى ؟ . . موش فاهم ؟
- خلاص ! . . اللى يعجبك !
- موش فاهم ؟
- يعنى عايزنى أحكى لك الحكاية تانى ؟

وقفت وأمسكت بيديه ليقف معها ، ظلت عيناها تتشربان ملامحه دون ملل . . طالت وقفته ، وعندما أفاق لم تكن أمامه . . وكان باب شقته مفتوحاً !!

القاهرة : عبد الفتاح رزق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد كمال محمد

قصة: الأشياء

قلت ببراءة الصبى محتجاً :

- «غدرت به . .»

قال :

- «لا أقصد . . لكنى لا أحب أن ينتصر ! »

كنت أركب خلفه الحمار على طريق الدار . . وخلفنا صف عال لأشجار الكافور ، يرتمى الحقل حذاءه بطينه المشبع بالماء . . وصورة الرجل هناك ينهض لاهثاً من سقطته ، دائراً بنظراته المهزومة حول ثيابه الغارقة فى الطين ، مدمدما بالسباب والوعيد . . اقتنصه أخى وذراعاه معلقتان فى أكمام جلبابه وهو يخلعه ليهاجمه . .

- «شرس . . يستأهل ما جرى له ! . . كل مرة يقابلنى على رأس الغيط يجرّنى للعراك» .

حكى عن واقعة نزول الحمار زرعة الفول فى حقل الرجل ، وعقب قائلاً :

- «لم ينس من يومها ! »

قرب الدار قال :

- «الأرز المعمّر ينتظرك . . عملته أمى لأجلك . . لماذا لم تجىء من أول الأجازة ؟» .

فيما خايلتنى زوجة أبى متعبة دوماً بنوبات الربو ، قال :

- ياما أكلت عند أمك فى المدينة أصنافاً «أصدر صوتاً بفمه يعبر عن التذاذه) ، ثم سألنى عن مدرستى هناك ، وماذا فعلت بها طوال العام ، وقال :

- «أمك لها حق فى حبها لمدينتها . . وعيشها هناك . . لماذا اخترت الإقامة معها ؟» .

دون أن ينتظر جواباً ، مضى يصف شوارع المدينة التى ارتادها . . ورائحة الأكل فى المطاعم الكبيرة . . وضفة النهر المشتعلة فى الليل بالأضواء والمقاهى . . استهوانى وصفه للأشياء ، فاستغرقت أنظر إليها بعين جديدة مشتاقة . . وشددت ذراعى حوله فى حب . .

كان أبى كثيراً يغضب منه . . يؤنبه ساخطاً : «فشلت فى مدرستك . . والآن ماذا تريد أن أصنع لك . . زرعة الغيط تهملها ، ما فائدتك إذن . . أى شىء تصلح له ؟ هل تريد أن استأجر من يعمل فى الأرض وتقعد أنت فى الدار كامرأة !»

*

فى دار جدته لأمه مضى يدخن جوزة المعسل منتشياً ، وعيناه على وجهى تبتسمان :

- «أجىء هنا بعيداً عن عين أبيك . . كلما غضب يهددنى بالطرد من الدار»

مدّ الغابة حتى طالت فمى . . نظرت إليها متهيباً ، قال محرضاً :

- جرّب

أطبقت على طرفها بشفتى ، وتوقفت محدقاً فى وجهه . .

- شد

والنبرة مغرية بالتجربة جذبت نفساً قصيراً فاشتعلت النار فى

حلقى واختنقت ثم سعلت بشدة ودمعت عيناى . . فيما يقهقه تلقفنى دوار وغثيان ، فانطرحت على الحصير سائب المفاصل . .

هدر القطار على القضبان المجاورة فاهتزت الدار وغصت تحت أرضها ، وهو يضحك ويهزنى «قم يا طفل !» .

فى الليل ، لا أدرى أية ساعة ، لم أر ابتسامته . .

عند الباب الداخلى وسط الدار واجهنى ممسكاً بحبل مشدود وراء ظهره ، وكان يجذبه فى رفق متجهاً ناحية باب الطريق . . كنت صاحياً فى رقدتى بجوار أبى . . والليلة صيفية ، هجرنا لحرارتها الحجرة لننام فى الفناء الرطب . . أطلت رأس البقرة فى نهاية الحبل وأخى يسحبها مجتازاً بها العتبة الفاصلة بين الفناء والزريبة . .

كان وجهه متجهماً قاسى الملامح . . وعيناه تتوثبان بنظرة تحاصر فراشنا . . أكان أبى نائماً ؟ هل رأى وجه أخى ؟

امتدت يده الخالية فى ثبات تسحب المزلاج الغليظ ، فانفتح الباب فى صرير خافت ثم انغلق . . وساد سكون . .

عند ذاك نهض أبى يحملق تجاه الباب . . ونهضت معه قاعداً فى الفراش أرتعد . .

- أرأيت ابنك ؟

- وسط الفناء فى الضوء الباهت ، كانت زوجة أبى منتصبة كشبح . . أسرعت تغطى رأسها بشالها ـ لا أدرى لماذا ـ دون أن تجيب بشىء . . وكانت ترتعد وأبى يرميها بنظرة حادة يدمدم :

- تركته يذهب . . حتى لا أوقظ الجيران على الفضيحة !

نكست رأسها متمتمة :

- لا أصدق ما حدث

مضى أبى يهدد :

- «سيقولون ابن عالم البلد يسطو فى الليل على دار أبيه كلص . . أحقاً هو ابنى ؟

أخذت تنشج بالبكاء ، ثم قعدت فجأة على الأرض ، وارتفع صوتها بالنحيب . . وكان ابى يردد فى ذهول :

- يسرقنى ؟ . . يا للفجيعة !

فى الصباح رأيته يعتصر دمعة من عينيه لكى يجففها قبل أن يلبس نظارته . .

* * *

قلت له : أبى حزين . . مصدوم بفعلتك

قال :

- أغلق فى وجهى باب الدار ليلة أمس . . حرمنى من المرأة التى أحبيتها . .

قال لى هل أفلحت فى شىء حتى تريد أن تتزوج ؟

صمت لحظات قبل أن أقول :

- سمعته يحكى لأمى عن بنت رجل يتجول فى القرى اسمه . . . لا أذكر !

- «اسمه الزنجرى . . لشهرته فى بيع الزيت الحار»

ثم فى حزن :

- يئست منى . . تزوجت أحدهم فى القرية المجاورة . . ومازالت تحبنى !

شردت يستغرقنى إحساس بالأسى . .

- طلّق أمى . . كسر قلبها

بدهشة تساءلت :

- كيف ؟ إنها لم تغادر الدار ؟

رفع رأسه هادراً :

- لأنه يخاف كلام الناس عن طلاق أمام الجامع لأم ولده من أجل . . .

- الأخرى ؟ . . أمى ؟

عاد يخفض رأسه :

- ربما أذنبت أمى . . أو أساءته ، لا أعرف

سكت ثم أردف بصوت خفيض :

- طلقها فى المدينة . . حتى يبقى الأمر سراً

فيما ظللت أنظر إليه فى حيرة قال :

- أنت لا تعرف . . لأنك لا تعيش معنا

أمسك بيدى :

- تعال أوصلك للدار . . أبوك فى الجامع يصلى العصر

- وأنت ؟

طوق عنقى بذراعه :

- سأصف لك طريق دار صاحبى إذا أردت أن تجيئنى قبل أن تسافر . . لا تقل لأمى . . يجب ألا ترانى حتى لا أضعف . . لن أعود إلى الدار . . وأبى لا يريدنى

«سرت بجانبه مطرقاً . . يفيض قلبى بوحشة ثقيلة»

تباطأت خطواته :

- كنت أنهزم أمامه . . لأنه أبى

فى الدار كانت زوجة أبى وحدها . . تطلعت إلى بنظرة صامته تسألنى هل رأيته ؟

خافت أن ينطق لسانها . . ربما تظننى سأقول لأبى . .

لذت بالصمت . . متوجعاً فى داخلى . .

ظلت ترسق إلى عينى ذات النظرة البكماء ، كلما دخلت تحمل شيئاً لأبى . . ثم تدير وجهها قبل أن يلحظها . .

تكلمنا حتى المساء . . وكانت كلماته تنضح بالمرارة . . وكان يجهد فى إخفائها . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رافقته لصلاة العشاء . . وقفت فى الصف الأول خلفه . . كان يتلو الآيات متخشعاً مرتعش الصوت . . تأملته فى ركوعه وسجوده قبل أن أتبعه . . شفوق رحيم . . لكنه لن يغفر لأخى أبداً . .

«لم أخلق للعيش فى هذه القرية . . الأرض فى عينى ميتة . . وليس فى الـطوق أن أحيى الموات . . ولمـاذا علىّ وحـدى أن أفعل . . أحببت تلك المرأة بفشلى . . وكنت أجدهـا سندى وحدها وسلواى» .

سنفترق حين أسافر . . سيعانقنى . . سيقبلنى . . وأنا ؟

« أنت لا تعرف . . لأنك لا تعيش معنا»

انطويت فى حزنى . .

القاهرة : محمد كمال محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فؤاد قنديل

قصة الثلاجة

أعترف أنى كنت أغار منه ، فمنذ أن تخرجنا فى الفنون الجميلة ، وحتى أثناء فترة الدراسة ، كان يبهرنا بخطوطه وألوانه ، ويفاجئنا بمزجه الغريب فى لوحاته بين اتجاهات متعددة . . تتعايش منسجمة فى جمال أخاذ .

كانت بيوته تسيل واللون ينهار فيها على اللون ، ودموع أطفاله خيوط من الضوء تمضى إلى السماء لتصحب رحلة المطر ، ووجوه نسائه شُعل من النار تتخللها أراض تزدهر فيها المحاصيل وتتدفق بينها قنوات الماء المبتهج .

والدهشة تتملكنا وتهزنا فى عنف وتظل وقتا تدب فى أعماقنا ، حتى الأساتذة كان هذا العفريت يشدهم بلوحاته الخلابة وزواياه المتميزة ويسعدهم أسلوبه المتجدد ، فكل ما يطلع به علينا جديد وغريب وممتع . .

نحدق ونغوص ونتأمل . . نود لو نعثر على السر . . ليس سر الجمال المتفجر فى الصور ، ولكن سر الإلهام الذى رمى هذه العوالم بين يديه ، لا يجد غضاضة فى أن يرسم كوبا مقلوبا ، ولكننا كنا نحس أن الكوب يخفى سرا ، وأن له عيونا ماكرة تتوعد فى خبث إذا الكوب اعتدل . . وقد يرسم بابا مخلوعا . فتدرك إذا حدقت فيه أنه باب شامخ . . واثق بنفسه حريص على كبريائه ، رغم مسحة الحزن التى تشوب جوانبه ، وتتصور أنه هو الذى قرر أن ينخلع من بيت عظيم ومملّ . . وله لوحة لطفل فلسطينى مشوه ، لكن نورا غريبا وساحرا يشرق من عينيه ويمتد ليضىء اللوحة كلها . . والعالم .

تفرقت بنا السبل ، وألقت بنا الغايات المتعددة إلى طرق مختلفة . . لكننى كنت دائم السؤال عنه ، متوقعا فى كل مرة أن أتلقى عنه خبرا مثيرا فى عالم الفن . هو جدير به .

علمت أنه تزوج فجأة من جارته ، لا أظن - حسب علمى - أنه كان يحبها ولا أظنه تزوجها نزولا على رغبة والديه ، فهما لم يفرضا رأيهما يوما عليه .

فى أحد الأيام وبعد عودتى من الخارج ، فأنا كثير السفر بحكم عملى ، سألت عنه . . فعلمت أنه هجر « الأتيليه » ولم يعد يرتاد المقهى التى اعتدنا اللقاء فيهاأحيانا فى محاولة للربط الدائم بيننا حتى لا ينفرط عقدنا . . وأنبأنى الأصدقاء بأنه ما عاد يشترك فى المعارض ، وإذا ألحوا وافق على الاشتراك بأعمال قديمة سبق عرضها حتى حفظها الناس - وفقدت بريقها وطرافتها . .

ما الذى حدث له ؟ هل استحالت شهوته الجهنمية رمادا مبتلاً !

قررت أن أزوره - لكن مشاغلى حالت . . وقابلته مصادفة يحشر أولاده الخمسة وزوجته فى سيارة أجرة - ويرتمى على المقعد بجوار السائق محتضنا أحد أطفاله . . وقفت أرقب السيارة كأنها اختطفته منى ولن أراه ثانية .

ماذا جرى له ؟

كانت ياقة قميصه دائما منشاة - لكنهااليوم كانت غريبة . . ،

على الأقل بالنسبة له . . جناح منكس إلى أسفل وجناح مشدود إلى أعلى ـ كأنهما لا يريدان العمل معا فى قميص واحد . وكان أشعث الشعر ، مبعثر الهندام . . أما عيناه فكانتا ترسفان فى قيود غير مرئية .

تكثفت فى أعماقى تعاسة هائلة . . واعترتنى لحظات أسف شديد على هذا النابغة الذى ذاب كقطعة من السكر ، ابتلعتها أمطار الحياة وجرفتها إلى حيث تصبه وتصب غيره . . أى تحول هذا وأى نهاية !

رغم أنى أعترف بفشلى ، فلم أعد أنتسب إلى الحياة الفنية تماما ، وأنا أقرب إلى رجل الأعمال منى إلى الفنان ، فأننى أعشق الفن ، وأريد أن يحيط بى فى كل مكان وأن يتسم به كل ماتقع عليه عينى وتسمعه أذنى وتلمسه يدى . . لابد أن يكون هناك من يبدع الفن ويقدمه للناس حتى لو جاع وتشرد . . لابد . . لم أكمل ما بدأت وقد كنت « واعدا » كما يقولون . . ولطالما احتشدت فى نفسى الأحلام وأمتعتنى بحلاوة الطموح وأمانى المجد . لكن ظروفا أثرت وتدخلت . . أما هو فلا أسمح له ـ وكلنا لا نسمح . . ونأبى ضياعه أو سقوطه على أشواك الحياة .

كنا نحقد عليه ونغار منه ونظن به الظنون . . أما الآن فلا . . هو أحقنا جميعا بأن يعيش وينتج وينتمى لفنه ـ وينتمى فنه له ويصبح كأمثاله فرحة الأمة .

لابد أن أفعل شيئا من أجله ـ فلم أعد أشعر نحوه إلا بالعطف ـ وكأنه ولدى أهملته سنوات . . لابد أن يرتوى من جديد ويروى . . لو ضاع مثله من الذى يبقى ويضىء ؟ إننا نقر بأن الفن له حقا ضحاياه ، ممن تصوروا أنهم عباقرة . . أما هذا الفنان فهو عبقرى حقيقى . .

دعوته ليشاركنى نزهة مغربية ـ فتململ واعتذر . . ثم انفلت منى . . لكنى عزمت أن أجلو الصدأ عنه . . اتصلت به واحتلت . . قلت :

ـ بصراحة أنا أعانى أزمة نفسية ولابد أن أتحدث إليك

ـ ولماذا أنا بالذات ؟

ـ إحساس عميق يؤكد لى أنى سأرتاح إذا التقينا

ـ هل ثمة علاقة بينى وبين سبب أزمتك !

ـ فى الحقيقة أنا لا أعرف السبب . . ربما هو الشوق إلى ماضينا البرىء

ـ منذ متى كان ماضينا بريئا ؟

ـ مذ كبرنا

ـ أنت تخفى شيئا

ـ إذا لم تكن لك رغبة فانس أنى دعوتك

ـ يا رجل . . كيف أرفض لقاءك . . وبيننا أيام الدرس

التقينا . . وكانت أنسام الغروب بعد يوم قائظ كفيلة ببعث الأمل فى نفس اليائس . . أنستنا سخونة النهار وإلحاحه الممض كى نسأم الحياة . .

ترقرقت الذكريات واندفعت تتدفق . . حدثته عن الجمال والإنسان . . عن الطبيعة والخلود . . عن سحر المعانى المثالية . . تماديت واندمجت ونسيت نفسى حتى دهشت لما قلته . . كيف قلته . . إلى أن تململ وبدا كأنه يحاول الفكاك فأفقت .

على أطراف الأفكار والذكريات تسللت من جديد فتألق وجهه تدريجيا مع كل عالم شفاف للفن تتجمع ملامحه على خاطرى فأرسمه له . . ثم عاد فتململ . . جفلت وغيّرت الحديث . . لم أجد خيرا من أن أمضى به إلى أحد معارض الفن الحديث .

لما أصبح فى قلب القاعة . . رنا إلى فى عتاب ، وكأنى وضعته فى مكان غير لائق سألتنى نظراته :

ـ لِمَ لَمْ تقل لى حتى أستعد ؟

أجبته فى نفسى :

ـ لماذا تستعد ؟ . . هل تستعد لدخول بيتك . . تقدم يا أخى . . تقدم

أومأت له برأسى مشجعا .

تنفس بعمق كأنه يتنفس لأول مرة منذ سنوات . . مضى يتأمل اللوحات . . يقترب منها ثم يبتعد . . يَعْبر بسرعة فوق الصور المستباحة ، ويتمهل ـ تغمره السعادة ـ عند الغموض النبيل ـ فيجوس بحثا عن بُعْد الأبعاد . . إلى ما وراء الرحم الكونى الشفيف .

خِلت أنه يتحدث إلى ولكنه كان يتحدث إلى نفسه . . عن النسب والتأثير اللونى الذى يولد الأضواء ويكشف فى الوقت ذاته عن التجريد الخفى الموحى .

انتشى بعد كآبة وزاد طوله ورحب صدره وبرقت عيناه ، سرى فى دمه رحيق الأمل فملأه بالحياة . . تحرك رأسه فى عصبية وشرود . . أغمض عينيه لفترة طويلة وارتجف لحظات ، هرب منها بمعاودة الفرجة . . وحين أتى على كل اللوحات تأبط ذراعى وسحبنى إلى الخارج ، فمضيت منتصرا .

شكرت الله الذى هيأ الظروف كى أحرز هدفا . . لقد وُفقت ولا شك بدليل الحالة التى أراه عليها .

قلت له : هيا نجلس فى المقهى بعض الوقت
رفض ـ وطلب أن أدعه يعود إلى بيته ماشيا
ـ المسافة طويلة عليك وحدك
ـ أرجوك

استدار ومضى دون أن يسلم . . تأملته وهو يجتاز على مهل وثقة مملكة الليل المتألقة .

علمت أنه بحث عن أدوات رسمه . . جمعها وأعدها للعمل . . أبدت زوجته دهشتها فلم يبال . . أزعجه الأولاد فلم يحفل . . استدرجوه لأحوالهم فلم يسلمهم قياده كما تعود وتعودوا .
انتبذ له ركنا فى الشرفة وراح يتأمل ما حوله ، ويسبح بخياله المتكلس . . يدفعه دفعا نحو شىء . . غاص فى سراديب روحه المعفرة بتراب الكسل . . انزعج عندما لاحت له كمخزن « روبابيكيا » . . مهملات مبعثرة . . أشياء تافهة . . أركان معتمة أفكار قديمة ومتهرئة . . « كراكيب » وأحلام لا يربط بينها رابط إلا خيوط العنكبوت والاستسلام والملل .

نفخ فيها . . ثار الغبار . . نفخ ونفخ . . انفتحت طاقة وأطل الأمل فى هالة من نور وبهاء . . بدأت قتامة الدنيا تستعد كى تنقشع من سمائه .

سألته زوجته المربِّعة : ما بك ؟

دون أن ينظر إليها أجابها : لا شىء

عادت تسأله : لماذا جمعت هذه الأدوات . . هل تنوى بيعها ؟

رد بحماس وتصميم : بل سأرسم

لم تفهم تماما ما يقصده : ماذا ؟

ـ سأرسم
ـ حقا !
ـ نعم
ـ وما الذى ذكَّرك ؟
ـ كان يجب أن أتذكر

قالت وهى تتأهب للذهاب :
ـ دعك من الرسم وتناول البطيخ المثلج
ـ لا أرغب فى البطيخ
ـ هل نسيت أنك تحبه
ـ اذهبى الآن

تأملته لحظة . . فكرت أن ترد عليه . . كيف يقول لها . . اذهبى الآن . .

لم يسبق أن قال مثل هذه الكلمة . . إنه اليوم مختلف . . ماذا يا ترى جرى له ؟ قررت ألا تهتم . . كثرة التفكير تعكر الدم . . تدحرجت بجسدها المدكوك وأردافها الثقيلة تسوق أولادها صوب حجرة النوم . . عادت تطمئن نفسها :

ـ سرعان ما يعود إلى عقله . . فلا داعى للانزعاج .

بقى فى الشرفة يحاول أن يكمل الصورة فى خياله . . يخشى الوقوف أمام اللوحة دون أن يكون قد استعد تماما واحتوى الموضوع كله فى رأسه حتى لا يتوقف أو ينهزم وتفر الرؤيا الواحدة . هذه عادته . . يمتلىء بالفكرة ويشحن بها عقله وروحه وجسده أيضا ، ثم ينقض على اللوحة كالجائع فلا يتركها إلا وقد اكتملت أو كادت . .

كلما تقدم من اللوحة عاد فتراجع . . يخشاها كأنها هى التى سترسمه وتكشفه عريانَ هزيلا . . وهيكلا نحيلا . . أجوف بلا أعماق ، كأفرع شجرة تمكن منها الشتاء .

سبع سنوات أو أقل قليلا فى كسل فنى لم تمسك يده بالفرشاة ، حتى تخشبت . . أما نظراته فقد فقدت لمحاتها وتكسرت أجنحة خياله . . منذ . . منذ أن تزوج وشغلته هموم الأولاد والمطالب . . دوامة حياتية فجة أقرب إلى حياة البهائم بلا معنى ولا هدف ولا ذكرى ولا عمق . . ولا . . ولا

قال لنفسه كى يمنعها من لومه :

ـ كيف أطيق أن يكون لى أولاد محرومون ! . . لا أستطيع احتمال إحساس من هذا النوع لحظة واحدة . . مستحيل . . كيف أقبل أن يصْفَرَّ وجه زوجتى حين ترى ثوبا وتتمناه ثم تكتم فى نفسها لأنها تعلم أنى عاجز عن تلبية ما تهفو إليه . . كيف ؟

استطرد بغير حدة : وقبل ذلك كان لابد أن أتزوج ، فهل أسكن مع أبى وأمى فى بيتنا الصغير الذى صبر علينا حتى كبرنا . . فى هذا الوقت عُرِضَ علىَّ العمل فى الإعلانات والدعاية . . لم يكن الأمر سهلا على ، ولكنى حين تسلمت فى يدى مبلغا كبيرا دون أن أمسك قلما أو أمدّ يدى للفرشاة . . رضيت مؤقتا . . ثم توالت سلسلة الحلقات . . والآن . .

ـ الآن لا شىء يسير إلى الخلف

دار فى الشقة حائرا برأسه الخاوى الذى لا يستطيع القبض على الفكرة . . الأفكار كلها زئبقية . . لا تستقر عل صفحة خياله لحظة . . وتهاجم بعضها فى عنف كأنها ذرات فى ماء يغلى . . لا تنسجم ولا تتآلف . . تهرب وتأتى غيرها مندفعة ، ثم تفر ويلتقى الجميع فى خليط مزعج ، ويصعب أن تتحد إحداها بروحه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلّم نفسه طويلا . . واقترب من اللوحة . . أمسك الفرشاة ثم عاد فتركها . . أدرك أنه لم يتأهل بعد . . تجول متسكعا فى الشقة . . حاول أن يشغل نفسه بشىء تافه ليفكر من خلاله . . تعود أن يفعل ذلك . . وقد تكون محاولة لإهمال الفكر حتى يجىء وحده راضيا . . لكن هذا الأسلوب كان يحقق النتائج عندما كانت المخيلة فى حالة استنفار دائم ونار الفكر متأججة والموهبة مواتية .

تذكر البطيخ . . تمناه . . إنه فعلا يحبه كثيرا . . سعى إلى الثلاجة . . لما فتح بابها ، طلع عليه عالم مضىء . . جذاب وحنون . . قفز طبق البطيخ إلى عينيه . . شقق حمراء متراصة منقوشة ببذور سوداء ، تخفف من فداحة اللون الأحمر وإصراره . .

البطيخ ذرات رملية حمراء متحدة بشدة . . تلمع وتكاد تسيل شوقا إلى شفتيه . . أغرته وتحدته . . بلع ريقه وشرع يحدق فيها . . ثم حوّل نظره إلى جوانب أخرى من الثلاجة الضخمة . . عالم مضىء ورطب . . جذاب وحنون . . هناك أشياء كثيرة كلها تتنافس . . لكن البطيخ المثلج ألذ ثمار العصر .

مد يده فى توجس وكأنه يخشى النتائج . . أمسك بشقة وأدناها من فمه . . فتح فمه إلى آخره واحتوى منها جزءا كبيرا . . انقض على بقية الشقة فى نهم . . ذابت فى حلقه خلال ثوان .

أخرج من الثلاجة رفا كان يقسمها نصفين ، فإذا الثلاجة تتسع لعملاق . . أمسك طبق البطيخ بيده ، تسلل إلى الثلاجة . . أخذ يأكل ويرتشف شقة تلو أخرى واحدة فى فمه وثانية يحدق فيها وكأنه يعدها لتلحق بالتى سبقت . . اندمج تماما فى التهام البطيخ . . كان الطبق يتناقص بسرعة . . لكن سياسته المفترسة لم تتغير ، إلى أن فرغ الطبق فجأة ، فألقى فيه نظرة عاتبة .

تلفت حواليه . . فرح إذ وجد نصف « التورتة » التى اشترتها زوجته أول أمس لا يزال على قيد الحياة . . أمسك الطبق وبدأ يتذوق باهتمام وإعجاب . . اعترف بأن فن الإنسان فى خلق أصناف جديدة من الطعام جذابة وباهرة لا يتوقف . . كل يوم هناك جديد أجمل وأروع . . ومن المؤسف أن العمر لا يكفى . . والبطن أيضا .

أسعده أن الطريق إلى معدته مفتوح وشهيته على أفضل مما يرام . . لكن درجة الحرارة أقل مما يحتمل . . وتدريجيا تقل . . وتقل حتى بدأ يرتعش ويأكل على مهل . . وما أن أتى على التورته حتى توقفت يده فى منتصف المسافة بين الطبق وبين فمه .

ثقلت جفونه . . كان يريد أن ينام . . ليته كان قريبا الآن من السرير . . جسده مهدود وكأنه قدم لتوه من سفر طويل . . لا يستطيع أن يتحرك . . تصلبت أعضاؤه ، فبدا عاجزا عن مد ذراعه ليدفع باب الثلاجة . . رويدا رويدا تيقن أن المكان الذى يضمه الآن هو كل العالم . . أصبح على ثقة من ذلك . . ثم لا شىء . . على الإطلاق . . البرد قارس . . قارس جدا ، وهو يريد أن . . أن ينام . . وقد نام فعلا . . أو

القاهرة : فؤاد قنديل

ظ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

حكايتان

• أشياء صغيرة
• أبيض وأسود

■ ١ - أشياء صغيرة

كان ضوء الصباح قد تسرب من خصاص النافذة ، لم يساعده الضوء القليل على معرفة الوقت من المنبه الموضوع على المكتب ، ولم يأته أى صوت من الشارع فعرف أنه استيقظ مبكراً . عقد يديه خلف رأسه وأخذ يحدق فى السقف وقد زم شفتيه محاولاً التفكير فى شىء بعينه ، ولما تنبه للراديو الصغير بجانبه نظر إليه لحظة ثم فتحه ، وجاءه صوت المذيعة ناعماً متدفقاً بالبهجة لغير ما سبب . فى البداية لم ينتبه لما تقول ثم بعد ذلك عرف أنها نشرة الأخبار . كان العالم ما يزال مثقلاً بالخسة والنذالة والعدالة الضائعة . كان الصوت المبتهج يتحدث عن استمرار قتل الأطفال الفلسطينين والشباب الفلسطينين . وبعد أن انتهت من قراءة النشرة تيقن أن لا أحد يُضرب بروعة ويُقتل ويطعن فى الظهر غير الفلسطينيين ! ثم بعد ذلك جاءه نفس الصوت يعلن عن «هاش» . كريم لإزالة الشَعْر «ندهن ، نصبر خمسة ونغسل . . الشَعْر» . . الشِعر . . النثر . . تذكر صديقه الشاعر الذى لم يعد شاعراً وكان يحذر دائماً من أن «الناس النثر» قتلوا «الناس الشِعر» . لم يستطع هذا الصديق نشر قصيدة واحدة . ولما جرب الانتحار مرتين وفشل تزوج فى النهاية ! ولما رزق بطفله الأول ، قال وكأنه يتنبأ : سوف يحقق ما لم أحققه . ردَّ بسخرية لم يُحسن إخفاءها : فى الشعر أيضاً ؟

قال بصرامة : طبعاً .

كانت المذيعة تتكلم عن تحطيم الأسعار . . ثلاث غرف وصالة بعشرة آلاف جنيه فقط . أسعارنا فى متناول جميع الناس حتى الدهماء منهم . قال لنفسه : أخيراً ، هذه المرة تتحدث عنى ، فهذا الإعلان خاص بى ، فأنا من الدهماء .

كان صوتها قد أثار فى نفسه الأحاسيس والمشاعر الجميلة . لم يشعر منذ زمن بعيد أنه فى حاجة إلى لمس يد فتاة وتقبيل عينيها وهما مغمضتان مثل حاجته الآن . أحب مرة واحدة حباً رومانسياً خائباً ترك فى نفسه لوعة وأسى ، بعد ذلك ــ ولفترة طويلة ــ توجه بكل طاقته للكرة . كره حياته وكره نفسه وكره أباه . . وبسرعة ، حسب مرتبه ، هو فى الثلاثين من عمره الآن . . حسناً ، يمكنه الزواج بعد ستين سنة إذا استقرت هذه الأسعار التى فى متناول الجميع . أما إذا أراد كسب الوقت فعليه أن يسرق أو يتحول إلى قوّاد ، وأزاح فكرة أن يسرق من ذهنه فهو لا يحب الظلم ، وفكر بجدية . قد يكون العمل كقواد مناسباً أكثر . فالقواد لا يؤذى أحداً ، وشعر بما يشبه الحنين لأن يعمل قواداً . بدلة حمراء زاهية اللون وكرافتة سوداء وطبعاً ابتسامة . فلا شىء يمكنه أن يكون نبيلاً وإنسانياً دون ابتسامة . تساءل : لماذا يظهر القوادون فى السينما بفم واسع وشفاه غليظة ووجوه مخنثة ؟ زفر ساخطاً : غباء !

تحسس شفتيه . . كانتا رقيقتين . هو لا يصلح للعمل إذن . وأحس بالإحباط الشديد فلا شىء يصلح لهذه المهنة مثل الشفاه الرقيقة رغم أنه لا يدرى السبب فى اعتقاده هذا . رن جرس المنبه فجأة فانزعج قليلاً ، كان عليه أن يقوم ليرتدى

ملابسه ويذهب إلى عمله اليومى . وفى هذه اللحظة شعر باليأس وتمنى أكثر من أى وقت أن يكون قواداً . فالقوادون لا ينتزعون من أسرتهم فى الفجر ، فهم لا يعملون إلا ليلاً ، وهذه مزية تضاف إلى عملهم .

وهو منطلق إلى العمل راقب الأتوبيس المزدحم والقادم من الناحية الأخرى وتأهب لمعركة كل يوم ، وقال لنفسه : إذا كان القوادون يعملون ليلاً فقط ، فلا شك أنه عمل ذو طابع شعرى !

■ أبيض وأسود

كنت أطمح وأنا غلام إلى كتابة قصة لها نهاية جميلة عن فتاة سعيدة غاية السعادة وفتى مشرق الوجه جميل الطلعة سعيد غاية السعادة . ولم يكن هذا الفتى المشرق الوجه غير أنا بالطبع ، أما عن الفتاة فكنت أتمنى الالتقاء بها حقيقة . كانت كل الفتيات فى نظرى . . ذلك الوقت ــ جميلات . حتى الفتاة الدميمة التى أحبتها حباً مريضاً رأيتها جميلة ورائعة جداً . . هذه الفتاة ــ ذات الطبيعة العملية ــ خلّفت جرحاً غائراً فى قلبى وذكريات حزينة عن الحب . وكما فشلت فى حبى الأول فشلت أيضاً فى كتابة القصة ذات النهاية الجميلة أو الالتقاء بالفتاة فيما تلى ذلك من أيام . ولكنى كتبت قصصاً أخرى يمكن أن تأخذ عنواناً واحداً هو «الدنيا بخير» . . أول قصة كتبتها تحمل هذا العنوان عن شاب يلتقى بفتاة فى الأتوبيس وهو ذاهب إلى صديقه .

وتعجبه الفتاة جداً ويتحدث إليها فيعجبه حديثها جداً يتواعدان على اللقاء ، ويتركها بعد ذلك ويسير فى الشوارع هائماً ، مفكراً فى حبه الجديد حتى يكاد ينسى موعده ، فيذهب إلى بيت صديقه ، فإذا بالفتاة نفسها تفتح له الباب ، فيشعر بالخجل الشديد من نفسه ويقرر أن يخلف موعده معها . . كنت وقتئذ ــ فى الثانية عشرة من عمرى . وأنهيت كتابتها فى الثالثة صباحاً وظللت متيقظاً حتى السادسة ثم ذهبت إلى سرير أبى وأخذت أهزه فى خجل حتى صحا من نومه ، فقلت له وشفتاى ترتعشان إننى كتبت قصة أريد قراءتها عليه وصحت أمى أيضاً وطلب هو من أخوىَّ الاستيقاظ ، فأخذوا يتذمرون وهم يسمعون قصتى . وبعد أن أنهيتها ابتسم أبى ابتسامة جميلة مازلت أذكرها حتى الآن ، وأمى أيضاً كانت فرحة مع أنى أشك أنها فهمت شيئاً . وظللنا فى صمت لحظة حتى قطع أخى الكبير الصمت قائلاً : إيه يا حمار ده ؟ . دية قصة ؟ . أما حمار صحيح ! فرفعت نظرى إليه وعيناى تكادان تطفران بالدمع ، فتابع غير مهتم بى :

- إذا كان همه يا غبى نازلين من الأتوبيس سوا يعنى طريقهم واحد . إزاى بقى ماشفهاش غير على باب الشقة .

فقلت مدافعاً : مش هوه «هام على وجهه» مدة من الوقت ؟

فأيدنى الجميع بحماس ، ورددت أمى بآلية : آه . . مش هوه هام على وجهه مدة ؟

ولما أحس الهزيمة قال وهو يقوم عنا : تلاقيه نقلها ! . علىّ النعمة أنا قريت قصة زيها من جمعتين .

أبى هو أول من قرأ قصة علىّ أو علينا جميعاً . استعارها من مكتبة المصنع الذى يعمل به . كانت عن شاب ثورى يقتل رئيس وزراء ويختفى فى منزل عائلة أحد زملائه . وكانت قصة مشوقة جداً ، ولم يكن وقت أبى يسمح بأكثر من ساعة لقراءتها معنا كل يوم . يغلق عليها دولابه بعد ذلك . وكان لا يحسن القراءة فكانت أختى الكبيرة تجلس بجانبه متحفزة متعجلة الأحداث ، تطالبه بإلحاح عدوانى أن تكمل قراءتها هى . ولكنه لا يعطيها القصة أبداً ! . فتظل تصحح أخطاءه فيما يشبه التأنيب ، ولما تضايقنا من معركتها الصامتة وصوتها العالى قلنا جميعاً فى صوت واحد : عايزين نسمعها بغلطها ! .

لم يكن أبى يملك غير ثلاثة كتب هى المصحف والميثاق وفلسفة الثورة ، وأظن أنه لم يقرأ أحدها كاملاً أبداً ، وأتذكره الآن وهو يوقظنى أيام الدراسة وفى يده ورقة مكتوب بها سطور قليلة تحت عنوان «من الميثاق» ويطلب منى أن أتلوها أمامه حتى أقرأها بعد ذلك أمام ميكروفون المدرسة . وكنت أردد الكلمات بحماس شديد دون أن أفهم معناها ، وأشك فى فهمه ــ هو أيضاً لمعناها ، ولكنه كان يعشق عبد الناصر ، ولما كنت أسأله عن سبب حبه الشديد له ، يرد بعد تفكير طويل : كنت أعمل قبل الثورة خمس عشرة ساعة أحصل مقابلها على خمسين قرشاً ، بعد الثورة رفع أجرى إلى جنيه نظير ثمانى ساعات عمل تتخللها راحة ووجبة غذائية ، أظن أن هذا سببٌ كافٍ لكى أحبه .

بعد أن يقول ذلك يطرق برأسه مفكراً ثم يقول : ده واحد منا يا ابنى . . ده واحد منا . ولم أفهم معنى هذه الجملة إلا بعد اجتيازى مرحلة الصبا .

بمرور الأيام غابت صورة هذه الفتاة السعيدة غاية السعادة عن ذهنى وبدأت أشعر مثل أحد الفلاسفة أن التفاؤل سخرية مريرة من أحزان الإنسان ، بل إن قصصى التى نجحت فى نشرها توصف بأنها كئيبة ويائسة ومتشائمة . والآن عندما أقرأ قصص الماضى ابتسم بسخرية . وأتساءل بأى عيون كنت أرى الدنيا جميلة هكذا ؟ فأنا أظن أن حياتى خلت نهائياً من

السعادة . إن الذين يحبون الحياة لا يفكرون فى الكتابة أبداً ، وأحسب أننى إذا نجحت فى كتابة قصة عن فتاة سعيدة غاية السعادة وأنهيتها نهاية جميلة . . إذا رأيت الدنيا بهذه العيون ، فسوف أكف نهائياً عن الكتابة .

القاهرة : طلعت فهمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد عبد السلام العمرى

قصة

المدن الجديدة

تلك الحفرة الدائرية التى يحاول سائق السيارة البيضاء قدر إمكانه أن يتفادها تكاد تكون بعرض الشارع ، عميقة ومليئة بالمياه الطينية القذرة لكنها لاتحول دون مرور السيارات .

عندها تتهادى السيارات المتسابقة بلا سبب ، يجرون ثم يقفون وينامون ساعات طويلة يزحمون الشوارع والمساكن والمجارى والقبور .

توترهم فى القيادة هو سمتهم ، الأنوف والأفواه مداخن قاذفة لدخان سجائر ودخان يغلى بداخلهم ، الوجوه صفراء بخضرة لا أثر لدماء فيها . والهالات السوداء تحيط بالعيون الغائرة .

التصق بالرصيف حتى الاحتكاك ، رفع قدمه اليمنى عن البنزين ، واضعا السيارة على « الأوّل » ضاغطا بلمسة خفيفة فتهدت السيارة بطيئة .

بجواره مرق الاتوبيس من وسط الحفرة فأحدث دويا وفرقعة ، وتطايرت قذارة المياه فى كل صوب .

على زجاج سيارته الأمامى والجانبى بقع مياه طينية دائرية ومثلثة متداخلة ، تنثال المياه من حولها .

اسودت مقدمة السيارة وجوانبها ، وأضحى جانب وجهه الأيسر ومقدمة الوجه جزءا من طين مائى مختلطا بالماء الطينى الآخر المنثال من رقبته وذراعه اليسرى .

عندما قذف الأتوبيس المياه القذرة على السيارة البيضاء تطايرت القذارة أيضا على مقدمة السيارة الخضراء التى كان سائقها يحاول المروق من بين السيارتين .

مالت السيارة الخضراء جانبا على السيارة البيضاء بعد تخطى الحفرة فالتصقت بالرصيف وصرخة ضغطة فرملة شديدة . وقفت السيارة البيضاء ، كادت تنقلب على الجانب الأيمن ، نظر سائق الأتوبيس من المرآة بعد سماعه لصوت الفرملة وتوقف .

أسرعت السيارة الخضراء وتوقفت بغتة ، ثم التوت عمودية على الرصيف وبعرض الطريق ، فاحتجزت تماما ارتال السيارات التى توالى قدومها الواحدة إثر الأخرى .

أضحت السيارات كطريق متعرج ، مرصوف قبل الغروب بقليل والشفة بلون الدم ، والطريق أجرد ، تحيطه وترتكن إلى جواره من الناحيتين أكوام القمامة ، الرمال منفردة ومنكمشة بثقل وبمساحات غائصة فى الأفق البعيد .

الأتوبيس أول السيارات المحتجزة والمتعامدة على السيارة الخضراء ، لقد قطع شوطا طويلا ، وتخطى مطبات طبيعية لا حصر لها ، ثم مطبات صناعية مكتومة ومنتفخة ومنبعجة ، تشى بالغباء والقبح .

أسفلت الشارع الجديد مرن مرونة المطبات الطبيعية يغطى الحفر نازلا صاعدا مسحوبا . لا توجد أسفله طبقة الحجر الجيرية الصادة والممتصق وإنما وضع على التراب مباشرة .

فى الطريق الواسع الجديد المؤدى إلى المدينة تكتلت عقبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطريق عقبة إثر أخرى ، الأتوبيس يحجز نصف الشارع الأيسر تاركا النصف الأيمن للسيارات ، بقى على المدينة مئات الأمتار ، وبدت على البعد مبانيها العالية ، البيضاء .

لون الأتوبيس أصفر كالرمل المطبق من الناحيتين ، الشارع اتجاهان ، فى الاتجاه الآخر تجرى أعمال الحفر بالعرض ، وفى عدة أماكن أكوام الرمل والحجارة وبقايا قطع الأسفلت تغطى على امتداد النظر جوانب أرصفة الاتجاه الآخر بطول الشارع وبعرضه ، والجزيرة بين الاتجاهين أيضا .

سائق الأتوبيس شاب ما بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، أنهى خدمة الجيش منذ فترة ، والتحق بهيئة النقل العام حين طلبت سائقين مهرة ، تدرب السائق فى القوات الخاصة ، والأتوبيس ممتلىء ، الشبابيك يشغلها عمال ، والأبواب يتزاحم عليها عمال ، وبعض الموظفين الجالسين مع بعض السيدات الواقفات ، الأتوبيس مكتوم كحلة بخار ، وكلهم فى أعمار متقاربة تناهز عمر السائق .

إثر وقوف السيارة الخضراء اندفع منها أربعة رجال ، وبقى السائق جالسا ومتحفزا ومتأهبا .

الرجال الأربعة ، كل منهم يمسك سيفا ، ويتمنطق بسكين كبيرة لامعة بمقبض عاج تلتصق بحزامه الأسود العريض ، الجلباب واسع رمادى وطاقية بيضاء على اثر نزولهم رفعوا السيوف ، وقف أحدهم على الجانب الأيسر عند باب الاتوبيس .

اندفع التالى داخله وقبض بيده الضخمة على عنق السائق وجرجره ، سكن الرعب العيون ، فانفتحت الأشداق ، وتحجرت العيون وثبتت الحدقات ثم التمع الزجاج .

الصمت يخيم على المكان والتماثيل الشمعية جالسة واقفة فى التحام .

تهب من الأتوبيس برودة رخامية والعيون مشدودة جاحظة ، تداخلت وضاعت فى الفضاء العلامات المميزة للطريق الواسع الجديد فتاهت معالمه فى غبشة الظلمة القادمة ، وأضحى ركاب الأتوبيس كركاب سفن الفضاء ، فقدوا الاتزان وانعدمت الجاذبية ، وبدا الخلاء الذى بلا حدود كالسجن الضيق وجدرانه من الرخام الاسود البارد .

وقف السائق أمام رجل ضخم ، عريض طويل ، حدة نظرة العينين اللامعة كأنها نصل الخنجر ، يرتسم فيهما الغل والغيظ ، نظراته قوة خفية لاتقاوم ، تكهرب أعصابه ، تدفعه رويدا رويدا إلى الضيق والى حافة هاوية سحيقة .

السائق يرخى أهدابه ، وينظر إلى أسفل منكسا رأسه .

أمر السائق برفع ذراعيه ، وعندما رفعهما حاذت أطرافهما مستوى رأس الرجل . قبض الرجل بمقبض من حديد على قبضتى السائق فاعتصرهما هازاً إياه ، وبسيفى قبضتيه المتقابلتين أخذ يضرب ذراعه اليمنى بادئا من الكف ، الى أن كلّت ذراعا السائق .

يحاول السائق أن يرخى يديه فيحد جه الرجل بنظرته الحادة تنفذ إلى أعماقه كارتعاشة صعْقة ، حتى تخدرت يدا السائق تماما ، ثم بدأ الرجل يسدد إليه من جيد ضربات متوالية بادئا من الأذنين والخدين وإلى الرقبة ، إلى الزندين . . إلى الكليتين حتى الفخذين .

السائق مستسلم ، كلامه ألم ورجاء ، والصوت مختنق ، وقد تفككت أوصاله وانهارت أعصابه ثم خارت قواه وسقط مكوما على الأرض فاقد الوعى .

جذبه الرجل من شعره جذبة قوية كادت تفصل الشعر عن عظام الرأس ، أحس أن رأسه تنفصل عن رقبته ، وعندما وقف أخذ الرجل يضرب بحدى سيفى يديه معاوداً الكرّة .

سقط السائق ثم انتقض قائما ، إحساس بالخور والارتعاش يتملكه ، جاء الرجال الثلاثة وأمسكوا بالسائق حتى أنهى رابعهم الموقف بطعن رأس الرجل ، فتدفق الدم ، عند ذلك تنهدوا بارتياح ، تركوا السائق جانبا على الرصيف فتمدد مغشيا عليه .

ثم أخرجوا ركاب الأتوبيس عنوة وأوقفوهم خلف بعضهم طابورا طويلا والسيارات تتزايد خلف بعضها ، وعندما رأى الناس طابور الاتوبيس ترجلوا من سياراتهم وانتظموا وقوفا فيه .

اشتدت الظلمة فى الشارع إلا من إضاءة خافتة لبعض مصابيح معلقة فى شواهد القبور غير واضحة ، والتراب يحجب تلك الاضاءة القليلة المتناثرة .

نظر حواليه متسائلا عن هذا الهدوء المخيم ، مفتقدا نفير السيارات المزعجة والزعيق . . أين تلك الحوارى الضيقة أين القطط والكلاب والمواء ، والأطفال والنساء ؟

تساءل عمّا يجعل كل هؤلاء منتظمين فى ذلك الطابور ، مازال جالسا فى سيارته البيضاء الملطخة بوحل الشارع ، رأى فى مرآة السيارة أن الطابور يبتعد ، ويتعرج وأن الناس غير قلقين وأنهم لا يتكلمون ولايتساءلون .

ولأن سيارته كانت متعامدة على السيارة الخضراء رأى كل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شيء وعرف أنه لايقدر على التحرك لامن الأمام ولامن الخلف ولامن أى جانب .

مازالت سيارته ملتصقة بالرصيف اثر تجاوز السيارة الخضراء لها ، الصمت مخيم ورهيب ، وجسده يرتعش ، وأسنانه تصطك ويداه ماتتا أو كادتا على عجلة القيادة ، والسيارات خلفه تتزايد فى غير ما جلبة ، والطابور يزداد طولاً وتعرجا ، وفى غير ما صخب أو تساؤل الكل ينزل من السيارات ويقف فى الطابور .

نظر إلى السماء فهاله جمال التكوين وروعته ، أية عظمة ، وأية قوة تنبثق من نجم متداخلة كالسحر المسكوب الناعم فى سحب الندف القطنى الأبيض الرائق كالبلور ، تنبلج عن هندسة طبيعية لقبة السماء المحتوية على أسرار تجعله يرخى عينيه المتطلعتين على هذه الألغاز المنبثقة من هذا الطابور الملتوى والمتعرج المتدثر بالخشوع والسكينة ؟!

رأى الحفرة المليئة بالمياه الملوثة خلفه ، والسيارة الخضراء تعترض طريقه ، ركبه الغيظ والقهر ، وارتد الفعل المنتوى إلى داخله فارتفع الضغط وغلى الدم حتى الانفجار وصمم على عدم النزول من السيارة .

لم يلتفت إليه أحد ولم يهتم به أحد ، ولم يأمره الرجل بعينيه اللامعتين بالنزول والانتظام فى الطابور ، كأن عليهم أن يعرفوا انه موجود وأن وجوده يساويه الانتظام والالتصاق والاستسلام .

يرى الرجل الضخم مشغولا بمن هو أمامه ، والرجل الآخر رافعا سيفا قابضا خنجرا ، والآخرين فى تحفز وتحد ، والطابور طويل .

لكنه لاشعوريا ضغط على كلاكس السيارة فأحدث دويا مزعجا فى هذا الصمت الكثيف المخيف فتنبه ، لم يلتفتوا إليه فكرر ضغط الكلاكس أكثر من مرة دون جدوى .

نظر الى الناحية اليمنى ، كان الظلام غارقا فى الظلام متداخلا فيه ، أدار محرك السيارة وأضاء الكشافات فارتدت الإضاءة الى عينيه إثر انعكاسها على السيارة الخضراء ، ضغط على البنزين بقوة ، فسقطت السيارة فى الحفرة ، قبل اصطدامها بالسيارة الخلفية .

لم يهتموا بما أثاره من إزعاج ولم يسع أحد إلى منعه ، ولم يلتفت أحد من الطابور إليه ، وضع السيارة على «الأول» ثم ضغط البنزين ، فقفزت السيارة إلى الأمام راكبة السيارة الخضراء ، محدثة دويا عاليا رهيبا من أثر الاصطدام ولم يتحرك سائقها ، ولم يهتموا .

اليدان ترتعشان فى ذعر ، عندما تمتدان تنكمشان إلى داخل أكمامه ، أراد معالجة الباب وفتحه ، يمتد مقبض الباب إلى يديه داخل أكمامه ، انفتح الباب وقذفه المقعد إلى أعلى عدة مرات إلى أن ترك السيارة وقفز على الرصيف الأيمن ثم انطلق فى العتمة ، بسرعة الصاروخ ، والرجلان فى أثره .

غاص الظلمة وفى الأكوام فى الصمت والأسرار ، أحس بالدفء ينبعث فى ساقيه ، سيارته البيضاء ، رصيده وكده وهمه وتعب العمر ، اشتراها جديدة ليقطع المشوار الطويل من عمله إلى سكنه فى المدينة الجديدة .

لم يكن يومه عاديا ، لقد قام فى هذا اليوم بأعمال كثيرة امتصت كل طاقته وأوهنته ، شقته الجديدة استلمها حديثا . . لم يفرشها بعد ، أوصى بوصول الأثاث الذى انتقاه قبل المغيب ، ربما يكون قد وصل فعلا أو فى الطريق الآن أو فى طابور السيارات .

لقد باع أحلى أيام العمر مقابل السكن والسيارة ، يقفز منحنيا كالأرنب بين أكوام القمامة وأهرام مخلفات مبانى المدينة الجديدة .

أحس بالوهن ، وطاقته تكاد تخذله ، ينتظر ، ويتسمع ، وقع أنفاسه وزفيره ، دقات قلبه ، من بعيد ينظر إلى الطابور الملتوى المتعرج ، الأكوام مبتعدة عنه ، يحاول أن يتسلق تنهار الأكوام والظلام أطبق تمام .

تبدو الإضاءة الخافتة المتناثرة للشارع من بعيد . . وقف لحظة ، لايسمع سوى دقات قلبه ، انتقل إلى مكان آخر ، مشى ببطء ، جرى ، لا أحد ، وقف أعلى كومة ونظر بعيدا إليهم ، لم تزل السيارات ، ولم يزل الطابور ، انحدر ببطء .

المسافة التى قطعها جريا أوصلته بالتوازى إلى منتصف الطابور فمشى متجها إليه .

لا أحد ينظر إليه ، ولا أحد هناك ، الكل منكس الرأس ، الشفاه مرتخية والعيون شمعية ، اندس فى الطابور ، لم يسمع صوتا . . ولم يحتج ولم يتساءل أحد . ركل الذى أمامه وصفعه على القفا المائل فخيل إليه أنه يصفع لوحا من الثلج .

امتص الصفعة وذابت ، وانحدر قفا الرجل إلى الأمام أكثر ووسعت المساحة مرحبة بصفعات جديدة .

التفت إلى الخلفى فوجده بنظارة مقعرة ، خلعها عن عينيه ، وضغطها بين يديه فانسحقت ، نظراته تائهة ، ينتال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السائل الهلامى من شدقه منحنيا ، واضعا جريدة مطوية تحت إبطه ، نزع الجريدة ، ثم أشعل عودا من الثقاب وضعه فى طرف الجريدة فاشتعلت ، خطف الجرائد التى مع الواقفين فى الطابور والقريبين منه ، من الأمام ومن الخلف ، وأخذ يشعلها .

أضحت كومة نار عالية ، أزاحها بساقه تحت إطار إحدى السيارات المجاورة ، فاشتعل ثم اشتعلت السيارة وفرقع دوى هائل ، التحمت النار بالنار ، التهمت النيران السيارات واندلعت السنة اللهب فأضاءت قبة السماء .

لم يهتز الطابور المتعرج إلا قليلا ، وعندما اتسعت قاعدة اللهب لتشمل كل صفوف السيارات المتراصة ، وبدا اللهب يطول الطابور ، تمدد وانحنى وأخذ شكل قطع بيضاوى فى تماسك رخو ولزج .

ومع اشتداد اندلاع النيران تفككت الأجساد ، وانداح الغراء اللاصق ، واختلجت الأعين واهتزت الرؤوس المطأطئة ، ثم تثاءبت ثم اندهشت .

وكأنما انفك القيد ، والغراء ساح ، والأحذية الثقيلة الغائصة فى القطران تفككت فانفرط العقد .

الوهن ، الكابوس ، الخيوط الخفية الشادة اللامرئية المترسبة فى أعمق اعماق العقل الباطن ، بدأت خفة حدة الضباب ، تضارب المتسابقون واندفعوا ، تخبطوا وتشابكوا وانداس البعض وفر البعض متجها إلى الامام ، قوة النار القادمة من الخلف ومن الجانبين أجبرتهم على الضغط من الخلف إلى الأمام .

الرجل الضخم تمدد بفعل حرارة اشتعال نيران هياكل السيارات ، وازداد حجمه وحجم زملائه ، قامته ازدادات طولا حتى أصبح بارتفاع أعمدة الإضاءة ، القوة تتبدى منه خارقة ، اتسعت مساحة الصدر لتتناسب مع هذا الطول الهلامى ، وبرزت العضلات الضخمة المفتولة ، الوجه بدا فظيعا ، وازاددت رخاوته وغمق لون بشرته ، وظهر نابان قويان فى الفك السفلى كمصاص الدماء ، أصبح فمه يحتل مساحة نصف الوجه .

العينان يشغلان النصف الآخر ، والجزء البيضاوى الظاهر من حدقة العين حالك السواد .

له قرون وشوك وتجاعيد ، ودماء تنثال من شفتيه ، أخرج البلطة من فخذه الأيمن ، ورفعها إلى أعلى فبرق معدنها ضاويا وانعكست ألسنة اللهب عليها فبدت دامية .

لمع المعدن فى الأيادى الأخرى ، والنار تلتهم السيارات ويطول لهبها أصحابها فتندفع الجموع إلى الأمام ، بريق المعدن المنعكس عليه لهب النار يجعله كالمقصلة فى انتظار أمر الجَذّ .

جُذّ من جُذ ثم اندفعوا عبر السيقان التى بدت كبوابات الرعب والخوف والتيه انفجار السيارات المتوالى ولهيب النار السائلة تدفع الجموع إلى اختراق جهنم .

بقى على المدينة الجديدة قليل ، والجموع الناجية تندفع إلى أمام ، البوابة الكبيرة عند مدخل المدينة الجديدة مقفلة ، وعندما اقتربو وجدوا الحرس واقفا .

القاهرة : محمد عبد السلام العمرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ناجى الجوادى

قصة: أسماك بشرية

تعرّف فى البدء على المدرج رقم ٦ المؤدى الى موقف القطار السريع الذى سينقله بعد حين من « كوبنهاجن » الى « جوتبورج » ، وظل واقفا على مقربة منه كأنه يخشى أن ينسى المكان ، ثم ألقى نظرة على الساعة العملاقة المعلقة فى بهو المحطة ، فأدرك أن أمامه زهاء الساعة على موعد انطلاق القطار ، وقد بدأ المسافرون يتجهون صوبه . . حدث نفسه . . « فيم العجلة ؟ . . لن أعدم مكانا شاغرا أجلس فيه ما دمت قطعت تذكرتى فى الوقت المناسب . . » ثم إنه عزم على أمر آخر فكر فيه طويلا حتى لا يخرج صفر اليدين من هذه الرحلة ، فقد تاقت نفسه الى المغامرة ، وركب من أجلها البحر ، وأنفق فى سبيلها ما ادخره من دخل الساعات الإضافية التى قام بها خلال العام الدراسى المنقضى ، أما المرتبات الشهرية فقد أكلتها الزوجة والأولاد . . ورأى من الحكمة وحسن التدبير أن يتباطأ قليلا فى اقتعاد مكانه بالقطار ، وأن يتخير بنفسه المرأة التى تعجبه فيشاركها المقعد أملا فى بدء مغامرة جديدة . . ولذلك ظل محجما إلى حين عن صعود القطار ، حتى إذا لم يبق لانطلاقه إلا دقائق قليلة كان فى جوفه يذرع ممراته جيئة وذهابا ، متظاهرا بالبحث عن مكان شاغر ورف خال يضع عليه حقيبته ، فرآها . . خفق قلبه نشوة وانتصارا وكاد يردد مثل « ارشميدس فرحا » وجدتها . . وجدتها ! » .

كانت تجلس وحدها على المقعد الثنائى . . شعرها حريرى متهدل يحاكى حزمة من أشعة الشمس الغروب وقد شابها احمرار طفيف من لون الشفق . . وكان وجهها مستديرا بضا وقوامها متناسق الأجزاء ، بادى النحافة . . كانت منشغلة بالقراءة فى صحيفة تشد اهتمامها ، فلم تأبه لحركة الذهاب والإياب من حولها . . تقدم منها مستأذنا فى الجلوس بالمقعد المجاور لها ، فأذنت له بإشارة من يدها ، واعتدلت فى جلستها لتفسح له مكانا ، وعادت الى مطالعة الصحيفة .

استرق إليها نظرات خاطفة ليملأ عينيه من قسماتها ، فألفاها متعة للبصر ، فى الأنوثة والشباب ، وقدّر أنها فى العشرين أو أكثر من ذلك بقليل لم ترفع عينيها عن الصحيفة ، ولم يبد عليها اهتمام به فازدادت نظراته لها التهاما وهو يتأمل شفتيها القرمزيتين وعنقها العاجى ، أما عيناها ـ وهو المفتون ابدا بالعيون الجميلة ـ فإنه لم يعرف لونهما بدقة وإن كان قد قدر انهما زرقاوان أو خضراوان .

تحرك القطار وغادر المحطة ، وبدأ تفكير يخطط لأولى المراحل . . أن يتلمس سبيلا لمبادأتها بالحديث ، ولكن بأى لسان ؟ نظر إلى الصحيفة التى بين يديها فلم يهتد إلى اللغة التى كتبت بها ، فكاد يزايله اطمئنانه وحماسته . . تذكر أنه يحسن الفرنسية ، وقليلا منسيًّا من الانجليزية يتيح له التخاطب مع شىء من الاجهاد ، وتمنى لو كانت تحسن إحدى اللغتين . . كيف يبادرها بالكلام ؟ أيسألها عن الساعة . . عن مدة السفر وميقات الوصول ؟ عن إجراءات الجمارك للدخول إلى السويد ؟ عن الأسعار والنزل والمطاعم بهذا البلد الذى يتهيأ

لزيارته للمرة الأولى ؟ عن الطقس هناك ودرجات الحرارة ؟ . ألفى كل هذه الأسئلة سخيفة فجة لا تفتح من أبواب الحديث إلا أضيقها . وفيما هو يفكر فى كل ذلك أبصر عند قدميه تفاحة ملقاة على الأرض فلمعت فى ذهنه بارقة ألغت فى طرفة عين كل بوادر الحديث التى كان يعدها فى ذهنه ، فانحنى ليأخذ التفاحة ويقدمها لها على أنها سقطت منها ، وقد كان موقنا أنها ليست لها ، مرجحا أنها لمسافر آخر كان يحتل مقعده بالقطار قبل وصوله إلى « كوبنهاجن » . . نظرت إليه فى ابتسام نافية أن تكون التفاحة لها . . ودعته إلى الاحتفاظ بها أو أكلها إن أراد . . أغرته التفاحة بنضرتها ولونها القانى وود التهامها فى الحين لولا ما حرص على إظهاره للفتاة من تعفف وكبرياء .

وضع التفاحة فى السلة الصغيرة التى أمامه ، وعاد إلى صمته وتفكيره فى التماس سبيل آخر للحديث فلم يسعفه ذهنه بشىء ، حتى وفرت له الفتاة من حيث لا يحتسب فرصة مواتية عندما ما قدمت له الصحيفة ليقرأها بعد أن قضت حاجتها منها .

تناول الصحيفة شاكرا وتظاهر بالنظر فيها لحظات ثم أعادها إليها معتذرا بجهله للغتها . . طوت الجريدة ودستها فى كيس كالمخلاة كان عند قدميها ، وبدت كأنها تفرغت للحديث إليه واستعدت له . . التفتت اليه وألقت عليه ذلك السؤال التقليدى .

ـ هل تتكلم الانجليزية ؟

أجابها بأنه لا يحسن التخاطب بها إلا قليلا فى حين يجيد الفرنسية إجادة تامة ، فقالت له إنها نقيضه تماما ، تحسن الإنجليزية ، وتعرف قليلا من الفرنسية .

ـ نحن نتكامل إذن . . ويسدد كلانا نقص الآخر . . شأن الرجل والمرأة غالبا ، لا غنى للواحد منهما عن الثانى . . أليس كذلك ؟

لم يبد عليها اقتناع بهذا الرأى ولم تطمئن إليه كثيرا ، فلاذت بالصمت فيما أخذ ينظر الى عينها فى لهفة وتطلع ، وقد لمح فيهما صفاء وبريقا .

وعاد يحادثها من جديد ، فعرف منها أنها طالبة بمعهد للموسيقى ، تدعى « سيلفا » تعود الى مدينتها « جوتبورج » بعد زيارة قصيرة إلى الدانمارك ، وعرفت هى أنه مدرس ينتسب فى آن ما الى الشرق بسحره وأساطيره وإلى أفريقا بأدغالها ونمط عيشها البكر . . بلد تترامى فيه الصحراء ويتعانق النخيل وتصفو السماء فى كل الفصول ، وتعدو الظباء وتنصب الخيام . .

قالت له إن لها أمنية طفلية تحلم بتحقيقها فى يوم ما ولا تجد إليها سبيلا ، وهى أن يكون لها قرد صغير تربيه . . سألته فى اهتمام وتطلع :

ـ كم يبلغ ثمن القرد ببلادكم ؟

أجابها باسما بأن القردة لا توجد فى بلاده إلا بحدائق الحيوان ، وأنها تعيش ببلدانٍ إفريقية أخرى ذكر لها بعضها . .

حل الإيناس بينهما تدريجيا محل الكلفة وارتاحت الفتاة إليه ، فدعته إلى احتساء قدح من القهوة بمشربة القطار ، فلبى الدعوة شاكرا ، ونهض معها إلى حيث تقصد ، جلسا إلى مائدة صغيرة لصق إحدى النوافذ التى يتراءى من خلالها البحر تارة والحقول أخرى ، وتواصل الحديث بينهما أكثر حميمية ومودة . .

سألته عن المدة التى سيقضيها بغوتبورغ ومكان إقامته فيها ، فأجابها بأنها ثلاثة أو أربعة أيام يتحول بعدها إلى « ستوكهولم » وأنه يعتزم الإقامة بنزل ذى أجر منخفض ، فعرضت عليه أن يقيم ـ إن شاء ـ عند سيدة تعرفها تعيش بمفردها فى منزل تؤجر منه غرفة للسياح بمقابل أقل بكثير مما يدفع فى النزل . . راقت له الفكرة وتحمس لها فأجابها موافقا وشاكرا ، ثم خطر له أن يسألها بعد لحظات من الصمت :

ـ كم عمر هذه السيدة ؟

نطقت قسمات وجهها بالاستغراب والدهشة لهذا السؤال الذى بدا لها فى غير موضعه ، وقد ارتأت أن تجيبه تأدبا :

ـ فى نحو الستين تقريبا . .

قال فى سره إن الستين فى هذه البلاد ربيع مجدد للعمر ، تستكمل فيه صاحبته ما فاتها من مباهج الحياة ولذاتها ، أما عندنا فإن التى تبلغ هذه السن تكون قد شارفت النهاية ، أجهدتها الأمراض وأحنى الروماتيزم ظهرها وجمد مفاصلها وعصب رأسها شتاء وصيفا ، وألقى بها فى ركن من البيت كسقط المتاع وضرب لنفسه مثلا بأمه وبعض عماته وخالاته .

أتما احتساء القهوة وعادا إلى مجلسهما . . قال لها ، إن قهوة القطارات غالبا تكون خفيفة جدا وقليلة السكر ، فاقترحت عليه التحلية بالتفاحة التى لم تزل فى موضعها بالسلة الصغيرة . . أثارت دعوتها إياه مرتين الى أكل التفاحة موضوعا للحديث جديدا . بدا له فيه من الظرف والطرافة ما قد يعجب الفتاة ، فراح يحدثها عن آدم وحواء وخروجهما من الجنة بسبب أكلهما من شجرة تفاح ، وأن حواء هى التى أغرت آدم بذلك . . تضاحكت « سيلفا » لهذا القول الذى لم يكن يخلو من تلميح ، وقالت :

ـ لئن خرج آدم وحواء من الجنة لقد ظلا معا يعمران

الأرض ، أما نحن فسنخرج من القطار بعد حين ، وقد لا نلتقى أبدا .

تظاهر بالأسف لهذه الكلمات ودعاها فى رجاء أن يجددا اللقاء خلال الأيام التى سيقضيها بجوتبورج وأن تزوره ببيت السيدة التى ستأويه ، أو تصحبه فى جولات بمدينتها تكون له فيها دليلا ومرشدا . . لم تعده الفتاة بشىء معتذرة ببعض الظروف العائلية والدراسية ، لكنها أعطته رقم الهاتف فى بيتها .

وصل القطار إلى المحطة ، وبدأ المسافرون ينزلون ويشقون طريقهم بين الزحام ، وسار الرجل وراء صديقته الأجنبية يقتفى خطواتها حتى توقفت أمام جهاز للهاتف عند باب الخروج ، وأدارت رقما ، وظل يسمعها ولايفقه شيئا مما تقول ، وحين أنهت المكالمة أخبرته بأنه سعيد الحظ ، وان السيدة « مارى » قبلت إيواءه فى غرفتها الشاغرة مقابل خمسين كورونة فى اليوم الواحد .

غادرا المحطة يحثان الخطى وهى تعتذر له فى الطريق عن عدم استطاعتها إيصاله إلى بيت السيدة « مارى » . . قالت إنها ستكتفى باصطحابه الى أول الشارع الذى يقع فيه البيت على أن يواصل السير وحده إلى العمارة رقم ١٠٩ .

كان يسير معها جنبا إلى جنب وهو يتمنى أن يمسك يدها أو يلف ذراعه بذراعها كما يفعل العاشقون والأزواج . . وفجأة توقفت عن السير وأشارت قائلة :

ـ سر فى هذا الاتجاه إلى الرقم الذى ذكرته لك . . ١٠٩ .

ثم مدت له يدها مصافحة مودعة ، ومتمنية له زيارة طيبة لبلدها ،

سار فى الشارع الطويل يحدق فى وجوه النسوة الغاديات والرائحات والمطلات من النوافذ ، فلا يرى على قسماتها ما حدثوه من رغبات مفضوحة وشهوات مبذولة وغرائز متيقظة ، وولع خاص بالرجال السمر ذوى الشعر الأسود والدم الفوار . . كان يخيل إليه من قبل أنه إذا استضافته امرأة فى هذا البلد فستهمّ به قبل أن يهمّ بها وتغلق الأبواب ـ أوتتركها مفتوحة ـ وتقول « هيت لك » . .

بلغ منزل السيدة « مارى » فأحسنت استقباله ورحبت به ، وأدخلته الغرفة التى سيقيم فيها . . كانت قصيرة القامة ممتلئة الجسم ، تكشف ابتسامتها عن طاقم نضيد من الأسنان وتضع نظارات شفافة على عينيها الضيقتين الزرقاوين . . نظر إلى زنديها العاريين فلم ير فيهما إلا أثرا قليلا من الترهل والارتخاء كانا له شفيعا فى غض البصر عن باقى الجسد ، وفى حركة حرص أن تبدو عفوية بريئة أمسك بزندها المكتنز وهو يحادثها منتظرا رد فعلها فأتاه سريعا بأن سحبت ذراعها فى إنكار ودهشة وانطفأ شعاع الاستقبال اللطيف بعينيها ، وغادرت الغرفة فى صمت ، بينما ظل هو يدافع شعورا بالاضطراب بدأ يساوره ، واقترب من النافذة يسرح بصره فى غير تطلع أو حماس عبر المشاهد التى تتراءى له . . المرفأ ، وقوارب الصيد الملونة ، و « مطعم الشمال » وموائده البيضاء المبثوثة فى ساحته . . ثم عنّ له أن يغادر الغرفة ويقصد بيت الاغتسال لغير حاجة يطلبها ، وهناك نظر إلى وجهه فى المرآة فكاد ينكر نفسه ، ثم فتح الصنبور لحظات فتدفق الماء ولم يمسه باصبع .

عاد من حيث أتى ، وفى طريقه أبصر غرفة السيدة « مارى » مفتوحة فدخلها محييا . . رآها تجلس إلى منضدة صغيرة عليها أوراق للعب مكشوفة مصففة فى نظام ، والمرأة لاترفع رأسها عنها وهى تنقل بعضها من صف إلى صف وتضع هذه الورقة مكان تلك ثم تغرق فى التأمل ، وكان قبالتها جهاز التليفزيون يبث شريطا لرعاة البقر ، وعلى يمينها أريكة فاخرة تنام عليها قطة سمينة مدللة ، ، وكانت السيدة « مارى » ترشف بين الحين والآخر من كأس به شراب لا يدرى ما هو . . طال وقوفه إلى جانبها ولم ترفع إليه بصرا أو تدعه إلى جلوس أو شراب :

ـ أتمنى ألا يكون دخولى عليك قد أزعجك ؟

انفجرت فى وجهه غضبا ، وعلا صوتها انفعالا :

ـ هذه غرفتى أنا . . أنا . . هل تفهم ما معنى غرفتى أنا ؟

أحس بهزة عنيفة ترج كيانه ، فانعقد لسانه وامتقع لونه وملأ صدره انقباض شديد ، فغادر الغرفة خافض الرأس مرتبك الخطى ، وفى غرفته جلس على حافة السرير يشكو لنفسه هوانها ويتعزى بأن وراء الشهد لابد من وخز الإبر ، فعاد إليه اطمئنانه تدريجيا وسكنت نفسه .

فتح حقيبة السفر وأخرج منها إناء ذا غطاء ، مُلِئ بخليط من العسل واللوز المسحوق ومواد أخرى نصحه العارفون بأن يأكل منه كل يوم ما قدر عليه ، فهذا الخليط له أثر عجيب فى تقوية الجسم وتنشيطه وإعطائه دفقا غير مألوف من الحيوية . . تناول منه ملعقتين أو ثلاثا ، ثم أغلق حجرته ونزل إلى الشارع ، ومن غرفة للهاتف قرب باب العمارة تحدث الى « سيلفا » يجدد لها الدعوة الى لقائه بعد حين لتعرفه بمدينتها ومعالمها التى تستحق الزيارة ، وجاءه ردها قاطعا مفحما :

ـ ابدأ أولا بزيارة المتحف البحرى الذى يقع على بضع خطوات من منزل السيدة « مارى » فهو من أهم المآثر التى تشتهر بها مدينة « جوتبورج » يريك أصنافا مدهشة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأسماك النادرة ، وكل وسائل الصيد البحرى منذ أقدم العصور .

أعاد السماعة إلى موضعها وخرج متأففا يشى وجهه بخيبة مرة وردد فى سره : « تقول متاحف وأسماكا . . مالى وكل هذا ؟ أما من متاحف بشرية يا ناس ! . . » .

وقصد إلى وسط المدينة يجدّ فى صيد أول سمكة بشرية .

تونس : ناجى الجوادى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاطف فتحى

قصة: عبر النهر

الآن ، وبعد أن ألقت به الشاحنة عند مدخل الجسر ، ولفها ضباب الصباح الكثيف وهى تمضى هادرة فى طريقها ، تنتابه الرغبة فى الهرب ، الرغبة فى نسف كل شىء وتدميره ، حتى لو انتهى به الأمر إلى تدمير ذاته .

ذلك الخوف الغزيرى الذى يستشعره فى كل مرة يحس فيها بالخطر الداهم ، يملأ الآن كل كيانه ، ممتزجا بمقت هائل ومرير ، يضاعف من شعوره بالرغبة فى الهرب ولكن أين المفر ؟

لأمد طويل ظل يتجنب مواجهة العقبات ، ويحنى رأسه باستمرار للعواصف حتى تمر . لكن ذلك التصرف المرائى لم يكن يحل الأمور لأمد قصير . بعدها كانت تتفاقم من جديد وتتراكم كلها معا بشكل مفزع لتعود لمحاصرته بوحشية تدفعه للتفكير فى الهرب مرة أخرى بعد أن يتكشف له مدى عجزه الشائن .

الآن ، يبدو الأمر مختلفا تماما ، لأول مرة يواجه نفسه بتحد حقيقى . يدفعه إصرار غريب لم يعهده فى نفسه من قبل ، إلى قبول ذلك التحدى ومواجهة مصيره الكئيب . إصرار ممزوج بالمرارة والعنف والمقت للحياة كلها ، والرغبة الكاملة المتحررة من كل قيد ، فى التخفف من عبئها الذى ظل يثقله طويلا .

كان الضباب الكثيف ينشر مظلته البيضاء الشاحبة عبر النهر والحقول التى تحفه ، حاجباً رؤية الأشياء . تقدم بخطى حذرة فوق الأرض الزلقة المنحدرة نحو مدخل الجسر ، وحين هم بالخطو فوقه اكتشف فجأة أن أجزاءه ، قد انتزعت من مكانها .

رمى ببصره عبر النهر الذى كانت أنفاسه الصباحية تتصاعد فى شكل أبخرة بيضاء شفافة تضاعف من كثافة الضباب وحجب الرؤية ، فلمح بصعوبة « فناطيس » الجسر الحديدية الضخمة وقد تناثرت بطول النهر مفككة وهى تتأرجح وتتصادم بطريقة هينة وناعمة مع التيار .

أحس بالضيق يعتريه ، فكر أن عليه الآن أن يتقدم قليلاً بمحاذاة الساحل حتى يعثر على مكان مرسى معدية الأهالى فيعبر عليها النهر إلى الجانب الآخر . راوده خاطر الهرب والفرار مرة أخرى ، مادامت الظروف تبدأ منذ الآن فى معاداته والوقوف ضده ، لكنه طرده من باله وتقدم على الطريق بإصرار .

كانت أكواخ الفلاحين المتناثرة على طول ضفتى النهر ، بشكلها الزرى الذى يبعث فى نفسه الرثاء ويثير لديه شعورا خفيا بالذنب ، تبدأ مع تباشير الفجر فى الاستيقاظ . كان الأهالى قد ألفوا رؤية الجنود منذ زمن طويل فلم يثر مشهده أدنى شعور معاد لدى مروره ، بل على العكس كانت تحيات القرويين البسطاء تنهال عليه .

جال بخاطره فجأة أن المدينة التى تركها وراءه منذ أكثر من ساعتين ، ربما لم تستيقظ بعد من سباتها العميق وبلادتها المتأصلة . وحين تذكر مشهد الشوارع المظلمة فى الليل والنوافذ المطلية باللون الأزرق الكابى ، والسيارات المقيدة الأضواء التى كانت تزحف فى رعب تكاد تتلاصق من خوف المباغتة والصدمة أو بدافعها ، أحس بالكآبة تأخذ بخناقه .

« كان الناس يتحسسون الخطى فى الشوارع المعتمة ، ويبدون له كالأشباح تحت الضوء الأصفر الخابى ، وحين قادته قدماه دون إرادة إلى شوارع وسط المدينة . قصر النيل وسليمان وعماد الدين ـ بوغت بالوحشة والبرودة والفراغ . كان الخراب قد حط عليها ولفتها الظلمة وهجرتها الزحمة المتكالبة والأضواء . اكتسحه شعور بالشماتة والحقد الجارف الذى لم يجد له متنفسا ، وتمنى فى أعماق نفسه لو تطول أيام الحرب ، لكنه لم يلبث أن تراجع عن أمانيه متحسرا حين تذكر خسارته الفادحة فيها » .

انحدرت به الأرض فجأة ولاح أمامه شبه أخدود تتصل نهايته بشاطىء النهر . وحين أدركت عيناه فى تلك الفجوة الترابية المجمدة وجه الفلاحة المتشحة بالسواد ، واقفة إلى جوار حمار محمل بأكوام « السباخ » أدرك أنه قد وصل إلى بغيته .

تطلع عبر النهر ، باحثا عن مكان المعدية . كانت ترسو على الجانب الآخر ، يغلفها الضباب . ولم يكن هناك أحد عليها . نظر إلى الفلاحة مستفهما . قالت :

ـ أزعق على المراكبى .

صرخ بكل ما فى صوته من قوة على المراكبى الذى كان يعرفه جيدا ، ولكنه لم يتلق أى رد . وأخيرا وبعد أن بح صوته ، اقترحت الفلاحة قائلة :

ـ شد معايا الجنزير لحد ماترسى هنا .

مد يده إلى السلسلة الحديدية الضخمة التى تتصل « بيكرة المعدية » وتنتهى إلى الشط الآخر ، وجذبها من القضيب الحديدى الذى يثبتها فى الشاطىء ، وراح يسحبها بكل قواه تساعده الفلاحة من الخلف .

راحت المعدية تنزلق ببطء وهى تتقدم نحو الشاطىء . أحس بيده تنفلت فوق السلسلة التى يقطر منها الماء بتأثير الشحم الذى علاها ، حتى كاد يسقط لولا أن سندته الفلاحة بكلتا يديها . مسح يديه فى الخيش الذى يغطى السباخ ، وعاود مهمته من جديد . وحين ارتطمت حافة المعدية بالشاطىء الترابى أرعدت السماء بشكل ينذر بالمطر .

صعدت الفلاحة أولا ، وجذبت فى يدها لجام الحمار الذى تولاه الخوف فراح يدفعه من الخلف حتى استقر فوق سطح المعدية ثم قفز وراءه . مدت الفلاحة يدها وجذبت السلسلة من البكرة وراحت تدفعها فى الاتجاه العكسى ناحية الشاطىء الآخر . شعر بالخجل من نفسه فمد يده رغم شعوره بالإعياء ، وراح يجذب السلسلة من الخلف بكل ما تبقى لديه من قوة .

توقف قليلا حين أدركه التعب ، وكانت المعدية قد بلغت منتصف النهر تقريبا ، حيث كان الضباب يبلغ قمة كثافته فتعذر عليه أن يبصر مياه النهر بوضوح . بدا له كأنما يخوض فى بحر مسحور يقود إلى التهلكة . بحر تسكنه الجنيات التى كان يسمع عنها فى طفولته . . كل شىء من حوله يبدو كأنه يدور فى عالم مجهول . . بدائى . أو فى حلم من أحلام صباه القديمة .

رأى أميه ، حقيقة . وعانقها ، وأوشك أن يبكى على صدرها . ورأى شمس الخريف تسطع فوق البيوت القديمة التى يحبها ، والسماء الزرقاء المكللة بقطع هشة من السحب والناس والضجة الأليفة التى يحدثونها ، والأرصفة الملونة ، ووجوه الفتيات الحلوة والمقاهى . لكن كل ذلك كان كفيلا بأن يبهجه فى وقت آخر ، لولا عنابر المستشفى الذى كان قد غادره منذ لحظات ، تلك العنابر الدامية ، الفسيحة التى تنبعث منها أنات المصابين ورائحة «الليزول» والدهاليز الطويلة التى كانت تنزلق فوق بلاطها الذى لوثته الأقدام المتعجلة للممرضين والأطباء والجنود ، والنقالات المندفعة نحو غرف الإسعاف السريع .

«تنفتح أبواب المستشفى الحديدية على جهامة سيارات «الميكروباس» البيضاء المغبرة التى تتسلل ببطء وتتوقف بحذر أمام المدخل الواسع حيث تفتح أبوابها فيتلقى رجال الإسعاف هؤلاء الرجال الذين حرقتهم الشمس وسودت ملامحهم ، تتصاعد أناتهم وهم يهبطون فوق النقالات .

كان يشعر كأن دوامة تلفه وتسحقه ، وحين اندفع يحمل «م» بنفسه مع واحد من زملائه الجنود على واحدة من هذه النقالات ، لم يكن عقله قد استوعب بعد أى شىء مما يدور حوله . اندفع بحمله الثقيل إلى المصعد وهو يلهث وقد طار صوابه من رؤية نزيف الدم الذى لم تفلح أكداس القطن المخضبة كلها باللون الأحمر والمنضغطة على صدره فى وقفه . وحين انتهوا إلى غرفة الإسعاف التى تكومت فيها النقالات هرع إليه طبيب شاب وفحصه سريعا ثم غطاه بالملاءة وطلب منه الخروج برفق بلهجة ملول . وحين احتواه الشارع المصطخب ، صدمته الشمس التى كانت قد أشرقت لتوها بعد أن بددت من حولها السحب .

غشت عينيه بضوئها الصارخ ، وصك سمعه صوت الترام الذى راح يصلصل على شريطه الحديدى فى زحمة الميدان وهو يتقدم ببطء ، وصوت الجلبة المعتادة فى المقهى القريب . واصطدم فجأة وبلا قصد بمتسول مبتور الذراع راح يلحف عليه فى السؤال . ولما أفلح أخيراً فى اختراق حاجز الكتل البشرية على سلم «الأتوبيس» وانحشر جسده بشدة وسط زحمة الأجساد

فجأة أرعدت السماء وأضاءها برق عاصف ، ثم راحت تمطر بغزارة . أحس بالغم ينتابه ولما ارتطمت حافة المعدية بالشاطىء ، فكر فى أنه سوف يتعذر عليه الآن العثور على سيارة وسط هذا الطقس الخطر . لكنه حين كان يهبط إلى الشاطىء ، نظر بطرف عينه إلى الفلاحة فى شبه وداع ، ففوجىء بها تبتسم ابتسامة كبيرة تملأ وجهها كله . . ابتسامة بدت له متفائلة أكثر مما ينبغى .

المنضغطة وفجأت أنفه رائحة عرق نفاذة ، شعر برغبة عارمة فى البكاء ، لكن دموعه لم تطاوعه»

أفاق لنفسه فجأة حين لكزته الفلاحة برفق وهى تناوله السلسلة ليجذبها لنهاية المسافة الباقية على بلوغ الشاطىء . فكر فى أن عليه الآن بعد أن يصل للشط يبحث عن سيارة عسكرية تأخذه فى طريق السويس إلى «الرويبكى» وبعدها يبحث عن وسيلة تنقله إلى الجبهة حيث يواجه مصيره هناك .

القاهرة : عاطف فتحى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيمن فزاع

قصة

الصقور تبنى أعشاشها فوق الأمواج

للبيت الخشبى حجرتان . . أرضيته القديمة من الخشب الكالح ، وسقفه يتآكل ببطء مرور الزمن عليه . الأعشاب الصفراء قصيرة وعالية متناثرة حول البيت . . نافرة عجفاء . . الطيور البيضاء تحطُّ عليها وتخشى البيت الخشبى القديم .

تعودت المجىء مع هبوب تلك الريح الباردة فى الغروب . . . تهمس بين العشب . . . فتطقطق البوابة الخشبية الواطئة عند المدخل ، وترحل فى الليل حين يكف عن الغمز مصباح الزيت القديم المعلق بالداخل ، ويهدأ كلُّ شىء .

تعود العجوز وابنته مقدم الطيور ورحيلها . . . . وكانت الفتاة تحملق فى الأجنحة بعينين زرقاوين وتجرى إلى غرفتها وتدس جسدها فى السرير ، وكان العجوز يخيل إليه صوت بكاء .

تعود العجوز الانتصاب والانحناء على قاربه الخشبى القديم . . تعود فورة الموج حين الشتاء . . تعود شرشرات البرق تضوِّى السواد المترنح حوله . . . تعود اهتراء شبكته القديمة بين أسنان الأسماك . . تعود أشياء كثيرة وتفاصيل أكثر . . لم يكن بينها هذا اللون الكالح للشمس .

«آهٍ . . تشبهين كبد الحوت أيتها العزيزة» . . . مسح حافة القارب وهو يرمق الشمس فى غموض . توقف عن مضغ التبغ ، بصق فى الماء . . أصابت بصقته صورة وجهه المتوجسة . . . تحسس التجاعيد التى شقت غضونها على صفحة وجهه . . . أخرج كيس التبغ وبضعة صدفات . . هزها فى راحة يده فى نصف ابتسامة . . «صدفاتى العشرون العزيزة» . . . طوَّف ببصره فى مكان ما خلف الأفق . . . .

«منذ عشرين عاماً هجرتُ الليالى السمراء وأحضان النساء والرقص حتى الفجر . . . احترفتُ الكلام مع الأسماك وأدمنت صوت طقطقة الحطب تحت دورق القهوة فى أمسيات الشتاء الباردة» طوَّح بشبكته فى الهواء فلامست وجه الماء المجدور بموجات هادئة . . تناثر الرذاذ المالح على صدره العالى . . هرش ذقنه الصفراء المشعثة . . «كل الإناث لابدَّ لهن من زواج . . . هى أنثى ، وقد جاءها المريد . . يريد اختطاف صدفاتى العشرين . . لكن . .» .

شد شبكته بسرعة ولمَّ أطرافها . . جذبها إلى سطح القارب . . ممتلئة كانت بأشياء كثيرة ليس من بينها السمك . . . استلقى بقاع القارب . . . رفع رأسه لأعلى . . «تشبهين كبد الحوت أيتها العزيزة» .

* * *

رفعت إطار النافذة الخشبى . . مدّت بصرها إلى الفنار القديم . . «لم يعد صديقاً للسفن منذ أعوام بعيدة» تنهدت . . رمت بشعرها إلى الوراء . . «فى ذلك الشتاء البعيد . . كان يسبح عند الفنار . . وكنت أرقبه دون أن يرانى . . وسيمٌ هو حقاً . . لم أر غير أبى والجيران الطيبين . . أبى يقول إن هذا الفتى يشبه قبطاناً قديماً لم يكن يحبه» .

أغلقت النافذة . . حانت منها التفاتة إلى المرآة . . راعها نفور ثدييها من فتحة الصدر بالجلباب . . تحسستهما بيديها فى نشوة . . أغلقت فتحة الجلباب فى وجل . . «مرٌ هو طعم الملح المخبوء فى الصدر» . أدركت عودة أبيها . . خرجت إليه . . رمقها فى صمت . . لم تطق بقاء عينيها الواسعتين فى عينيه الغائرتين فجَرَت إلى غرفتها . . . جلس إلى الطاولة الخشبية القذرة . . . خيل إليه صوت بكاء .

* * *

رشق مجدافه فى الرمل الساخن . . إرتمى كأنه يقفز فى هاوية عميقة . . عميقة . . أخذ نفساً عميقاً . . . رائحة اليود تجعله سعيداً . . . لكن الآن يختلف الأمر .

حط أحد الطيور البيضاء على قدمه . . رمقه بعينين واسعتين قبل أن يجفل ويطير . . نهض متثاقلاً نحو البيت الخشبى القديم .

وحيداً يجلس إلى الطاولة الخشبية القذرة . . ممسكاً بالكأس الزجاجية . . . لا أحد هنا غيره يرمق اللهب المهتز عن بعد من لوح الزجاج المكسور بالنافذة . . «ذلك الجار الطيب يعشق النار حقاً . . منذ عشرين عاماً هجرتُ الليالى السمراء وأحضان النساء . . . » .

نهض إلى غرفته مترنحاً . . توقف بالباب . . التفت إلى باب الغرفة الأخرى الموصد على لا شىء . مسح الزَّبدَ المتجمع على حافة فمه بيده المعروقة . . سقط بجوار السرير .

حين مرَّ جاره الطيب بالبوابة ، خيل إليه صوت بكاء . . ابتعد محاذراً . . وأجنحة الطيور البيضاء تضرب الهواء فوق رأسه . . تعودت المجىء مع هبوب تلك الريح الباردة فى الغروب . . تهسهس بين العشب . . . . فتطقطق البوابة الخشبية الواطئة عند المدخل ، وترحل فى الليل حين يكف عن الغمز مصباح الزيت القديم المعلق بالداخل ، ويهدأ كل شىء .

الإسماعيلية : أيمن فزاع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصطفى الأسمر

قصة | المحراج والمفازة

امش فى خط مستقيم تماما . . وبقدر ما تسعفك قدماك استمر . حذار أن تتوقف ما بقيت فى ساقيك قدرة على الخطى . . فقط عندما تصبح أدنى حركة مهما ضؤلت كفيلة بانكفائك على وجهك قف أينما كنت ، ثم اسأل أول كائن يقابلك إنسانا كان أو حيوانا . . نباتا أو جمادا . وانتظر الإجابة ثم نفذ ما يقال لك فورا بدقة ودون إبطاء . . على سبيل المثال إن قيل لك استمر فى المشى . . تحامل على نفسك وامش حتى لو اضطررت أن تزحف على بطنك وصدرك . وإن قيل لك عد من حيث جئت لأنك لم تؤهل بعد ، فاستجب للأمر واستدر عائداً ، اما لو طلب منك الغناء والرقص فاصدح بصوتك وحرك جسمك مندمجا ومستغرقا . وقد تدعى إلى الجلوس وتناول الطعام والشراب المعد سلفا ؛ اجلس واملأ معدتك منهما حتى لو كانا غير مألوفين لك . . ولا مشكلة إن أمرت بالهتاف ، اهتف وستجد أن الأمر لا يمثل مشكلة أو يكلفك جهدا فحنجرتك ستسعفك لدرجة انك أنت نفسك لن تصدق أن لك هذا الصوت الجهورى . .

○ ○ ○

. . وهأنذا قد مشيت . . جعلت من شعاع عينى دليلا يسبقنى ، ومن ساقى سفينة أبحر عليها . . ومن دقات قلبى طبولا تحمسنى . . ومن أنفاسى المتلاحقة رياحا تدفعنى . . لم أحاول الميل يمينا أو يسارا ، تخذت من الخط المستقيم طريقا جعلته هدفى ، حافظت عليه قدر طاقتى وجهدى . . التزمت التزاما صارما بكل ما طُلب منى ، ما وقفت برهة التقط نفسا يجدد حيويتى . . لم أبدل من إيقاع خطاى لأخفف عن ركبتى آلامها . . كنت أمينا إلى أقصى حد . . لم أضعف أو أتساهل . . رأيت جلد الكعبين يتشقق ثم يتآكل ومشيت . . تأرجحت ساقاى ومشيت . . انغرس الألم فى فقرات ظهرى ومشيت . . وعندما انهد كيانى كله مرة واحدة رغما عنى سقطت من طولى فوق الأرض . . جاءت سقطتى بجواره . . كان رجلا حاله أسوأ كثيرا من حالى فحسدت نفسى وأيقنت بحسن حظى . . فماذا كنت أصنع لو كان الذى مكانه حجرا او شجرة أو حيوانا ؟ انتبهت لنفسى وبحثت عن السؤال النائم فى الذاكرة ولكنه تعلق بطرف لسانى . ارتج على ولم يخرج السؤال .

○ ○ ○

. . . قم . وللم نفسك . . وكما لم تبك من قبل ابْك . . وعندما تحاط بدموعك المتساقطة اعبرها مستبشرا . . من البداية ابدأ وكأنّ شيئا لم يكن . . أخطأت وعليك أن تتحمل تبعة الخطأ . . بنفسك نقب وابحث عن السبب ، فلن يُكشف لك عنه . . من الآن احرص على تنفيذ ما يطلب منك ، تمسك به ، لفّه حول معصمك سوارا ، علقه فى أذنيك حلقا . . فها هى ذى فرصة جديدة تمنح لك . . لاتبددها ، لاتنتظر عونا من أحد ، ولا مساعدة تمدها اليك يد الا بمقدار ما تستنفر أنت ما بداخلك .

. . وهـأنذا قـد قمت . . زجرت نفسى كـما لم أزجـرهـا سابقا . . زممت شفتى حتى لا تخرج منهما آهـة ألم . . سددت شقـوق الكعبـين . . عملت بـالنصيحـة . . تجـاهلت كـل المسافات التى قطعتها . . أقبلت على الأمر كأنى أبدأ لفورى . كانت غايتى أن أعرف مكمن الخطأ . . ظللت حريصا عـلى مفردات السؤال . . عضضت عليه بـالنواجـذ حتى لا يفلت وأفقده . . وللأمانه طاف بالذهن خاطر ثُقل علىّ . . فلماذا السير فى الخط المستقيم ؟. تشاغلت عنه وتفرغت لما أنا فيه . تمنيت لو حدث الوقوع إلى جوار من أجد عنده الإجابة . . من شدة انشغالى بهذا وقفت أتدبر . .

O O O

عُـدْ . . لا مفـرّ من العـــودة . . لم يبق من سبيـل آخـر أمامك . . هى فرصتك الباقية والأخيرة ثم لا شىء أبدا . . لو أحسنت صنعا ما توانيت وما وقفت . . ما مضى كثير كثير ، وما بقى أقل من القليل .

- ١ -

. . وهأنذا قد عدت . . وكـلى إرادة وتصميم ألا أقع فى خطأ يعرقل مسيرتى ، اتخذت قرارى أن أمضى حتى لو تساقط لحم الكعبـين وتعرت العـظام . . فور انكفـائى عـلى وجهى مستهلكا انطلق السؤال من فمى . . أجابتنى النملة . . لم أبدد الـوقت فيما لايفيـد فأشغـل الذهن كيف فهمت النملة لغتى وتعـرفت على كـلامى . . أو كيف فهمت أنا لغتهـا وعرفت كلامها . . قالت : اتبعنى . . . تبعتها .

قالت : انتظرتك زمنا : طال . . . . شكرتها

قالت : لعلك بعد هذا ترفع رأسى عاليا وتطيل من رقبتى . . ابتسمت

قالت : لا تخذلنى عند التجربة . . طمأنتها

قالت : المشقة الفعلية فيما يأتى . . انزعجت

قالت : هاهى ذى المدينة تظهر لنا فحثّ خطاك

سألتها : أكثر من هذا أفعل ؟

قالت : أنا أبطىء لخاطرك ، أنا المكلفة بأمرك . .

لعينى اتضح باب المـدينة . . تمهلت النملة فى السـير . . تمهلت بـدورى . . بلغنـا البـــاب وقفت النملة فـوقفت . . أستأذنت لنا من الخَزنَة فى الدخول ، فأذن لها ، دخلنا معا من البوابة المرتفعة المزينة بالأعلام والأضواء واللافتات . .

قالت : سأقودك بنفسى وأكون دليلك حتى النهاية ، ثم أتركك وأنصرف . . شكرتها

قالت : مارأيك لو قطعنا ملل الـطريق بالحـديث ؟. رحبت باقتراحها واستحسنته

سألتها عمّا تود أن أحدثها عنه

قالت : قل كل ما يخطر لك ببال .

قلت : قد لا يعجبك حديثى ، والأفضل أن تحدثينى أنت . . نفت ظنى هذا وأكدت لى أن عندها رغبة حقيقية فى الاستماع إلى .

اخـذت أروى مـا أعـرف دون تـرتيب . . عــلى وجههـا ارتسمت علامات الدهشة والفضول معا

قالت : كل هذا يحدث ؟!

تحرجت وأقسمت أننى لا أكذب ولا أختلق . .

قالت : أصدقك

استفسرتها : أبقى كثير ؟

أجابت : حسابيا نعم . . ولمن أحبَّ وأراد وسعى لا . .

استفزتنى الإجابة فمشيت إلى جوارها صامتا

قلت : لِمَ لا تواصل الكلام

قالت : ماتت رغبتى

استأذنتنى أن تقص هى على . . رحبت . . بعد برهة وجيزة تبين لى أننى أنا الذى أقص . . تضايقت ، شعرت بمهانة . . نبهتها للأمر . أفادتنى أنى واهم وأن شعورى هذا فرط حساسية من جانبى لا مبرر له . انفعلت انفعالا حادا عندما توهمت أن حركة جفونها تنبىء عن الإقلال من شأنى .

رفعت قدمى إلى أعلى مكانٍ طاوعتنى فيه عضلاتى ثم هويت بها عليها . . فى اللحظة المناسبة تحاشت انقضـاض قدمى ، نظرت تجاهى فى عتاب وشفقة وغادرتنى دون كلام .

O O O

. . . اعتـرف بسلوكـك الشـائن ، وثـانيـا اعتـذر وأنت خاضع متجرد من عنجهيتك ، عليك أن تعى الدرس جيد أو تعمل على الوصول إلى لب الأشياء . . لا تستهن بشىء مهما صغر فقد يكون دليلك إن أردت دليلا . . وبصيرتك إن أردت نـورا . . اذكر فى نفسـك ما حـدث معتبـرا ومتـأمـلا . . فى البداية ، عندما ما رأيت الرجل متعبا أكثر منك حسبت أنك خير منه فأرتج عليك وضاع منك السؤال ليصير حتما عليك ان تبدأ من البداية ، ثم لايقف بك الأمر عند حدود التفكير بل يصل إلى مرتبة الفعل ، ترفع قدمك معتـزا ومغترا بمقـدرتك لتبدد بنفسك كل شىء . . .

- ٢ -

. . وهأنذا اعترف أولا وأعتذر ثانيا . . بوسعى أن أزعم

أننى قد استفدت بكل ما مر بى من تجارب وأحداث . . لن أقع فى خطأ بعد الآن . . لن أتقاعس حتى لو تآكل لحم البطن وتدلت الامعاء وظهرت للأعين خيوطا ممتدة . . أعرف أننى استنفدت كل ما أتيح لى من فرص . . ولتكن هذه هى الفرصة الثالثة ، وكما حدثتنا الأمثال الثالثة تابتة . . قليل علىَّ ما قد يصيبنى إن لم أكن قد تعلمت واستوعبت . . ما كان كان . . وما حدث حدث . . ماوقع وقع ، وما قدر قدر . . العبرة بما سيكون ويحدث . . هذه المرة اخترت أن تكون لى طريقتى أنا وأسلوبى أنا ، وسلوكى أنا ، وتصرفاتى أنا . . الآن سأجهر بالصوت سافرا أنادى : أماَ من زميل يقطع معى الرحلة ! . أما من رفيق يعبر معى الطريق . . أما من صاحب يؤازرنى فيما انتويت ؟ ما يروق لى لن أتردد فى فعله حتى لو صارت أفعالى نوادر يتفكه بها السمار ، وحكايات ترويها الشفاه . . الآن الآن أو . . لا أبدا سأبحث قبل كل شىء عن الرجل الاسوأ حالا من حالى حتى لو انمحت ساقاى من طوال البحث . . سأنقب فى كل الأمكنة عن النملة التى كدت اسحقها وهى تقودنى حتى لو فقدت القدرة على الابصار من كثرة التدقيق . .

O O O

أَقْبل . .

دمياط : مصطفى الأسمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليلى الشربيني

قصة البداية

- اخرجى إلى الممرِّ يا . . بنيّة .

خرجت الفتاة خلف الراهبة .

نظرت من خلف سور الممر إلى حديقة المدرسة . . وقعت عيناها على قمم الأشجار . . تذكرت أنها دائماً أحبت تلك القمم فى هذا الشهر من السنة . . فدائماً تزهر الأشجار فى ذلك الموعد ، وهى تراها دائماً عندما تذهب إلى الحمّام لتغسل يديها من الطباشير أو لتشرب . . بين حصة وأخرى . .

تنظر إليها فى عجلة . . فى حب وحنين وتتساءل : إذا كان سيتبقى من تلك السنوات الخمس . . بالدور الثالث ذكرى أعزّ من النظر إلى قمم تلك الأشجار !

أفاقت والراهبة تسألها أن تقول الحق ولا تخشى غيرَ قولٍ ليس هو الحقّ نفسه .

تساءلت : هل مدرسة التاريخ اتهمتها بالغش مرة أخرى عندما وجدت أن إجابتها مطابقة لنص الكتاب . . ؟ أم يراد منها أن تفشى سر زميلة أو أخرى من اللائى يضعن الكتاب على أفخاذهن تحت الدرج وينقلن منه الإجابة المطلوبة . .

أم ماذا . . ؟

تحدثت الراهبة أخيراً وسألتها :

- الأستاذ عفيفى . .

ما رأيك فيه . . ؟

- . . أنا . . ؟

شعرت لوهلة أنها مهمة . . وأنها أهم طالبة فى المدرسة . . بل إنها أهم من كبيرة الراهبات . . فهى التى ستتكلم . . هى التى ستقول :

إنه مدرس العربى ولأنّها طالبة ممتازة فى فروع أخرى طُلب منها أن تبدى رأيها فى أستاذ العربى . .

تذكرت كلامه عن المتنبى . . وعن الفعل الثلاثى ، وكم بهرتها اللغة العربية حينما أدخلها وزميلاتها فى أروقة الصرف والنحو . . وانبهارهنَّ باللغة انعكس على انبهارهنَّ بالأستاذ . .

ترددت لحظة ثم قالت :

- إنه أستاذ ممتع .

تداركت وقالت :

- إنه أستاذ جيد . . بل ممتاز .

قالت الراهبة :

- إنى أسألك عن أخلاقه .

بهتت الفتاة

اختلطت قمم الأشجار بقرنفلة كان أحياناً يضعها فى عروة سترته . حين تسأله إحداهن عن القرنفلة . . كان يرد : إنه الربيع . . وحين يبتسم كانت الفتيات يبتسمن . . وكن يتهامسن . . بعضهن . . عن حياته خارج المدرسة . . ويقلن . . إنه كاتب معروف . .

وكن يعزون تلك النزوة لأنه كاتب وليس مجرد مدرس . كن يعجبن به . . ويحببن اللغة عبْر حبهّن الجماعى له .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

انحسر العالم فى نظر الفتاة وبات مجرد قرنفلة الأستاذ عفيفى .

حيّرتها تلك القرنفلة .

نظرت إلى الراهبة وسكتت .

تساءلت إن كانت القرنفلة هى السبب ؟

ودّت لو أخفتها عن الراهبة . . لكنها وعدت بقول الحق .

قطعت الراهبة صمت الفتاة وعادت تسأل :

- ماذا عن موقفه منكن كفتيات ؟

ماذا تقول . . إنه دائماً مبتسم . . أنيق . . وابتسامته تلك ، وأناقته تضيفان شيئاً من البهجة وأيضاً الأناقة ــ ولم لا ؟ ــ على حصة اللغة العربية .

إنه غير مدرِّسى الأعوام الماضية . . ذلك الذى كان يسجنهن فى حصته داخل قواعد صارمة لا تنبض بالحياة . .

أما عفيفى . . .

أرخت جفنيها وسكتت .

شعرت أن ابتسامة تفلت منها . . وأن الراهبة ليست بحاجة إلى نظارة لتراها .

ودت لو فتحت فاهاً . . وأسعفها ذهنها بجواب . . لكنها لم تُجِرْ جواباً . . ووقفت عيناها ثانية عند قمم الأشجار المزهرة . .

قبل أن تنحدر من عينيها دمعة ، وقبل أن تعود إلى فصلها . . تساءلت :

- لم هذا السؤال . . ؟

القاهرة : ليلى الشربينى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد المنصور الشقحاء

قصة: الرقية

توقف عن التفكير وأخذ يقلب ما بين يديه من أوراق مهمة . (كانت هنا البارحة) . تلفت حوله أخذ يغير من جلسته بين وقت وآخر ، قال بصوت مرتفع (يا ترى أين اختفت . . ؟) . تأمل الجدران المحيطة به . توقع أن يقول له أحدهم إنها هنا . . حرك يده اليمنى هاجس فى داخله يدعوه إلى تحريكها بشكل آلى ، انفجر الموقف لم يعد لديه بصيص أمل فى العثور على الصورة التى يقدم لها التحية كل صباح ويقبلها ، وفى المساء وهو يغادر مكتبه يستأذن منها . إنها كائن حى يزرع البهجة فى داخله ، يغرقه فى دوامة من العمل الجاد والارتياح النفسى . . كل ما يتذكره أن ظرفاً غامضاً جمعه بصاحبتها فغدت زوجه ، وكذلك ظرف غامض دفع صاحبتها إلى هجره وطلب الانفصال ، ولم يتوان عن تحقيق رغبتها لشعوره بأنها سوف تصل إلى مرحلة يفقد فيها ذاته . . وبالتالى يفتقد الاحترام الذى تكنه له . ولم يتبق منها سوى هذه الصورة التى يشعر بأنها حجاب يحول بينه وبين نسيان وجوده وحرز يقيه من المصائب والوقوع فى الخطأ .

نهض من مقعده بعد أن بعثر الأوراق التى فوق مكتبه وخرج لا يلوى على شىء (انهم ينتظرون مقدمه) همهم وهو يشعل محرك العربة الطريق طويل والحديث يحتاج إلى تبويب واعداد . توقف أمام حاجز تفتيش ، أخرج بطاقته من حافظة النقود ، أرتال العربات تتحرك ببطء ، لم يتبق سوى عربتين ويتجاوز الموقع . أنزل زجاج الباب المحاذى وأخذ يتأمل الرجال المدججين بالسلاح (انهم ليسوا من رجال السير) قال ذلك دون أن يحرك شفتيه . . الطريق الآن خال توقف أمام الحاجز ، طوّق العربة مجموعة مكونة من أربعة ، قدّم لأولهم بطاقته بينما فتح الآخرون أبواب العربة فاحصين داخلها . طال مكوثه والرجال يتحركون بآلية متناهية ، تسرب إلى داخله خوف غريب ، أنزل يديه عن مقود العربة ووضعهما على فخذيه وقد أحنى رأسه محاولاً حبس الخوف والقلق حتى لا يفقده الموقف كيانه وإذا بشىء صلب يطعنه فى جانب رأسه وصوت أجش يخترق مجاله الخاص . .

— وهذه من تكون . . ؟

رفع رأسه وتأمل مقدمة البندقية التى احتكت برأسه متذكراً عصى المدرس الغليظة التى كان يلكزه بها هو ورفاقه فى الفصل عندما يطلب منه أن يقرأ الدرس أو يعيده . تنبه وأخذ يتأمل صاحب الصوت وقد أدرك أنه الواقف بمحاذاته . ارتبك وتأخر فى الإجابة وهنا مد الرجل يده إلى داخل العربة وأخرج الصورة من فوق (تابلوه) العربة . تأمل الصورة وفى صوت خافت قال . .

— انها زوجتى . .

كان يتوقع انتهاء التوقف والتفتيش عند هذه المرحلة غير أن أحدهم ركب معه وهو شاهر مسدسه بينما صادر صاحب الصوت الأجش الصورة . لا يدرى أين الطريق وكل ما تبادله مع مرافقه القسرى اشارات تدله على الاتجاه الذى يسير فيه حتى

دخل سياجاً من الأسلاك الشائكة وأكوام الرمل . أوقف العربة وترجل . . أخذ يسير في طريق متعرج حتى وقف أمام خيمة من القماش الداكن وطلب منه مرافقه الوقوف . شعر بعدم الاهتمام بما يدور في داخل الخيمة فأخذ يتلفت متبيناً المكان ولم يشعر بأن أحدهم خرج من الخيمة . تأمله قليلاً ثم صوب نحو رأسه مسدسه وأطلق عياراً واحداً . التفت على اثره عنوة وقد انبجس الدم من صدغه . كانت الصورة تقف أمامه بكل عنفوانها ثم انكبّ على وجهه .

الطائف ـ محمد المنصور الشقحاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سمير رمزى المنزلاوى

قصة: القرود

كما ينقض الليل الجبار فوق النهار فيمحو آثاره بلا رحمة كان هبوطهم على البلدة الصغيرة الساكنة إلى حد الملل !!

امتلأت بهم - تدريجياً - شوارعها ومحلاتها وبيوتها فاكسبوها - بمضى الوقت - مظهراً جديداً صاخباً قتل الهدوء بكل قسوة ! صباحها الذى كانت عناصره الموروثة تتألف من أذان الديكة وخروج الصيادين الهادىء صوب البحيرة . اقتحمته النكات الجنسية اللاذعة والمشاجرات العنيفة التى يكون منتهاها على الدوام ضحكات صارخة وموجات متتابعة من السعال الجاف المفزع . .

ليلها المشهور بصمته شبه التام وأبوابه الموصدة . . دبت فيه الحياة فطال إلى الفجر مشحوناً بصراع القمار القاتل والأنفاس المخدرة اللاهثة والألفاظ الغريبة الجرس . .

محلاتها فارقها الكساد والبيع بالأجل للصادين حتى يحاسبهم صاحب الحلقة .

وامتلأت بأنواع طريفة من السلع الغالية أغلبها معلبات جاهزة . . بلوبيف ولانشون وسفن أب

حتى أفراحها ولياليها تأثرت بالوافدين

فانزوت أغنيات الصيد القديمة وانتشرت كاللهب أغان سريعة راقصة

تيار هادر جرف معه البلدة القديمة كلها وألقاها فى دوامة هائلة بفضلهم .

رغم أنهم أقاموا بعيداً عنها سنوات طوال فى مساكن صغيرة ملحقة بمصنع الطوب الذى يعملون به . . كانوا خلالها بالنسبة لنا كالأشباح

نراهم فقط من بعيد . . لكننا لا نكلمهم ولا نكاد نحفل بهم . . حتى تخطى الحاجز ذات يوم رجل منا لم ترقه حرفة الصيد الرتيبة ، فسعى نحوهم وتقرب إليهم وانغمس فى صخبهم أياماً ثم عاد إلينا . . فى فمه مفردات جديدة وضجة عنيفة . . وبعد أيام أعلن على الملأ . . أن المصنع محتاج لعمال وعاملات وأفاض فى وصف خيراته وحوافزه . .

تحطم السكون الملتصق بالأرض والجدران وتحررت الألسنة من سجنها الجاف ، فتحدث الرجال عن شىء آخر غير السمك والحلقة والأنواء ، وتحدثت الفتيات والعجائز عن المصنع بتفاؤل عارم فى الخروج من وراء الستار الحديدى الصدىء ، وامتلاك الأشياء الجميلة التى حلمن بها . .

وسواء رضى الشيوخ ومدعو الحكمة وأصحاب القرارات المصيرية أو لم يرضوا فإن عدداً كبيراً من الفتيات والفتيان اتجهوا ناحية المصنع بعد الفجر ورجعوا يحدثوننا عن الخلط والرص والحرق

أعينهم لامعة متحدية لا تقبل أبداً أن تعود إلى الحملقة فى الجدران المالحة والشوارع الراكدة والفضاء السخيف .

وبدأت أقدام غريبة تدب فى الحوارى وعلى مصاطب الدكاكين تشترى وتستهلك وتتحدث بلهجة ظريفة .

النقود تخرج من جيوبهم بسهولة وبلا مساومة كأنهم يصنعونها بأيديهم . . تعجبهم للغاية نظرات الدهشة والإعجاب فيبالغون فى التأنق والإسراف ، حتى تحولوا إلى أسطورة . .

عندما تقدم بعضهم لخطبة عاملات المصنع قوبلوا بالترحاب . ودعمت المصاهرة مراكزهم فانتسبوا إلى عائلات زوجاتهم والتحموا بالهيكل الاجتماعى كجزء قديم من نسيجه . .

لم تكن لدى الصيادين أبداً القدرة على المسايرة . . فدخلهم لا يكاد يسد الجوع ودائماً تنتظرهم « نوتة » الحساب فى دكان البقالة والمقهى

ثم إنهم بحكم عملهم ليسوا أصحاب سهر مثل الآخرين ولا يعرفون الكثير عن المقامرة والقفشات و« القوافى » فأكل الغيظ قلوبهم وهم يرون الدكاكين والمقاهى تدير أعناقها ناحية هؤلاء . . تقدم لهم الاحترام والتجلة على قدر نقودهم واستهلاكهم وتجعلهم - وهم أصحاب البلد - فى ذيل القائمة بكآبتهم وفقرهم الدائم

حتى العرائس . . صار حلمهن الزواج من عمال المصنع الذين يرتدون البنطلونات المحزقة والقمصان المزركشة ويمسكون بأيديهم أجهزة التسجيل الضخمة التى تصم الآذان ويتقنون فنون الغزل والملاعبة فيقفون فى الشوارع المظلمة قابضين على أيدى الفتيات الموعودات بالعز . . يقدمون لهن أجمل الهدايا وأغلاها ويدفعون أعلى المهور بلا تردد . .

الفريقان اقتنعا تماماً بتناقض مواقفهما وأسهمت تصرفات كل منهما فى نمو القطيعة وعمقها . .

لكن الغرباء لم يتخذوا نفس موقف الصيادين السلبى بل بدأوا يتحرشون بهم . . يرمون عليهم كلمات قاسية تصدم رجولتهم وتثير الدماء الحارة فى عروقهم . .

وكانت المواجهة . .

البلدة الصغيرة التى كانت موطناً للملل . . تحولت إلى ساحة قتال استعرض العمال فيها فنونهم الحديثة فهزموا عصى الصيادين ومجاديفهم بالمصارعة الحرة والكاراتيه . .

وصار الصيادون فى الشوارع كالنخيل الهاوية ولم يتمكنوا من الحصول على حقهم فى مجلس الصلح العرفى لأن الحاضرين أدركوا أن المجلس سوف يتحول إلى مذبحة وهم يرون استعدادات العمال وأصهارهم بالمطاوى والمسدسات فمالوا إلى جانبهم وحبس الآخرون ألسنتهم جانحين للصلح

من يومها صارت السطوة لهم . . يسيرون فى الشوارع يلغطون ويغنون ويقفون مع الفتيات يتناجون ويتلامسون دون اعتراض !

لم تستطع التقاليد فى القدم أن تصمد أمامهم كأنها كانت تنتظر أى يد تمتد لتتهاوى وتنهار . .

كانوا يثقون بأنفسهم وقدراتهم إلى حد السفه ويجهرون بأنهم صنعوا للبلدة مستقبلاً بعد أن كانت جثة . .

من كان يصدق - قبل قدومهم - أن شقة من غرفتين تؤجر بخمسين جنيهاً ؟

ومن كان يرى أرفف المحلات مكتظة بكل هذه الخيرات ؟

بل من كان يعيش الحياة كما ينبغى ويدرك أسباب البهجة والسعادة قبل أن يراهم ويسمع أغانيهم ويشاهد رقصاتهم وطعامهم وأطفالهم الذين يشبهون الملائكة

هذه الأحاديث كانت تحفر ندوباً فى قلوب الأهالى وتنتزع الآهات والزفرات الحارة من صدورهم . . تجعلهم يكرهون البلدة التى لعبوا فى ترابها وشبوا فيه ويؤثرون البقاء فى البحيرة حتى يلعب الدود فى ملابسهم فيعودون . . منكسى الرؤوس كأسرى الحرب . . تصلهم داخل مخادعهم ضحكات ذات صلصلة وأقوال بذيئة مكشوفة . . فيدخلون تحت الأغطية هاربين

وظلوا تحتها حتى اخترقتها كلمات هامسة سارة . . كانت كافية لأن يخرجوا رؤوسهم قليلاً يستنشقون الهواء النقى ويلقون نظرة على البلدة !

الكلمات كانت تقول إن الحكومة قررت إلغاء مصانع الطوب الأحمر الذى يأكل طمى الأراضى . .

قذفوا الأغطية وخرجوا إلى الشوارع والمقاهى يستطلعون . . لم يجدوا سوى السرور التقليدى والصياح الدائم

تشككوا فى مصادرهم وجروا أقدامهم الثقيلة لكن الأيام أكدت الخبر ودارت به الألسنة كلها . .

المصنع سيغلق !
الحكومة حددت مهلة
لم يبق إلا شهران !

لم يتوقعوا الخلاص بهذه السرعة . .

ويوم أن جاء العساكر وأغلقوا المصنع وزعوا الشربات ولمعت العيون المجهدة ورقصوا رقصة التحطيب وسهروا حتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفجر ينتظرون الرحيل ويمتعون أبصارهم بمشهد الانسحاب المخزى . .

لكن أحداً منهم لم يظهر . . تفرقوا كالجن فى الثنايا . .
وقال الصيادون إنها حلاوة الروح .

وانتظروا دون جدوى

أصحاب المصنع أعلنوا عن هدمه وبيع أراضيه !
والغرباء ملتصقون كالخفافيش . . يجتمعون ويتفرقون همساً . .

الطائفة المترقبة نفد صبرها فرمت كلمات هازئة عليهم لكنهم ردوا عليها بأعنف منها
ولاحقوهم بالقفشات فانصرفوا بعيداً !

ولم يصدقوا عيونهم فجر اليوم التالى وهم يرونهم فى البحيرة مع أصهارهم وأقاربهم فوق القوارب يعملون بهمة وثقة من ولد صياداً الواحد منهم بعشرة من شباب الصيادين الصفر !
يرمون الشباك ويجذبون السمك ويجدفون كالقرود !
وفى المساء خرجوا إلى المقهى يضحكون ويصيحون كالعفاريت يتحدثون عن الشباك والبلطى والقوارب كما كانوا يتحدثون بالأمس عن الرص والحرق والخلط !

بدت البحيرة بعد ذلك كالمهرجان
المياه الجامدة تحركت مع أغانيهم ورقصاتهم أخمموا الحلقة بكميات رهيبة من السمك !

وبعد أسبوعين خرج ثلاثة منهم يحملون مصاغ الزوجات والمسجلات والمراوح والخلاطات إلى الاسكندرية وعادوا فى اليوم التالى بعربة نقل محملة بالمراكب الجديدة التى تسير بالموتور . . وبها أماكن لوضع الشباك والسمك . .

مع الفجر الوليد حملت إلى المياه النائمة فاستيقظت على لمسة جديدة ناعمة وأصوات عذبة قويه . . ساروا فى زفة رائعة !
وبدت المراكب المزينة بالأعلام كالحسان فى ليالى الزفاف

استعرضوا شباكهم البلاستيك الجديدة وألقوها صائحين ثم جذبوها مليئة بأسماك البورى التى تلمع فى الشمس !

وقف الصيادون بعيداً يرمقونهم
وجلبتهم تنفذ فى الأدمغة كالسهام المسنونة

تحادثوا دهشين وحاولوا أن يفسرا الموقف لكن الغرباء الآن قد استقاموا وحاذوهم فى طريقهم إلى الحلقة لبيع الأسماك ، فصمتوا معلقين أبصارهم بالمراكب الجديدة .

الغرباء تحرشوا بهم وألقوا النكات الهازئة والأغانى الخليعة . . لم يجد الفريق الآخر فى نفسه أى أثر للمقاومة وانشغلوا فى تفحص مراكبهم البيضاء وشباكهم اللامعة حتى اختفت آثارهم وخفتت أصواتهم . .

عندئذن تبادلوا النظرات ولم يجد أحدهم كلمة . . فتفرقو ينظفون القوارب الكالحة ويرتقون الشباك المهللة وعيونهم تسرح بعيداً وراء القافلة المختفية .

منية المرشد مركز مطوبس : سمير رمزى المنزلاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة روسية
تأليف : تاماراشيناريفا

ترجمها عن الإنجليزية
د. أحمد شفيق الخطيب

قصة المسألة

أعطت المعلمة واجب حساب للأطفال ، وكانت مسألة غريبة جداً تدور حول ست عشرة بالونة : « اشترت ماما ست عشرة بالونة ، انفجرت ست منها ، كم بالونة تبقت ؟

ـ « يا إلهى ! » صاحت يوليا بوريسكينا فى دهشة . « لابد أنك تحبين طفلك حقاً حتى تشترى كل هذا العدد من البالونات دفعة واحدة . . . »

فقد كان يُشترى ليوليا دائماً بالونة واحدة أو اثنتان أو ثلاث ، ثلاث على أكثر تقدير ، واحدة حمراء ، وواحدة زرقاء داكنة ، وواحدة صفراء ، ولم تر فى حياتها طفلاً يسير فى الشارع وهو يحمل ست عشرة بالونة معاً ، فمثل هذا الطفل لن يسير بل سيطير .

ـ « ماما ! » نادت يوليا

ـ « ما الأمر يا عزيزتى يوليا ؟ » ردت أمها وهى فى المطبخ .

ـ « أنت لا تستطيعين شراء ست عشرة بالونة لى ، هل تستطيعين ؟ »

ـ « لأى غرض ؟ هل طلبوا منك ذلك فى المدرسة ؟ »

ـ « حسناً ، لا . . ليس هناك سبب محدد . » قالت يوليا ذلك وهى تتنهد .

وشعرت أن أمها لم تكن تحبها كثيراً على أية حال .

« انفجرت ست بالونات . . » كررت ذلك لنفسها . « لماذا انفجرت ؟ كل الستة فى نفس الوقت . . ربما كان الطفل يسير فى الطريق واصطدم بشجرة صنوبر ، أو ربما دخل فى عراك فانفجرت البالونات أثناء الشجار ، ياله من شىء مؤسف ! »

ـ « هل مازلت تعملين واجبك ؟ ! » قالت أمها وقد ظهرت قرب الباب .

« هل يمكن أن تكونى متبلدة هكذا حقاً ؟ »

ـ لقد كتبت بالفعل كلمة مُسألة . . . »

ـ « ألا تعرفين كيف تقومين بحلها ؟ ونظرت أمها إلى الكتاب المدرسى ، « ألا تعرفين كيف تحلين مسألة سهلة كهذه كانت هناك ست عشرة بالونة انفجرت ست . . . »

ـ « كل واحد يعرف أنه تبقى عشر ! » قالت يوليا ، « ولكن لماذا انفجرت ست بالونات فى نفس الوقت ولماذا تشترين لى اثنتين أو ثلاثا ، بينما توجد ست عشرة . . . »

ـ « ولكن أحداً لا يسألك عن كل هذا ! » قالت أمها ذلك وهى تصرخ بانفعال . « فقط اكتبى الحل ، هذا كل ما فى الأمر ، كما أن المسألة لا تقول إن البالونات قد تم شراؤها لطفل واحد ، فربما كان للأم خمسة أطفال مثل جارتنا العمة ليوبا . »

ـ « ولكن إذا كان هناك خمسة أطفال ، فكم بالونة يأخذها كل طفل ؟ »

ـ سوف يأخذ كل واحد ثلاثاً ، ولكن الأخير يأخذ واحدة إضافية » ، قالت أمها وهى تتنهد .

ـ « ولكن هذا لن يكون عدلاً بالنسبة للآخرين ، قالت يوليا ، « لقد كان ينبغى حقاً أن تشترى خمس عشرة بالونة . »

ـ « لا أستطيع الاحتمال أكثر من ذلك ! » وأمسكت والدة يوليا رأسها بكلتا يديها وغادرت الحجرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسمعتها يوليا تتحدث إلى أبيها فى الهاتف .

– « أوليج ، كم أنا مسرورة لأنك لم تغادر العمل بعد ! أرجو أن تشترى ست عشرة بالونة ، لا تسألنى أية أسئلة ، أرجوك ، وإلا فسوف أجن ! »

وهكذا فإن يوليا بوريسكينا لن تذهب إلى إلى المدرسة غداً ، ولن تجرى أو تقفز . . بل سوف تطير وهى تمسك بخيوط ست عشرة بالونة !

القاهرة : أحمد شفيق الخطيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللعب تحت المطر

حاتم رضوان

رغم هذه التعليقات التى لم تنقطع بعد من نشرات الأخبار ، كانت دهشة الناس كبيرة . كانوا يفتحون عيونهم ما استطاعوا . يبحلقون . ثم يلتفتون بعيدا عن العربة الزرقاء ، وهم يتحسسون جيوبهم بأيد مرتعشة . كانوا يلوذون بحيطان الأبنية العالية نازلين مع شوارع الميدان ، وكانت الشوارع ترميهم الى شوارع ، فحارات ، فأزقة وكانت الأزقة المسدودة تدارى ملامحهم المتغيرة .

*

وخلال أيام قليلة تعود الناس رؤية العربة الزرقاء ، وهى تقف على الرصيف الأوسط فى مواجهة التمثال . وكذا تعودوا حمل بطاقاتهم الشخصية . حتى الصغار كانوا حريصين على المشى بصحبة أبائهم أو أمهاتهم . تركوا عادة اللعب تحت سماء الشارع ، ورضوا بالطرقات الضيقة أمام بيوتهم ، وبالغرف التى تخنقها الأسقف .

*

فى الأيام الأولى ومنذ وطئت العربة الرصيف الأوسط ،والأربعة يقفون حولها . كل واحد فيهم كان مشدوداً مثل التمثال الواقف وسط الميدان . كانت بنادقهم مدلاة من أكتافهم ، ومصوبة فى اتجاه الناس . هؤلاء الذين انفرط سكوتهم الطويل بنفس الهمسات الخاطفة : متى يرحلون ؟

*

مضت الأيام وصاحب البدلة البيضاء يمارس نفس الطقوس . يسحب الكاب من فوق التابلوه . يضعه على رأسه ، وينزل . يدور حول العربة مرة واحدة ، تنفر فيها عروق رقبته بمتوالية من الألفاظ الخارجة ، فتختفى الارتخاءات المتسللة إلى أجساد الأربعة . يعود بعد ذلك الى كابينة العربة . يخلع الكاب ، ثم يدفس رأسه فى الجريدة من جديد .

*

مرت الشهور رتيبة ، وصاحب البدلة يجلس بصفة شبه مستمرة داخل العربة . تخلى عن تأدية طقوسه اليومية فى النزول والدوران . اكتفى بألفاظه التى يرميها من النافذة فى أوقات متباعدة . تلك الألفاظ التى فقدت بمرور الأيام تأثيرها السحرى على الواقفين بمحيط العربة حتى إنهم تجرأوا وخلعوا بنادقهم ، واستندوا عليها ، وقد رسمت عليهم الارتخاءات شكلا ثابتا ، ويقسم مصلو الفجر أنهم كانوا يرون - وهم فى طريقهم إلى مسجد المحطة - الأربعة متقرفصين فى أماكنهم فوق الرصيف ، وهم يضعون أيديهم على أفواههم يغالبون النوم .

*

تساءل الناس فى حيرة : هل يقرأ صاحب البدلة البيضاء الجريدة - حقا - أو أنه يدارى رأسه فيها من تلك الشمس التى تضرب فى زجاج العربة ؟ بعضهم قال فى عدم ثقة : إن عينيه كانتا تدوران من خلف الجريدة فى كل مكان

*

فى ظل العمارة المقابلة فوجىء الناس به يجلس فوق كرسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الخيزران . كان يرد السلام على الداخلين والخارجين فى ود زائد . فى بعض الأحيان كان يبدؤ هم السلام .

*

صاحب قهوة البورصة - جنوب الميدان ، أصحاب المحلات الملاصقة لسور المحطة ، الباعة الجائلون كانوا - جميعهم - يصبّحون ويمسون على الواقفين ، والجالس مرة بالسندوتشات ومرة بحبات الفاكهة ومرات كثيرة بأكواب الشاى والسحلب والقرفة .

*

أهمل الناس حمل بطاقاتهم . توافدوا من الأزقة والحارات والشوارع . تخالطوا فى الميدان ، يتخابطون أثناء سيرهم المتعجل ، يتبادلون السلام والشباب يفاصلون الباعة - هؤلاء الذين عادوا إلى التكوم من جديد فوق الأرصفة وتحتها . يتدافعون داخل العربات الرديئة فى الموقف الجانبى متجهين فيها إلى القرى .

الصغار عادوا إلى اللعب فى الشارع . يجرون بين العربات المسرعة . يقذفون بعضهم بالطوب ، يضحكون من القلوب ، يستقبلون حبات المطر فوق الكفوف ويغنون .

*

أثناء الأحداث الأخيرة وبعدها جاءت عربات زرقاء أخرى كثيرة أخذت تصب من مؤخراتها أصحاب الأجسام المشدودة . والبدل البيضاء . امتلأ الميدان بهم واختبأ الناس من جديد داخل بيوتهم يترقبون العودة .

بنها : حاتم رضوان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرحية

المبارزة

مسرحية من فصل واحد

نصار عبد الله

المنظر

(محطة أتوبيس . . شخص واحد واقف على المحطة عادى المظهر وان كان يميل قليلاً إلى الرثاثة وسوف نرمز له بالحرف (أ) . . إلى جانبه سلة صغيرة مغطاة بمفرش . . ينظر إلى السلة ثم إلى ساعته ثم يتطلع إلى بعيد ليرى ان كان الأتوبيس قادماً . . يكرّر هذه الحركات مرة بعد أخرى عندما يدخل الشخص (ب) الذى تلوح عليه الحيوية والرشاقة ، يدور دورة كاملة حول الشخص (أ) ثم يتوقف فجأة فى مواجهته .

(ب) : لو سمحت . . هل هذه محطة أتوبيس ٨٥ ؟

(أ) : نعم

(الشخص (ب) يدور دورة أخرى حول (أ) .

(ب) : هل تنتظر الأتوبيس ؟

(أ) : نعم .

(يدوز دورة أخرى) .

(ب) : هل تنتظر منذ وقت طويل ؟

(أ) : (ينظر إلى ساعته ثم إلى السلة ثم إلى ساعته مرة أخرى) .

(أ) : منذ حوالى ساعة .

(ب يعود إلى الدوران) .

(ب) : هل تعتقد أن هناك أملاً فى مجيء الأتوبيس ؟

(أ) : بالطبع ما يزال الوقت مبكراً جداً . . بالنسبة للدورة الأخيرة (ينظر إلى ساعته ثم إلى السلة ثم إلى الساعة مرة أخرى ويواصل) ـ نعم مازال الوقت مبكراً جداً .

(ب) : عندما يأتى الاتوبيس هل ستصعد إليه ؟

(أ) : (يبتسم فى استغراب) ـ بالطبع !

(ب) : يعود إلى الدوران عدة مرات ثم يتوقف فجأة فى مواجهة (أ) ويخاطبه بشكل باتر كمن يصدر أمراً .

(ب) : اسمع ! . ما اسمك ؟

(أ) : (مرتبكاً) ـ محمود .

(ب) : محمود ماذا ؟

(أ) : يستعيد توازنه ويجيب فى فتور ـ محمود حامد .

(ب) : حامد ماذا ؟

(أ) : «الذى سنعرفه منذ الآن باسمه محمود) ـ (متجهماً جداً)

ـ محمود حامد فقط يكفى هذا .

(ب) : (متلطفاً) ـ اسمع يا أخ محمود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل يضايقك أن نتجاذب أطراف الحديث كأصدقاء إلى أن يأتى الاتوبيس .

محمود : (وقد انفرجت أسارير وجهه قليلاً) بالعكس . . هذا يسرنى جدا .

(ب) : كلا . . أنت متضايق .

محمود : بالعكس أنا غير متضايق .

(ب) : كلا . . أنت يبدو عليك الضيق .

محمود : متجهماً ـ قلت لك إنى غير متضايق . . أنت بهذا تضايقنى فعلاً .

(ب) : اذن أنت غير متضايق (محمود يهز رأسه موافقاً)

(ب) : ماذا فى هذه السلة ؟ (يقترب منها كما لو كان يهم بتفتيشها) .

محمود : (يبعدها بحركة غريزية) ـ لا شىء . . مجرد قطع من الجبن وكمية من البيض والزبد . . إنهم يبيعونها فى هذه الضاحية أرخص كثيراً من داخل المدينة . . ثم إنها طازجة أكثر . . ومع هذا فقد كنت أفضل أن أقضى هذا المساء فى المنزل لولا أن زوجتى أصرت على أن أجىء إلى هذه الضاحية البعيدة لأشترى لها الطلبات .

(ب) : أنت متزوج إذن ؟

محمود : نعم .

(ب) : اسمع يا أخ محمود . . هل تثق فى زوجتك ؟ أعنى هل تعتقد أنها مخلصة لك ؟

محمود : (يعود إلى التجهم الشديد) ـ وما شأنك أنت ؟

(ب) : قلت لى إنك لن تتضايق . .

محمود : لم أكن أتصور أن الكلام سيصل إلى هذا الحد .

(ب) : ولكنك قلت إنك ستكون مسروراً إذا تجاذبنا الحديث كأصدقاء . . نعم كأصدقاء .

محمود : يا سيد يا محترم . . أنت تتجاوز حدودك !

(ب) : إذن أنت متضايق ؟

محمود : يمكنك أن تعتبر الأمر كذلك .

(ب) : (فى تصميم شديد) ـ ولكنك قلت إنك لن تتضايق !
معنى هذا أنك كنت تخدعنى . .

محمود : (يتجاهل حديثه ويتطلع إلى بعيد ليرى ان كان الاتوبيس قادماً . ينظر إلى ساعته . . ثم إلى سلته . . ثم يعود ينظر إلى الساعة) .

(ب) : (مواصلاً) . . اسمع يا محمود أنا لا أحب الخداع .

محمود : (فى اقتضاب) هذا لا يعنينى .

(ب) : ولكنه يعنينى أنا . . قلت لى إنه سوف يسرك أن نتكلم كأصدقاء . . ومادمنا قد عجزنا عن أن نتعامل كأصدقاء . . اذن فلنتعامل كأعداء .

محمود : (وقد بدأ يداخله الخوف) ـ ماذا تعنى ؟

(ب) : (فى غضب) ـ أعنى ما أقول . . لابد لنا أن نتعامل كأعداء . . ولابد لنا أن نعبّر عن مشاعر الكراهية والعداوة التى يكنّها كل منا للآخر . . بطريقة إيجابية (يستل فجأة من بين طيات ثيابه سيفاً ويبدأ فى التراقص حول محمود الذى ينكمش متراجعاً للخلف) .

محمود : كلا يا عزيزى . . انت تضخم المسألة . . لسنا أعداء على الإطلاق . . . أنا إنسان مسالم . . لم يحدث أن عاديت أحداً على الاطلاق . . كلهم يشهدون لى بذلك . . رؤسائى وزملائى . . أنا متعاون جداً ومملوء بالمودة لكل الناس (ما يزال يتراقص ويصوب السيف نحو محمود الذى يتراجع مفزوعاً) .

محمود : يواصل الكلام . . انا لا أعاديك اطلاقاً . . كيف أعاديك أو تعادينى وكلانا لم يعرف الآخر بعد ؟!

(ب) : (يتوقف عن التراقص لكنه ما يزال شاهراً سيفه) ـ عندما يوجد اثنان فى مكان واحد فلا يمكن أن تكون مشاعرهما محايدة ، فهما إما صديقان أو عدوان . ومادمنا قد عجزنا عن أن نكون صديقين فنحن عدوان . . هذا مؤكد . . مؤكد . . لا تقل غير هذا ، لا تقل لا يعنينى أمرك فالمشاعر المحايدة توجد فقط بين شخصين لم ير أحدهما الآخر ولم ينظر أحدهما فى عين الآخر (يمد رأسه محدقاً فى عينى محمود الذى يتراجع مذعوراً) . .

محمود : كلا يا عزيزى . . لقد حدث سوء تفاهم يسير . . هذا كل ما فى الأمر . والحقيقة أننى لا أشعر بأى نوع من العداء نحوك . ومادمت لا أشعر بالعداء نحوك . . إذن نحن صديقان ، أليس كذلك (يبتسم ابتسامة مصطنعة) . . أليس كذلك ؟

(ب) : لكنك قلت منذ لحظة واحدة إنك متضايق منى .

محمود : سوء تفاهم يسير . . لقد أخطأت التعبير . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنت أقصد فقط أن ، الحديث فى أمورى الشخصية . . قد لا يهم حضرتك . .

(ب) : (وهو يغمد سيفه) اذن أنت لا تعادينى ؟

محمود : (فرحاً بنجاته) ـ إطلاااقاً .

(ب) : اذن فنحن صديقان ؟

محمود : (بشكل مبالغ فيه) ـ طبعاً . . طبعاً نحن صديقان حميمان .
وبهذه المناسبة لم نتشرف باسم حضرتك .

(ب) : انا البرج . . هل سمعت بالبرج ؟

محمود : (بشكل مبالغ) ـ طبعاً . . طبعاً برج الجزيرة .

(ب) : (يضع يده من جديد على موضع مقبض السيف) هل تسخر منى ؟

محمود : أقصد برج بيزا . . لا . . بل برج إيفل . . نعم برج إيفل !

(ب) : (يستل سيفه من جديد) .

محمود : لا تغضب . . أنا أمزح معك .

(ب) : (يغمد سيفه مرة أخرى) لا بأس بالمزاح بين الأصدقاء ، قبلت مزاحك فالمزاح دليل على عمق المودة ، ولكن البرج هو اسم الشهرة . . المهندس البرج . . فعندما نزلت إلى دنيا الأعمال والمقاولات ارتفعت أسهمى ، بسرعة رهيبة حتى أصبحت فى سنوات قليلة من أصحاب الملايين . . وهكذا أطلقوا على لقب المهندس البرج .

محمود : تستاهل كل خير والله العظيم !

(ب) : (الذى سنعرفه منذ الآن بالبرج) ـ شكراً يا محمود .

محمود : لكن لو سمحت يا سموّ البرج . . أخبرنى ما الذى أتى بك . . لامؤاخذه إلى محطة أتوبيس ؟ . لا أظن أن معاليكم قد جئت لتشترى مثلى بعض الزبد والبيض من القرية القريبة من الضاحية !

البرج : كلا . . ها . . ها . . كلا . . يا محمود . . أنا كنت فقط أمارس هواية المشى .
أمشى يومياً عدة أميال ، وهذه إحدى هواياتى الكثيرة . . أنا أهوى المبارزة أيضاً (يستل سيفه ويظل يتراقص به مصوباً طعنات وهمية إلى محمود الذى يتراجع خائفاً مرتبكاً) . . أهوى الملاكمة (يصوب عدداً من اللكمات السريعة إلى محمود الذى لا يملك إلا المزيد من التراجع) . . وأهوى الشطرنج . وعندما كنت طالباً حصلت على بطولة الجامعة فى الشطرنج . . كانوا يلقبوننى بالعبقرى الذى لا يهزم .

محمود : طبعاً . . طبعاً . . إن أمارات العبقرية تطل من عينيك !

البرج : وكنت أكتب الشعر . . وما أزال .

محمود : يا لرقة إحساسك وكمال أوصافك !
(يتخذ هيئة المنشد !)
فإنك برج ما عداه خرائبُ !

البرج : (مبتسماً متهللاً) ـ أنت خفيف الظل يا محمود (يربت على كتفه) .

محمود : (منحنياً) ـ شكراً يا مولاى .

البرج : زدنى يا محمود . . امتدحنى . . اننى أعلم أن كلامك نفاق ، لكن نفسى تستريح إليه . . زدنى يا محمود من هذا النفاق الجميل . . زدنى .

محمود : ليس نفاقاً يا مولاى . . إنها الحقيقة الساطعة . . إنها الكلمات التى تخرج من القلب إلى اللسان حاملة معها كلّ آيات الحب والعرفان لكى تنال شيئاً من رضاء مولاى البرج الشاهق . . الذى لا يطاوله برج فى الأرض . ولا فى السماء يشتد به الحماس ولا برج الشمس ولا برج الجوزاء ولا برج . .

البرج : (متأففا) . . كفى كفى يا محمود . . لا أريد هذا الكلام ، هذه خطب إنشائية مملّة .

محمود : إذن فليأذن لى مولاى أن أمتدحه بقصيدة شعرية .

البرج : كفى . . كفى . لقد سئمت ، لم أعد أريد مديحاً ولا تخاطبنى بقولك مولاى فأنا لست مولاك . . أرجوك لا تخرجنى عن طورى مرة أخرى . . هل نسيت أن حديثى معك منذ البداية هو حديث صديق لصديق وليس حديث سيد مع عبد صفيق ؟

محمود : (محبطاً يبتلع الاهانة) لا تغضب يا أبا الأبراج ، أنا أيضاً أهوى التمثيل كنت أمثل معك دور العبد مع السيد . . نتسلى إلى أن يأتى الاتوبيس . أخبرنى يا أبا الأبراج . . ما هى آخر مشروعاتك المعمارية ؟

البرج : لم تعد لى مشروعات معمارية . . توقفت تماماً منذ فترة . منذ أن هرب مساعدى وأفشى أسرارى إلى الشركات المنافسة . . فهبطت أسهمى وتوقفت أعمالى . . آهٍ من ذلك الوغد الدنىء !

يتركنى وأنا فى مسيس الحاجة إليه ، وانا الذى صنعته من العدم . . أنا الذى انتشلته من الحضيض وصعدت به إلى الأدوار العليا . . كان مجرد مهندس حديث التخرج عندما وقعت عليه عيناى الفاحصتان فأدركت على الفور ما يتسمّ به من ذكاءٍ وطموحٍ ، رأيتُ فيه صورة مصغرة من عبقريتى ، فأحببته واحتضنته وصعدت به ، لم أكن أكبره من حيث السن إلا بسنوات معدودة . . أما من حيث المستوى فقد كنت أعلوه طبعاً بدرجات لا تحصى .

محمود : طبعاً . . طبعاً .

البرج : مواصلاً ـ لم يخطر ببالى قط أنه سوف يغدر بى . كنت أثق فيه كما أثق بنفسى تماماً . . لم تكن ثقة عاطفية . نعم أؤكد لك أنها لم تكن مجرد مسألة عاطفية . . فأنا ـ وان كنت شاعراً لست رومانسياً . أنا فى المسائل العملية رجل عملى . . وقد كانت ثقتى به ثقة محسوبة مثل نقلة الشطرنج . . كنت اعرف أن وجوده إلى جانبى يجعلنى يكسب كثيراً جداً وأنا اكسب أكثر ، افهم هذا الكلام ـ هو يكسب كثيراً جدًّا وأنا أكسب أكثر . . فإذا تركنى . . افهم هذا يا محمود ـ أنا أخسر كثيراً جداً لكنه يخسر أكثر . . كنت أعرف هذا جيداً وكنت أعرف أنه يعرف هذا أيضاً . . كان يعرف أن وجوده مرتبط بوجودى ومع هذا تركنى . .

محمود : لعله تقاضى مبلغاً كبيراً من الشركات المنافسة ثمناً لخيانته هذه .

البرج : بالعكس . . لم يتقاض شيئاً على الإطلاق . . كانت المسألة هدْماً بلا بناء .
هدمنى دون أن يبنى نفسه . . أنا خسرت كثيراً جداً وهو لم يربح شيئاً . مازالت الشركة الصغيرة التى كوّنها من ورائى شركة خاسرة ، ايراداتها لا تغطى مصروفاتها ، كنت أعرف أن هذه هى النتيجة الطبيعية للخيانة . والغريب أنه هو كان يعرف هذا أيضاً ومع هذا تركنى .

محمود : شىء غريب فعلاً ومحيّر حقًّا . . ما هو تفسيرك إذن لهذه الخيانة ؟

البرج : (عاقداً ذراعيه حول ظهره متمشياً حول محمود) ـ إنها مسألة نفسية يا صديقى . . البعض لا يحبون الوقوف كثيراً إلى جوار العمالقة حتى لا يبدوا اقزاماً . . والأذكياء لا يحبون مصاحبة من هم أكثر منهم ذكاء وعبقرية حتى لا يشعروا بجوارهم أنهم حمقى وبلهاء . . البعض يفضلون الاستقلال الموهوم حتى لو ضحوّا فى سبيله بالمال والروح ، بل وبالشرف أيضاً . . أعتقد أن هذا هو التفسير . . ثم هناك مسألة أخرى . . هى خطيبتى التى هربت معه . .

محمود : اااه . . . هذا هو السبب إذن ! لقد هرب من أجلها . .

البرج : (منتفضاً ويهز محمود كتفيه) ـ كنت تعرف السبب وتخفيه عنى ؟. أنت تعرف . . أنت تعرف !

محمود : أنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق . . من أين لى أن اعرف ؟

البرج : لكنك قلت إنه هرب من أجلها .

محمود : مرتبكاً ـ اعقل يا برج . . من أين لى أن اعرف ؟
أنا فقط أقول ربما هرب من أجلها . . ربّما . .

البرج : لا . . ليس هذا صحيحاً . . وإلا فإذا كان هو قد هرب من أجلها . . لماذا هربت هى ؟

محمود : من أجله هو .

البرج : منتفضاً ـ اذن فأنت تعرف ! . أنت تعرف . . كلهم كانوا يعرفون . . العمال والموظفون والملاحظون والمحاسبون . كلهم كانوا يعرفون القصة من أولها ولم يخبرنى واحد بشىء . . كلهم . . كلهم . . الأوغاد ! . كانوا يعرفون ومع ذلك كانوا كلهم من مبدأ «أنا مالى يا عم» يلوح بذراعه مصوراً موقفهم . وأنت أيضاً . . أنت تعرف !

محمود : كيف أعرف يا سيادة البرج وأنا لم أسمع هذه الحكاية إلا منذ لحظات ؟ . . أنا فقط أستنتج أن هذا هو السبب . إنها مسألة عادية وتحدث كثيراً كثيراً جداً ما يهرب الرجل من النعيم من أجل امرأة . . وتهرب امرأة من أجل رجل . . ملعون أبوه وأبوها . . ولا يهمك يا سيادة البرج فلا يقع إلا الشاطر .

البرج : نعم . . لا يقع إلا الشاطر . . وقد كانت وقعتى أليمة جداً يا محمود . أنا لست آسفاً عليها ولا حزيناً يا محمود . صدّقنى أنا لست آسفاً عليها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هى ، ولكنى آسف على نفسى . . حزين لأننى شعرت لأول مرة بأننى مغفل كبير . . شعرت لأول مرة بأننى ضعيف فى الحساب . . أنا الذى كنت أحسب كل حساباتى وأرقامى من الذاكرة وبدون آله حاسبة فشلت فى حساب حسبة صغيرة . . . حسبة المهندس الصغير الطموح والفتاة الجميلة وهما يقفان إلى جوار البرج العملاق المخيف المسيطر . . أنا الذى كنت اعرف بمجرد النظر خصائص كل تربة وأنواع المعادن الخبيئة فيها دون اختبارات أو أجهزة ، فشلت فى أن أعرف معادن الناس الذين يقفون إلى جانبى . . ترى يا محمود من أى معدن أنت ؟. من أى معدن أنت !. (يحدق فيه فاحصاً) .

محمود : (محاولاً تخفيف الجو المتوتر) ـ أنا من الحديد المطاوع !. رؤسائى فى العمل يقولون لى شغلك حديد . . لكنك مطيع ولهذا فأنا حديد مطاوع .

البرج : ها ها . . أنت خفيف الظل . .

محمود : شكراً .

البرج : سوف أعيّنك يوماً ما بشركتى كاتباً أو شيّالاً أو بوّاباً . . أو أى عمل يتناسب مع مواهبك المحدودة .

محمود : (يبتلع الاهانة ويتظاهر بالسرور) ـ شكراً يا فندم بارك الله فيك .

البرج : وسوف أمنحك بصفة استثنائية أجراً كبيراً يغنيك عن السفر إلى الضواحى البعيدة لشراء هذه الأشياء .

محمود : شكراً يا فندم زادك الله من نعيمه . .

البرج : اسمع يا محمود بمناسبة هذه السلة . . لماذا تعتقد أن زوجتك قد أرسلتك إلى هذه الضاحية البعيدة . . البعيدة فى هذا الوقت بالذات ؟

محمود : متضايقاً ـ لأشترى الجبن والبيض والزبد بثمن أقل .

البرج : (مبتسماً ابتسامة ذات مغزى) ـ هل تعتقد أن هذا هو السبب الوحيد ؟

محمود : (متظاهراً بعدم الفهم) .
لا يوجد سبب آخر .

البرج : فلنتكلم بصراحة يا محمود . . كأصدقاء . . تذكر أننا سنتكلم كأصدقاء فى هذه المسألة يا محمود .

محمود : (مراوغاً) هل سيادة البرج مهتم جداً بمعرفة أحوالى العائلية ؟

البرج : نتسلى يا محمود . . إلى أن يجىء الأتوبيس .

محمود : ألا توجد وسيلة أخرى للتسلية غير هذه الموضوعات ؟

البرج : دعنى إذن أعلّمك شيئاً من فن المبارزة بالسيف . إن معى سيفين (يستل سيفين من طيات ملابسه) .

محمود : لا . . لا . . أنا لا أحب هذه اللعبة .

البرج : أنا أيضاً لا أحبها . . أهواها ولكنى لا أحبّها .

محمود : لامؤاخذة يا سيادة البرج . . هذا كلام متناقض .

البرج : أقصد أنها ليست هدفاً فى ذاتها . . أهواها ليس لأنى أحبها ولكن لأنى احب أن أدافع عن نفسى . أعنى . . ان الحياة لابد أن تجبرنا بين الحين والحين على المبارزة . . خذ هذا السيف . . خذ . . سوف تحتاج إليه يوماً ما .

محمود : لا أعتقد أنى سأحتاج إليه .

البرج : بل سوف تحتاج إليه . . مادمت محتاجاً إلى نفسك مثلاً . . فى موقف كهذا الموقف وقد أرسلت بك زوجتك لسبب أو لآخر . . افهم هذا ، لسبب أو لآخر إلى ضاحية بعيدة بعيدة كهذه الضاحية ، فجأة يبرز أمامك شخص غريب يحدق فى عينيك ويقترب محدقاً فى عينى محمود وتحدق فى عينيه وتشعر على الفور بعدم الارتياح . . وينمو لديك الشعور بأن ما يربط بينكما ليس هو المودّه . . إذن فما يشعر به كل منكما نحو الآخر هو العداوة . ومادام الامر كذلك فلكى تكون صادقاً مع نفسك . لابد أن تبدأ بالهجوم أو على أضعف الايمان . . لابد أن تتهيأ للدفاع .

محمود : بصراحة أنا لست مقتنعاً بهذا المنطق .

البرج : (غاضباً) ماذا تعنى ؟. هل هو منطق مختل . . أم انك من الذين يفضلون العيش فى خنوع . . يستجدون الرحمة من الآخرين ؟

محمود : لا أقصد . . لكنى أذكر أنك قلت لى إن المسألة مجرد تسلية إلى أن يأتى الأتوبيس . . أنا أفضل وسيلة أخرى .

البرج : حسنا (يغمد السيفين وهو ما يزال غاضباً) سأعلمك الملاكمة (يوجه إليه لكمة قوية فى وجهه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيسقط على الأرض) يقف إلى جواره وهو يعد واحد . . . اثنان . . . ثلاثة . . . أربعة . . خمسة (محمود ما يزال راقداً لا ينهض) يمسكه من ذراعه ويرفعه إلى أعلى صائحاً) انتهت هذه الجولة بالضربة القاضية سنبدأ جولة جديدة تماماً .

محمود : (متهالكاً) لامؤاخذة يا سيادة البرج ـ أنا أعرف أنه لا توجد جولات أخرى بعد الضربة القاضية لقد انتهت هذه المباراة . . نعم انتهت .

البرج : (ضاحكاً) اذن نعود إلى السيف . . خذ هذا السيف ولا تخش شيئاً (يمد إليه السيف بينما يظل الأخير متردداً) . .

البرج : (فى لهجة حاسمة) . خذ ولا تكن جباناً قلت لك لن أوذيك .

محمود : وهو يتناول السيف ـ ولكن إذا طعنتنى بنفس الطريقة التى لكمتنى بها . . . . فسوف تكون القاضية حقاً .

البرج : ضاحكا ـ لا تخف يا صديقى . . لن أوذيك ، الآن تعلم كيف تمسك المقبض بطريقة سليمة هكذا (يقبض على مقبض سيفه بطريقة معينة فيقلده محمود)
هيا بنا نبدأ (يبدأ فى التراقص فيقلده محمود، فجأة يطيح بسيف محمود فى الهواء مقهقهاً . . هذا لأنك تمسك المقبض بقوة . . لا تجعل قبضتك محكمة جداً ولا متراخية جداً . . هل تفهم ؟ . هيا نبدأ من جديد (يبدأ كل منهما فى الاقتراب نحو الآخر وصدّ ضرباته بين الحين والحين يتعرض محمود لوخزة صغيرة فيصرخ متوجعاً . . فى حين يهتف البرج مقهقهاً نقطة . . بعد فترة يدب التعب إلى محمود وتتلاحق أنفاسه) . .

محمود : لقد تعبت . . تقطعت أنفاسى . . هل تأذن لى يا سيادة البرج أن أستريح قليلاً ؟

البرج : ها . . ها . . لياقتك منخفضة . . أذنت لك . استرح قليلاً يا محمود .

محمود : (يجلس متهالكاً إلى جوار السلة ينظر إليها ثم إلى ساعته ثم يتطلع إلى بعيد يقول فى أنفاسه المتقطعة) ـ تعبت جداً . . جداً . .

البرج : لياقتك منخفضة . لابد أن تؤدى التمرينات الرياضية كل صباح .

محمود : سأفعل . . إن شاء الله . . سأفعل .

البرج : انهض يا محمود وهيا نواصل التسلية .

محمود : . . أنا ما أزال متعباً . . . نتسلى بأى شىء آخر . نتجاذب أطراف الحديث .

البرج : ولكنك تتهرب من الاجابة على اسئلتى يا محمود .

محمود : كلا . . كلا . . لن أتهرب . اسأل ما شئت . نحن أصدقاء . . نحن أصدقاء (ينظر إلى ساعته ثم إلى السلة ثم يتطلع إلى بعيد) . .

البرج : (عاقداً ذراعيه وراء ظهره وهو ما يزال ممسكاً السيف يتمشى . . قليلاً . . يخاطب محمود وهو مدير ظهره إليه) .
لا بأس بأن نتجاذب الحديث . يا محمود هل تستمتع كثيراً بمضاجعة زوجتك ؟

محمود : يهب منتفضاً وغاضباً الحقيقة . . الحقيقة . . (يغريه الوضع الذى يقف فيه البرج فينقض عليه بالسيف محاولاً طعنه من الخلف ، البرج يقفز . فجأة فيتفادى الطعنة ، ويستدير إلى محمود) . .

البرج : آه . . لقد صدق ظنى أيها الغادر الغبى ! هل تصورت أنى كنت غافلاً عنك ؟ لقد كنت أعلم حقيقة مشاعرك طيلة الوقت . أعلم ما تكنّه لى من الكراهية ، لكننى آثرت أن أختبرك اختباراً قاطعاً قبل أن أجهز عليك .

محمود : هلعا ـ كلا يأبا الأبراج لم أكن أقصد قتلك . أنا كنت أواصل التمرين .

البرج : كاذب . . . والآن دافع عن نفسك . . المسألة الآن جد لا مزاح .

محمود : أتوسل إليك . . إن لى زوجة وأطفالاً . . الرحمة .

البرج : ها . . ها . . تخاف على زوجتك وأطفالك . . اقتلنى اذن إن استطعت فهذه هى الوسيلة الوحيدة لكى تعود اليهم . . (يتقدم إليه بينما يتراجع) . . لن أجهز عليك مرة واحدة سألهو بك كما يلهو القط بالفأر (يهجم عليه بينما يقوم محمود بصد الطعنات وقد زاده الرعب تمسكاً بالحياة) (ينتهز البرج فرصة تراجع محمود فيمسك بالسلة) . . هذه غنائم . إنها ، من حقى . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صحيح أنها غنائم تافهة لكنها تشعرنى بمقدمات النصر ، اما الانتصار الحقيقى فهو حين أوجه إليك الطعنة القاتلة (يسمع فى هذه اللحظة صوت الأتوبيس قادماً من بعيد) .

محمود : فرحا الأتوبيس . . عندما يقف على المحطة سأقفز إليه وأطلب منهم أن يقبضوا عليك . . الأفضل أن تنصرف يا برج وتتركنى وشأنى وسوف اتركك وشأنك . . انصرف يا برج فهذا احسن لك . .

(البرج لا يعبأ به وينقض عليه) بينما يتمكن هو من صد الطعنات . . يفترب صوت الاتوبيس من المحطة ثم يبتعد من جديد .

البرج : ساخراً ـ هل رأيت . . لقد هرب الاتوبيس . . عندما رأى شخصين يتبارزان آثر السلامة . . إنه اتوبيس من مبدأ «وأنا مالى . . يا عم . . ها . . ها» .

محمود : هناك دورة أخرى . . سيأتى الأتوبيس الأخير مزدحماً كعادته ، سوف ينزل اشخاص كثيرون على هذه المحطة . . وسوف يحضر إليها بعد قليل اشخاص كثيرون ايضاً . . ليدركوا الموعد الأخير . . سوف يشاهدونك ويقبضون عليك .

البرج : (ساخراً فى وجود هذا السيف ؟

محمود : معهم مسدسات . . انصرف . . هذا احسن لك .

البرج : هل انت واثق من انك سوف تستطيع الصمود إلى أن يحدث شىء من هذا . . بافتراض ان شيئاً من هذا سيحدث . .

محمود : انصرف ودعنى هذا احسن لك .

البرج : وأنت دافع عن نفسك هذا أحسن لك (يهجم عليه) .

(يسدل الستار بينما ما تزال تسمع صلصلة السيوف) .

سوهاج : نصار عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنان بخيت فراج عاشق الألوان المائيّه

د. فرغلى جاد أحمد

استخدم الإنسان الألوان المائية منذ آلاف السنين للكتابة على الورق والنقش على الجدران والبرديات ، كما استخدمها الرهبان فى مخطوطاتهم الخاصة . واهتم الفنان الألمانى «البرخت» (١٤٧١ – ١٥٢٨) اهتماماً شديداً بخلط الألوان والعناية بشفافيتها ، وقد خلّف الكثير من الأعمال الفنية التى مازالت محفوظة فى فينا . كما يعدّ الفنان الانجليزى «بول سانديای» (١٧٢٥ - ١٨٠٩) أول الرواد الذين فتحوا الطريق للألوان المائية لتحتل مكانتها أمام الأجيال القادمة .

وتعد بريطانيا المركز الرئيسى للألوان المائية إذ ضمت كبار الفنانين أمثال :

«وندسلو هومر ، جيمس ماكنل ، جون سنجر ، سارخبت ، وتوماس ايكنز» وفيها تكونت الجمعية الملكية للألوان المائية .

وفى مصر تكونت أول جمعية لمحبى الألوان المائية على يد الفنان الراحل «حبيب جورجى» ضمت نخبة ممتازة من تلاميذه بمدرسة المعلمين العليا منذ عام ١٩٢٤ ، وكان أبرز أعضائها شفيق رزق ونجيب أسعد ولبيب أيوب . . وغيرهم ممن لفتوا نظر أستاذهم بحبهم للألوان المائية . . وقد أظهروا نشاطاً واسعاً خلال معارض الثلاثينات من هذا القرن وحظيت أعمالهم باهتمام خاص ، وارتقت بمستوى الألوان المائية وشكلت مدرسة متميزة .

***

ومن أحفاد هؤلاء «نجيب فراج» الذى مازال متمسكاً بخامته المفضلة التى تجرى فى دمائه أصالة تاريخها ووفاؤه لأستاذه

***

نشأ الفنان بخيت فراج فى احدى قرى محافظة أسيوط . . وعاش مع ليلهاونيلها ونخيلها . . وطيورها وحيوانها . .

وكان لتأمله الدائم للطبيعة فى مصر والسودان ، والسعودية أثره فى انتاج كثير من الأعمال الهادئة اللون ، الواقعية التكوين ، المملوءة بالأمل والتفاؤل ، الواعية بأهمية القيم الجمالية والحسية لإخراج الموضوع بصورة جيدة التكوين والتقنية . . . أقام فى السودان ثلاثة معارض ، وألّف جماعة فنية أطلقت على نفسها جماعة «الفرقة الزرقاء» نسبة إلى المكان الذى كان يلتقى فيه مع تلاميذه ومنهم الآن من هم على قمة الحركة الفنية فى السودان . كما أقام فى السعودية معرضاً كان له صدى واسع فى الصحافة والاعلام وكانت له معارض كثيرة واشترك مع استاذه شفيق رزق فى أول معرض لتاريخ الفن المعاصر يشترك فيه الأستاذ والتلميذ ، وأدرك جمهور المشاهدين دور الصداقة المثمرة فى الفن بين التلميذ والأستاذ . . .

● إن أعمال الفنان بخيت فراج تطالعنا بطابعها الرقيق وأسلوبها الصريح ، وتكشف عن شخصية لها سماتها وأصالتها فى اختيار تلك الخاصة التى تستجيب لانفعالاته دون تردد أو افتعال مستخدماً إياها فى دراسة الطبيعة التى يحسها ويعشقها فينقلها بأناملة باخلاص فى الرؤية . فالمتأمل لبعض لوحاته يجد أنه فى لوحة : «زوارق الشاطىء» يتجه إلى الطبيعة مباشرة يختار منها لحظة الضوء ، كما يختار المشهد الذى يوحى بجمالية تشكيلية ، ويعالج عناصر الموضوع بتكوين هادىء متوازن صاف يقترب من الحس الهندسى مسيطراً على خامة الألوان المائية متفهما طبيعتها المتميزة .

● وفى لوحة «الشجرة الجافة» تبدو النزعة الصوفية البعيدة عن البهرجة اللونية حيث التزم فيها الفنان بمقام لونى هادىء بدرجات حساسة مرهفة تتلاحم فيها الفكرة بالخامة والموضوع واللون بالشكل ليؤكد مضمون التشكيل الجمالى .

● أما لوحة «الغروب» فيؤكد فيها الفنان على الدراما المرئية للمشهد اللونى لأفق محتضر بدرجات حمراء عالية الحدة مع احساس لونى داكن لمساحة من نخيل الشاطىء يتخللها لمسات من اللون الأحمر الدافىء مع انعكاس إيقاعى على مسطح النهر . وعلى الأفق البعيد يسبح شراع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبيض ناصع يؤكد بها الفنان ثلاثية : الليل النيل والنخيل . . » .

● وفى لوحة «نخيل الشاطىء» تبدو سماء مصر الصافية وشواطئها ونخيلها دائماً كمحور لتأملات الفنان بحكم نشأته الريفية فى صعيد مصر ليكون منها دائماً لغته التشكيلية . . تحتل السماء مساحة عريضة من اللون يتحرك فيها كم هائل من سحب تشكل نفسها بنفسها فى حركة هادئة ليلتقى الأفق مع مسطح النخيل مؤكداً صدق الرؤية ونجاح التعبير والتفوق فى نقل المشهد .

● وإذا نظرنا إلى «قرية وخريف» نرانا أمام مضمون حى متميز استخدم فيه الفنان تنغيمات ايقاعية لسحب غاربة قريبة من الرمادى مع لمسات بنفسجية تهدىء من دفء لون الأرض التى تسيطر عليها ألوان بنية وصفراء وحمراء ليعطى احساساً خريفياً يسيطر على اللوحة بنسيم لونى متميز . .

● أما «الأزهار» كموضوع فهى مجرد عنصر يحقق من خلاله الفنان القيمة التشكيلية التى يبحث عنها ، فالزهرة هنا تحولت من مدلولها الشائع إلى شكل وحجم ولون ووضع وعلاقة ، وقد وفق الفنان فى ترجمة موضوعه إلى قيمة تشكيلية تجمع ما بين احساس راقٍ باللون ورسم ذى مستوى عال فى التعبير .

● وفى لوحة «أضرحة» يتمثل الزهد التشكيلى والتقشف اللونى مع التلوين الفطرى الوجدانى التلقائى . . .

* * *

وإذا كنا نقدم اليوم الفنان بخيت فراج من خلال بعض أعماله بالألوان المائية فذلك لأن لها طابعاً خاصاً وجمالاً مميزا إذ يضع كل لمسة فى مكانها الصحيح ويعطيها وظيفتها المحددة . . . الأشجار . . المنازل . . الحقول الخضراء يغمرها جميعاً جو مشترك يتلاشى فى ثناياه وجودها المستقل من أجل تحقيق الوحدة الكلية والدلالات الكامنة وراء اختيارها .

د. فرغلى جاد أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنان بخيت فراج
عاشق الألوان المائيّه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

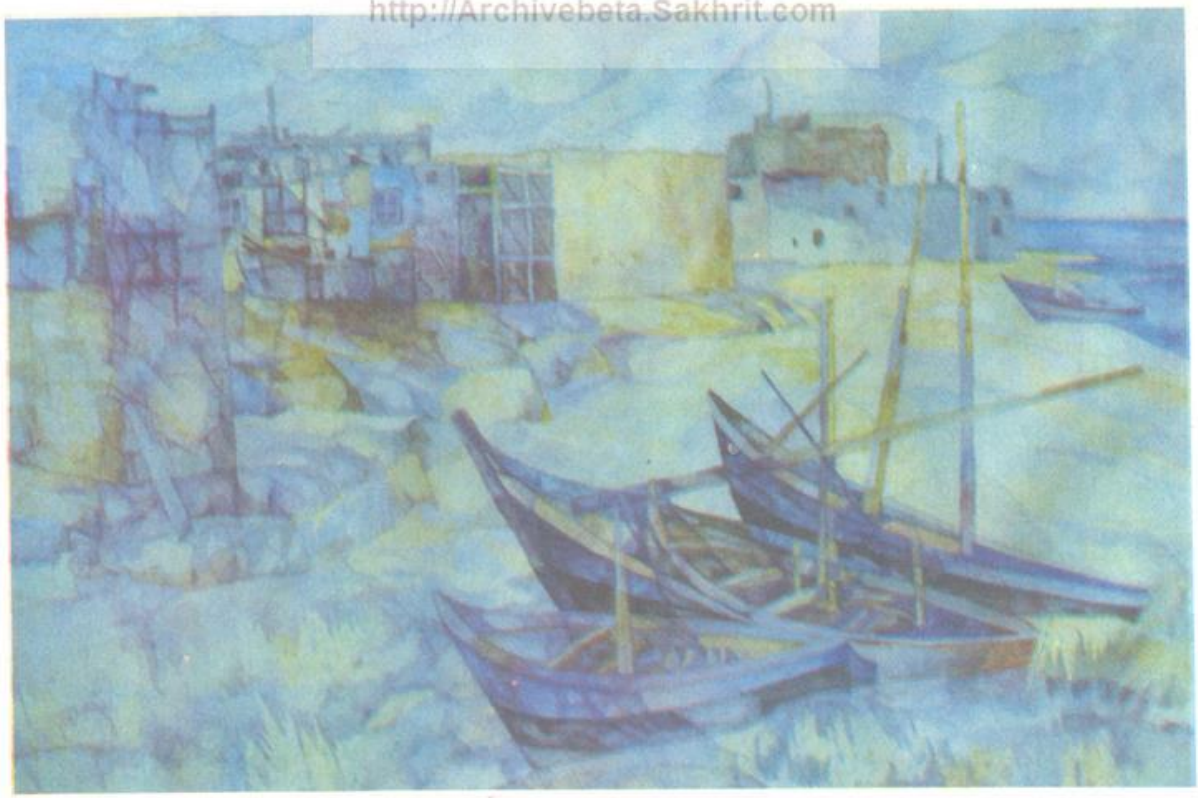

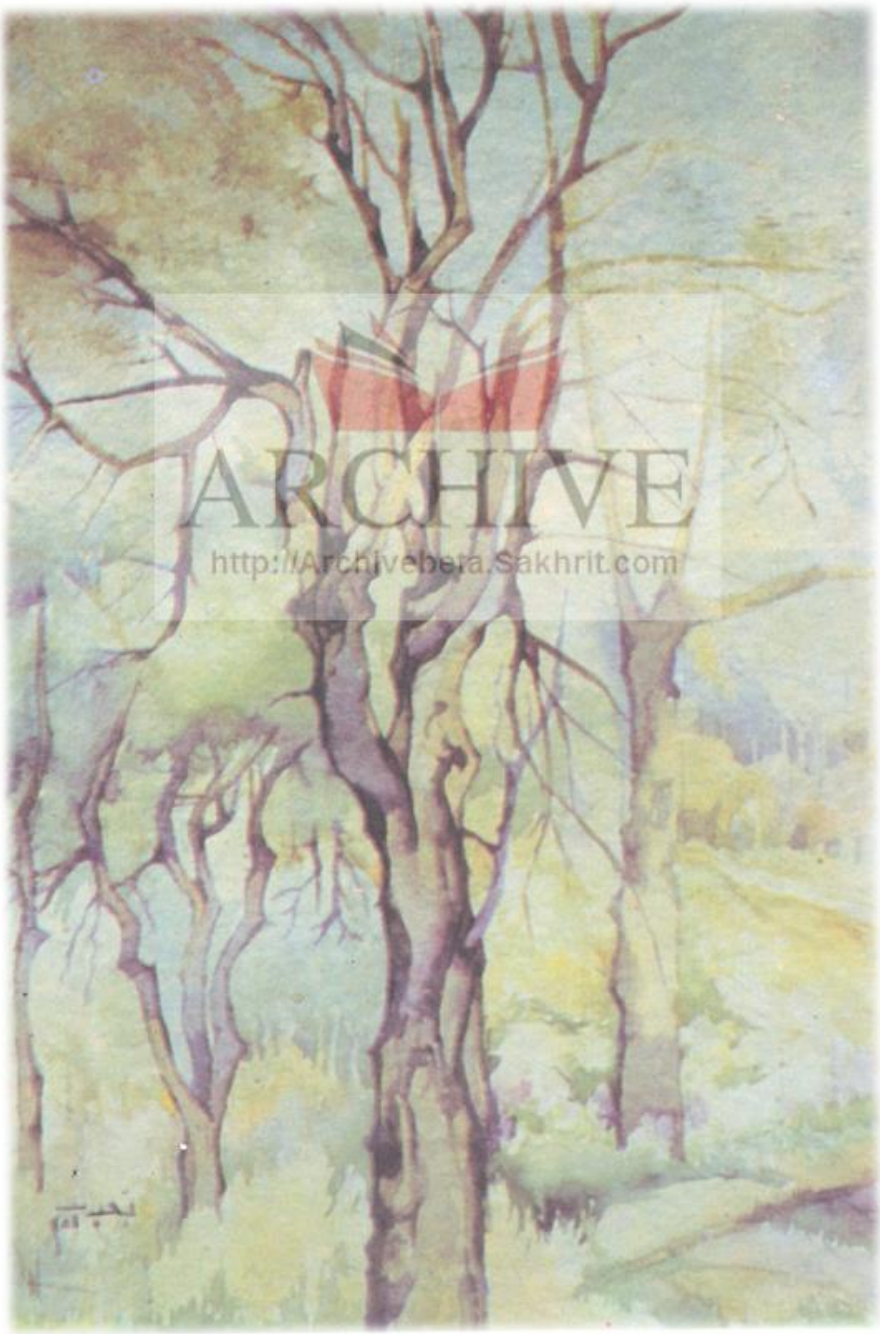
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

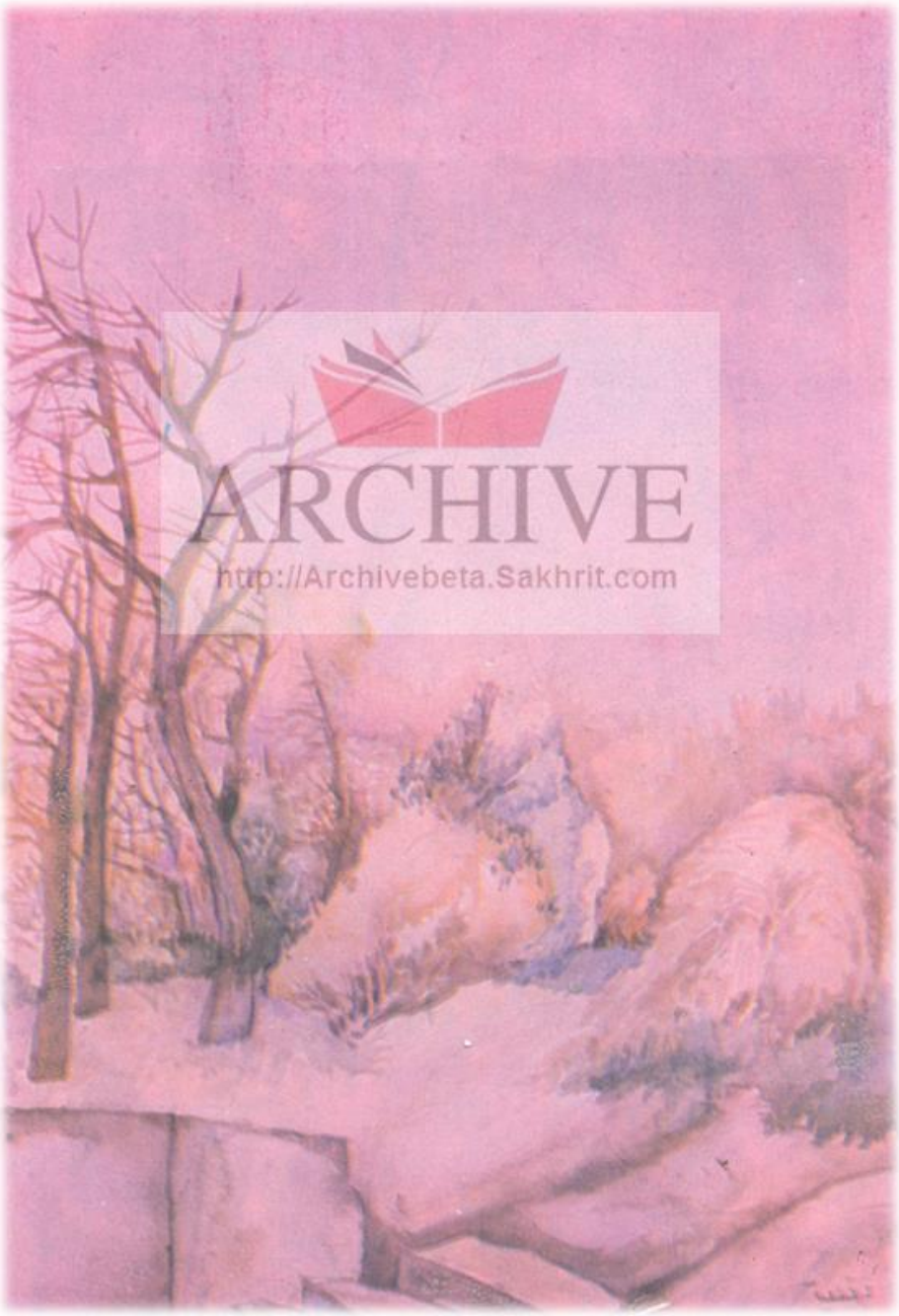
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

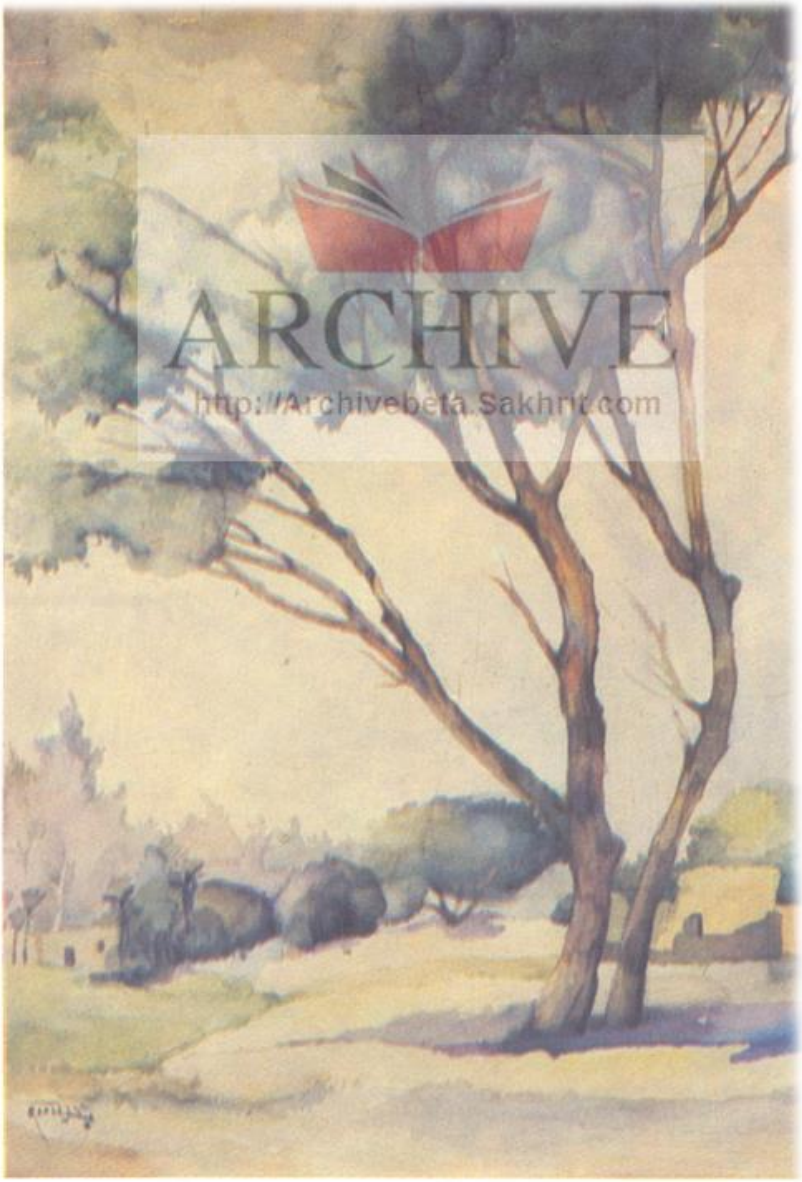
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

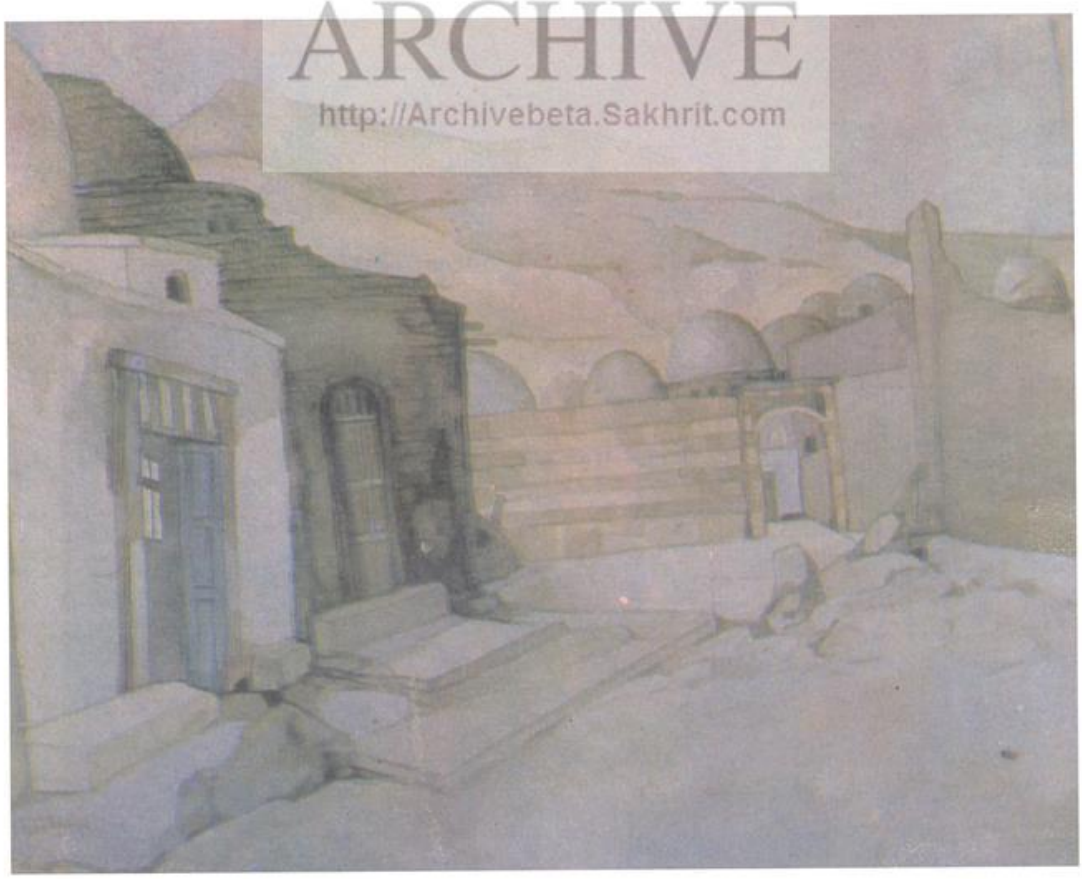

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

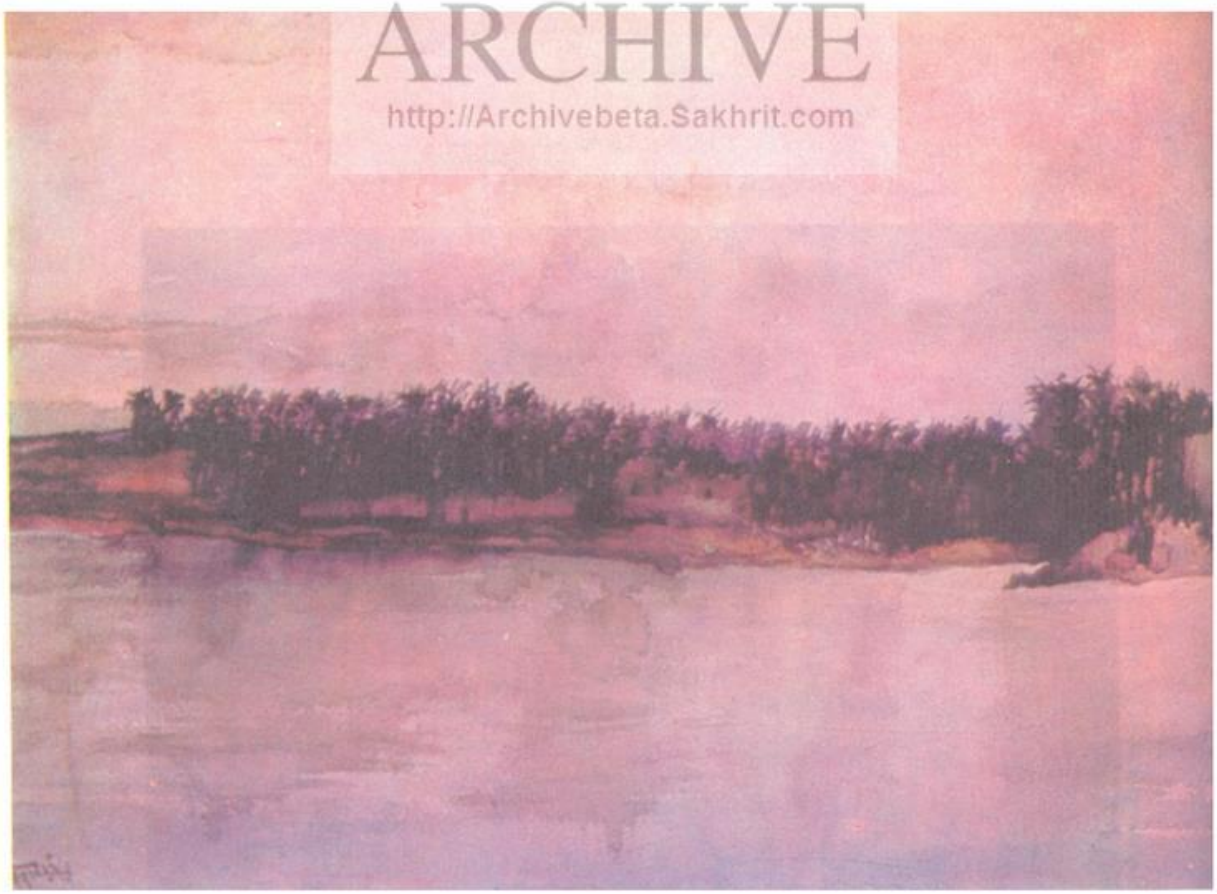

صورتا الغلاف للفنان بخيت فراج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طابع الهيئة المصرية العامة للكتاب